

التجنيد الاستخباري

دوافعه . مراحله . مخاطره

تأليف وإخراج

مركز الخطابي للدراسات / 2021

alkhattabirw

التَّجْنِيدُ الاِسْتِخْبَارِيُّ

دَوَافِعُهُ، مَرَاحِلُهُ، مَخَاطِرُهُ

تأليف وإخراج مركز الخطابي للدراسات



2021 – 2022 م

١٤٤٢ هـ

الفهرس

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فهذا بحثٌ موجزٌ حولَ التَّجْنِيد وطرقِهِ ومراحلِهِ ومخاطرِهِ، حرصْنَا بِشَكلٍ مختصرٍ أن نجمعَ فكرةً مجملةً دونَ استطرادٍ، لجعلِ هذا البحثِ مجردَ مقدمةٍ لمن أراد أن يكوِّنَ خلفيةً عامةً، وقد حرصنا فيه أن نذكر المضمون ونردفه بقصةٍ واقعيةٍ لتسهيل الفهم، وكما قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: «**اكتشفتُ في أثناء سنوات عملي بالتدريسِ، أن ضربَ الأمثلة ورواية القصص تنقلُ للمتلقي الأفكارَ المجردةَ الصعبةَ بسهولةٍ ويسرٍ**»[1]، وكونُ القصةِ هي التطبيق العملي لأي أنموذجٍ نظري قد يُقال في باب الجَاسُوسِيَّة.

وقد رأينا أن أعمال الجَاسُوسِيَّة تقوم على الاختراق الذكي، وفي الحروب لا يُقتصَرُ الأمرُ على حسنِ الإعداد العَسْكَرِيّ فحسب، فمهما بلغت قوتك العَسْكَرِيَّة التي قد لا تضاهيها قوةٌ في العالم، فما لم يكن لديك مناعةٌ من الاختراق أو على الأقلِ تقليله إلى حده الأدنى وحماية مفاصلك الحساسة منه؛ فإن هَذِهِ القوى سوف تُسلَبُ منك أو تشارِكُكَ بها دولٌ أخرى، كما حصل مع الولايات المتحدة وقنبلتها النووية التي جعلتها القوة العَسْكَرِيَّة الأولى في العالم، فمع عدم تحصين المشروع تسربت هَذِهِ القوة إلى خصمها التقليدي الاتحاد السوفيتي، والذي استطاع أن يكون نداً شرساً.

وقد تضررت الحركاتُ الإسلَامِيَّة من الاختراق على مدىً طويلٍ، بل وأقرت أن لا مناص منه، فقد ترى أن أسامة بن لادن يقول مثلًا في أحد اللقاءات العامة في أحد معسكرات القاعدة قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر وهو يجيب على سؤالٍ: ألا تخشى أن يصل ما تقوله من حدوث ضربات قريبة إلى الأمريكان؟ فقال «**وصولُهَا إلى الأمريكان؟ طيب هذا**

[1] عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية .. في البذور والجذور والثمر .. سيرة غير ذاتية غير موضوعية، دار الشروق، الطبعة الثامنة: 2017، (ص14).

نحن لما نتكلمْ هُنَا نعلم أنه يصل بالضرورة [إلى الأمريكان]»[1]، فكأنهُ إقرار بوجود الاختراق في مستوى الأفراد.

وهذا أمرٌ عامٌ في أغلب الجماعات الثَّورِيَّة -إن لم يكن كلها- ولكنَّ الجماعات الثَّورِيَّة في المقابل قد وضعت شيئاً من الحلول للتقليل من آثاره بعد تعرضها لتجاربَ مريرةٍ، ومن أهمها الحرص على عدم وصول المشبوه إلى القيادة. فالضررُ في حصول الاختراق على مستوى الأفراد لا يوازي خطرَ اختراقِ القيادة، فذلك أكبرُ وأشدُّ بل قد يؤدي إلى نهاية التجربة، فالفشلُ الذي حصل في التجربة الجزائرية أواخر القرن العشرين مرَّدُهُ الى اختراق القيادة من قبَلِ الاستخباراتِ -كما يرى أبو مصعب السوري-[2]، بينما نجحت القاعدةُ في منع اختراق قيادتها، وهو السر في نجاح ضربات الحادي عشر من سبتمبر كما يقولُ مايك شوير الضابطُ في وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة: «**سببُ عدمِ منعُنا هجمات الحادي عشر من سبتمبر بسيطٌ: لم يكن لدى وكالةِ الاستخبارات المَرْكَزِيَّة ولا أجهزةِ استخبارات حلفائها الغربيين أو المسلمين، جاسوسٌ أو مُخبِرٌ داخلَ هيكلية قيادةِ تنظيمِ القاعدةِ**»[3].

وللشيخ محمد بن سرور زين العابدين كتاب باسم (**مساجد الضرار.. كيف نحصنُ الصفَ الإسلَامِيّ من المنافقين**) يتكلم عن أثر اختراق الأعداء لقيادات الحركات الإسلَامِيَّة وأثره في إجهاض المشروع الإسلَامِيّ، ويصلُحُ أن يقومَ هذا الكتّابُ مقامَ التوجيه لمعالجة الاختراقات الاستخباراتية من حَيْثُ منبتها، وقد رأينا أنه مناسبٌ جداً في هذا الصدد.

وقد ترى فيما سوف يأتي معنا أن بعض أجهزةِ الاستخباراتِ نجحت بدسِّ جملةٍ من الجواسيس في صفوف الحركات الإسلَامِيَّة الثَّورِيَّة ذات الطبيعة الحربية والقتالية، وهي

---

[1] أسامة بن لادن، بشريات، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي.

[2] عمر عبد الحكيم أبو مصعب السوري، مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر، (ص67).

[3] ستيفان غراي، أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، ترجمة: مركز التعريب والبرجمة، دار العربية للعلوم - ناشرون، الطبعة الأولى: 2016 (ص172).

بطبيعة الحال أقدرُ على دسِّ جواسيسها في أجواءٍ أقلَ خطراً مثل أجواء الأحزاب الإسلَامِيَّة ذات التوّجه السياسي أو الدعوي المحض.

وسوف نرى أيضاً أن اختراق الجماعات الثَّورِيَّة حقق نقلةً نوعيةً على مستوى شخصيةِ الجَاسُوس المخترقِ لهذه الجماعات، إذ كَانَ لا يُشَكُّ غالباً بصاحب البلاء الذي قضى ردحاً من عمره في السجون وشارك في جبهات ثورية سابقة، بينما ترى الآن أن جملةً من الجواسيس الذين كُشِفُوا مؤخراً كانوا أصحاب تجاربَ ثوريةٍ سابقةٍ، وقد سجنوا لفترات طويلة، كما حصل في الخلية الأخيرة التي تَمَّ اعتقالها من قبل تنظيم القاعدة في اليمن، وبُثت اعترافاتها ضمن سلسلة إصدارات مرئية بعنوان: **"هدمُ الجَاسُوسِيَّة"**.

والعثرات التي تكون نتيجتهَا دماءٌ، لابد أن تُكسِبَ أي جماعةٍ خبراتٍ متراكمةٍ تجعلها تُقَلّلُ من أثار الاختراق عليها. والجَاسُوسِيَّة أمرٌ قديمٌ بل يقال على سبيل الطرفة: «**البِغاءُ والجَاسُوسِيَّة أقدمُ مِهَنِ التاريخ!!**»[1] وهي مستمرة إلى يومنا هذا، وستستمر طالما هنالك قوتين في العالم، وقد تطورت وطرأت عليها عواملُ كثيرةٌ متغيرةٌ مثل استخدام التِّقَنِيَّة في التجسس الذي كَانَ عاملاً رديفاً إلى جانب مجهودات الجَاسُوس البشري، ثُمَّ مع الوقت تطورت هَذِهِ التقنيات إلى أن وصلت إلى حدها الأقصى. وقد تكلم جلين جرينوالد عن بعض هَذِهِ التقنيات في كتاب باسم (**لا مكان للاختباء**).

وقد رأى البعض أنه مع تطور القوى المعاديةِ الضخمِ الذي يجعلُ من المستحيلِ مجاراتها في هذا المضمار مع ضعف أو انعدام الموارد والإمكانيات؛ فكلما رجعنا أو استخدمنا الأساليبَ البدائيةَ كَانَ أسلمَ. وترى أن أسامة بن لادن مثلاً يقول: «**بخصوص التراسل عبر الأنترنت فلا بأس بالتراسل في الرسائل العامة، إلا أنه حتى مع ما ذكرَ الإخوة لبرنامج أسرار المجاهدين فسرية العمل الخَارِجِيّ لا تسمحُ باستخدامه، فحبذا التأكيد على الإخوة الذين يعنيهم الأمرُ**

[1] الإفادة في جمع رسائل ومقالات الشيخ أبي قتادة، (ص623).

بأن العمل الخَارِجِيّ لا يكون إلا عبر الرسل الثقات»[1]. فجعلَ المراسلات الأكثر حساسيةً وسريةً عبر رسولٍ بشريٍّ لا عبر التِّقَنِيَّة من خلال برنامجٍ صنعه المجاهدون أنفسهم في تشفير الرسائل.

وخلال بحثنا وقراءتنا لمراجع هذا الكّاب، زالت الصورةُ الخارقةُ التي رسمها الإعلام عن عالمِ الاستخباراتِ، إذ سوف تجِدُ عثراتٍ كثيرةً وأخطاءً غبيةً واختراقاتٍ وصلت إلى حد العظمِ لكبرى مؤسسات التجسس والاستخبارات، فقط نحن الذين نظن أنهم خارقون وأنهم يعرفون كل شيء، وقد تجد مثلًا الضابط البريطاني بيتر رايت يفصِلُ بين الواقعين في حال التجسس، فيقول عن قصة خارقة ذكرها أحد ضباط الاستخبارات: «**تبدو لي هَذِهِ الحكايةُ أقربَ إلى عالم جيمس بوند منها إلى عالم الحياة الحقيقة**»[2].

كما قال ضابط آخر: «**لا تظنَّ أن عمل الاستخبارات هو عمل جيمس بوند وما تراه في الأفلام البوليسية**»[3]، بينما يُعقِّبُ ضابطٌ آخرٌ: «**إن أبطال الجَاسُوسِيَّة العظام الذين نقرأ عنهم في الروايات لا يوجدون في عالم الحقيقة**»[4]، فعالم الحقيقة في الجَاسُوسِيَّة يختلف عن العالم الخرافي الذي رسخه الإعلامُ، وذلك بتضخيم أي إنجازٍ والمبالغةُ فيه، وصياغة القصص الخيالية التي لا تنطبق مع الواقع بأي حالةٍ.

ولكن بما أن عالمَ الاستخبارات عالمٌ سريٌّ ومجهولٌ فيسهُلُ تأليفُ القصصِ حولَهُ، وقد يتقبلها الناس لأنهم لم يعرفوا واقعَ هَذِهِ الأجهزة ليقارنوا بين النظرة المثالية والواقع المر، وقد تسكت عن هذا الواقع أجهزة المخابرات إن رأت أن ذلك سوف يصب في مصلحتها لترسيخ

---

1 مجموع رسائل وتوجيهات الشيخ أسامة بن لادن، نخبة الإعلام الجهادي، 2015 (ص854).

2 بيتر رايت، صائد الجواسيس، ترجمة: عماد القسوس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1988، (ص220).

3 سامي الحاج، غوانتنامو قصتي، دار العربية للعلوم، الطبعة الأولى: 2017، (ص133).

4 آلن دلاس، كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، دار الشروق، الطبعة الأولى: 1990، (ص193).

بعض المفاهيم النفسية في صدور الناس، حول قدراتها وإحاطتها، مما يشكِّلُ عاملَ ردعٍ بِشَكلٍ أو بآخرَ.

وعوداً إلى موضوع البحث، فهو يجيب بِشَكلٍ موجزٍ ومختصرٍ عن الإشكاليةِ التاليةِ:

«كيف تقوم الأجهزة الأمنيَّة الحكومية والثَّورِيَّة بعملية التَّجْنِيد؟ وماهي المخاطر التي تتعرض لها خلال هَذِهِ العَمَلِيَّة؟».

وقد تفرعت عن هَذِهِ الإشكالية الأساسية تساؤلاتٌ أخرى ستتمُّ الإجابة عنها خلال البحث، ومثلَتْ هَذِهِ التساؤلات الهيكل التصميمي للكتاب:

1. **ما هو مفهوم التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ؟**
2. **ما هي الدوافع التي ينطلق منها المجنّدون لتجنيد العملاء؟**
3. **ما هي المراحل التي تمر بها عَمَلِيَّة التَّجْنِيد؟**
4. **وما هي المخاطر المحيطة بعملية التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ؟**

وقد أردفنا جملةً من الاقتباسات والشواهد، مع التنبيه أن في بعضها قد حصل نوعٌ من التصرف من اختصار وحذف بما لا يخلُّ بالمعنى. وكان الكتاب قائماً على ثلاث مراجعَ رَئِيسِيَّة سوف يتكرر الاقتباس منها بِشَكلٍ كبير وهي:

1. كتاب (أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ) لستيفن غراي.
2. كتاب (فن التجسس) لهنري كرامبتون.
3. كتاب (صائد الجَاسُوسِيَّة) لبيتر رايت.

وكتابةُ دراسةٍ في هذا المجال كَانَتْ تقتضي بطبيعة الحال وجود وقت أكثر، مع فهرسةٍ أكثر دقةٍ لموضوع البحث، وذلك لتشعب موضوع التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ بِشَكلٍ كبيرٍ جداً، تتداخل فيه العلوم النفسية والتقنية والاجتماعية وغيرها معاً في قالبٍ واحدٍ. وحتى إن كَانَتْ بعض

طروحات البحث قد تكون كلاماً مستهلكاً لبعض أصحاب الخبرة، إلا أنه قد يمدُّهُم ببعض المراجع التي إن عادوا إليها وجردوها وجدوا فيها ما يفيدهم.

وقد حرص مؤلفو هذا البحث أن يذكروا الشواهد ضمن مراجع منشورة من كتب ومواد مرئية وغيرها، وأعرضوا صفحاً عن التجارب الشخصية وما قد سمعوه أو رأوه أو ما مروا بِهِ شخصياً إلا النزر اليسير. وكذلك عند روايتنا لشهادات ضباط الاستخبارات فإننا نسلم جدلاً بها، وإلا لحصول الكذب في كلامهم واردٌ جداً. فكانت روايتها من باب حتى وإن كَانَتْ كذبةً فهنالك فائدة يُمْكِنُ استنباطها منها.

ومن نافلة القول: إن الاستدلال ببعض الأمور المنسوبة إلى جهاتٍ معينةٍ لا يعني بالضرورة أننا مؤيدون أو منتسبون لتلك الجهات، ولا يلزم كذلك الموافقة على بعض الأمور أننا متفقون معهم في كل شيء، فالحكمة ضالَّةُ المؤمن أينما وجدها فهو أحقُ بها.

ونختمُ ونقول: إن أصبنا فيما قلنا ونقلنا فذلك من توفيق الله لنا، وإن ورد في كلامنا الخطأ فذلك من أنفسنا، ونسعَدُ بأي ملاحظاتٍ أو استدراكات. وإن كَانَ ثَمَّةَ هنالك فائدة ملموسة من هذا البحث، فقد يصدر منه طبعةٌ ثانيةٌ نزيد فيه ونستطرد كما ينبغي.

هذا والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إدلب

6 رمضان 1442

18 أبريل 2021

الفصل الأول: مفاهيمُ حولَ التَّجْنِيدِ الاِسْتِخْبَارِيِّ

"إن النصر الحقيقي هو المعرفة المسبقة للعدو.. هَذِهِ المعرفة المسبقة لا يُمْكِنُ الحصول عليها عن طريق استحضار الأرواح، أو استجداء الآلهة، أو بناءً على سنوات الخبرة والتوقعات، أو من الحسابات الفلكية، أو النجوم.. تحركات ونوايا العدو يُمْكِنُ معرفتها فقط من خلال رجال آخرين؛ وهنا تبرز الحاجة للجواسيس". (صن تسو، فن الحرب).

إن تحديد المصطلحات له أهميةٌ كبيرةٌ في مجال البحث العلمي، وذلك لأن التعريف هو الخطوة المنطقية الأولى للوصول إلى النتائج والحقائق العلمية، وقد كَانَ من الأهمية بمكان أن نبدأ بعرضٍ للمصطلحات التي سيدورُ حولَهَا البحث؛ لما انتاب هَذِهِ المصطلحات من خلط جعلها غير مستقرة في أذهان القراء.

ولأن تحديدَ مفهومِ أمرٍ ما يوجِبُ علينا النظر في نشأة هذا الأمر وتاريخه وأهدافه، فقد كَانَ أول مباحث هذا الفصل يتحدث عن نشأة التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ وتطوره مع التاريخ الإنساني، ثُمَّ كَانَ لابد لنا من مقارنة مفهوم مصطلح "التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ" مع المصطلحات المشابهة له في الدلالة والمتعلقةُ به مثل مصطلح: الجَاسُوس والعميل والمشغل...إلخ.

ومن أجل الحديث عن التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ بِشَكلٍ وافٍ ومفصلٍ؛ سيتناول هذا الفصل المباحث التالية:

1. المبحث الأول: النشأة والمفهوم.
2. المبحث الثاني: مصطلحات مرتبطة بالتجنيد الاِسْتِخْبَارِيّ
3. المبحث الثالث: أهداف التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ.
4. المبحث الرابع: أثر الأعراف الشعبية في عَمَلِيَّة التَّجْنِيد.

المبحث الأول: التَّجْنِيدُ الاِسْتِخْبَارِيُّ: النشأةُ والمفهومُ

إذا نظرنا إلى التعريف اللغوي المجرد: جَنَّدَ الجنودَ: أي جمعها، وجند الرجل: أي صيّره جنديًّا. والجند هم الأنصار والأعوان.[1]ومن هذا المنطلق فإن التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في الاصطلاح يعني: "**اتخاذ الأنصار والأعوان لتحقيق الأهداف الاستخبارية سواء كَانَتْ هَذِهِ الأهداف متمثلة في جمع المعلومات أو تضليل العدو أو تخريب ممتلكاته، وسواء أصبح هؤلاء الأتباع أعضاء منتظمين أو مجرد عملاء مؤقتين**".

عادة ما يرتبط التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ بتوظيف الجواسيس الذين يعملون في أجواءٍ من الخفاء والسِّرِيَّةِ والغموض لاختراق العدو من الداخل أو مراقبته عن قرب. وإذا قمنا بتقسيم مصادر الاستخبارات إلى نوعين: بشرية وتقنية،[2] فإن التَّجْنِيدَ الاِسْتِخْبَارِيّ يُعَدُّ من أهم المصادر البشري وأكثرها فاعليةً وكفاءةً.

يكاد يتفق المختصون في هذا الباب أن التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ قديم قدم البشرية، فمنذ بداية الصراع البشري كَانَ التجسسُ أداةً مهمةً من أدوات الحرب والنزاع. ولأن التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ مرتبط بالتجسس، فإن الدول القديمة استخدمته كوسيلةٍ رَئِيسِيَّةٍ لمواجهة الخصوم، ثُمَّ مع الوقت تَمَّ تنظيم هذا التَّجْنِيد وأصبح من وظيفةِ جهازٍ مختصٍّ مستقلٍّ يرتبط بِشَكلٍ أَسَاسِيّ بالسلطة العَسْكَرِيَّة أو السلطة العليا في الدولة.

وبالعودة إلى تاريخ الحضارات القديمة، نجد أن السجلات التاريخية تخبرُنا بالكثير عن التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ، بل نجد أن بعض المصادر التاريخية تسميه فناً. في تاريخ منطقة ما بين النهرين

---

[1] المعجم الوسيط ومختار الصحاح.

[2] تنقسم المصادر الاستخبارية إلى تقنية وبشرية، أهم المصادر التِّقَنِيَّة هي طائرات الاستطلاع وكاميرات التجسس وأجهزت التسجيل والاختراق التقني، بينما أهم المصادر البشرية هي: التحقيق مع السجناء والمسافرين، والعملاء والجواسيس، والدوريات الميدانية، والمقابلات الدبلوماسية...إلخ

مثلاً، نجد أن مملكة «ماري» -وهي واحدة من الممالك البابلية في سوريا القديمة نشأت على ضفاف الفرات في حوالي 1815 قبل الميلاد- قد كَانَتْ تعتمد على التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في حروبها بِشَكلٍ كبير. ففي عام 1757 قبل الميلاد، كَانَ "زيمري ليم" ملكًا على «ماري»، وكان قد استطاعَ استعادةَ حدودها وتأمينها بعد صراعات إقليمية وحدودية، من خلال الاستعانة بالجواسيس من سكان الممالك المجاورة، لنقل أخبار جيوشهم وتحركاتها نحوه.[1]

لكن مملكة «ماري» سقطت على يد المحارب البابلي الشهير حمورابي في العام نفسه 1757 قبل الميلاد، بعدما علم بخطط جواسيس زيمري ليم، فاستغلَّ الجواسيسَ بالطريقة ذاتها للهجوم على المملكة والسيطرة عليها، بعد مكاتباتٍ عديدةٍ بينه وبين جواسيسه. كذلك استطاع قادة جيش حمورابي ابتكار فكرة الأسرار الزائفة وتسريبها إلى رجال زيمري ليم وتضليلهم، ومن ثُمَّ الانتصار على خططه، واحتلال المملكة. وتجدر الإشارة إلى أن حمورابي لم يكن واحدًا من أبرع من استخدم التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ والجَاسُوسِيَّة في التاريخ القديم فحسب، بل كَانَ أيضًا أول من أنشأ مكتبةً لحفظ الوثائق السِّرِيَّة، ورسائل جواسيسه، وجواسيس الأعداء.[2]

في مصر القديمة أيضاً ازدهر التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ بِشَكلٍ كبيرٍ، فقد نسبت بعضُ المصادر التاريخيةِ وجودَ ما يعرفُ بـ «مجلس الجواسيس»، والذي كَانَ بمثابة الهيكل التنظيمي أو «جهاز الاستخبارات» في عصر الأسرات الفرعونية القديمة والمتوسطة في مصر، كما كَانَ لنشاط التجسس دورٌ كبيرٌ بجانب الدور العَسْكَرِيّ؛ فقد كَانَ للجواسيس أدوارٌ رَئِيسِيَّةٌ في الذهاب إلى القرى التي تشتهر بتجارة العبيد، لمراقبة أي تمردٍ من قِبل التجار ومن ينوب عنهم. كما كَانَ لمجلس الجواسيس هذا العديد من الجواسيس الأجانب، الذين كَانَتْ مهامهم تنحصر

---

[1] ساسة بوست، "حرب الأسرار" نبذة عن التاريخ القديم لجاسوسية، نشر في 25 / 5 / 2020 (https://2u.pw/HfBfQ)

[2] نفس المصدر.

في الوجود في بلادٍ منافسةٍ -وإن لم تكن عدوًّا صريحًا- لمصر مثل اليونان الإغريقية في ذلك الوقت. [1]

وبصفتها واحدة من الحضارات القديمة العريقة اقتصادياً وعسكرياً، لم تهملْ الصينُ جانب التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ واستخدام الجواسيس في الحروب، ولعل أشهر ما انتقل إلى العالم من الصين وأقدمه فيما يخص ذلك، كَانَ كتاب "فن الحرب" الذي كتبه القائد الحربي الصيني صن تزو عام خمسمئةٍ قبل الميلاد، وكتب فيه فصلًا كاملًا بعنوان «توظيف الجواسيس»، والذي قال عنه الأمير فريدريك أمير الدنمارك في كتابه "ثاني أقدم مهنة في التاريخ: تاريخ التجسس في العالم": إنه عمل محوري، وركيزةٌ أسَاسِيَّةٌ في علم التجسس.[2]

ومن خلال هذا الفصل تناول القائد الحربي صن تزو أهمية المعلومة سلاحًا في الحرب، وفي مواجهة آثار الحرب أيضًا، فقد وصفَ تزو المعلوماتِ بأنها تمنعُ التخبطَ والتشوشَ، وأن المعلومة هي أرقى ما يُمْكِنُ للإنسان أن يحصل عليه ويستخدمه لمصلحته، سواء في الحروب الخَارِجِيَّة أو في تنظيم الهياكل الدَّاخِلِيَّة للدول.[3]

وأكد أيضًا ضرورة المعرفة الجزئية، أو ما يعرف بالمعرفة بقدر الحاجة؛ لأنه في حال وقوع الجَاسُوس في أيدي أعدائه، يكون لديه فقط جزءٌ من الحقيقة الكاملة، وبهذا لا يتسبب في تداعيات أكبر وخسارة أكبر، وهو ما يُعَدُّ الآن واحدًا من أكبر وأهم أساسيات وأسرار التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في العالم الحديث. ويحدِدُ كتابُ فن الحرب خمسةَ أنواعٍ من الجواسيس،

---

[1] ساسة بوست، "حرب الأسرار" نبذة عن التاريخ القديم لجاسوسية، نشر في25 / 5 /2020

[2] نفس المصدر.

[3] صن تسو، فن الحرب، إعداد أحمد ناصيف، دار الكتاب العربي، الفصل 13 توظيف الجواسيس.

بما في ذلك العملاء المزدوجون، والعملاء الداخليون العاملون ضمن مخيم العدو، والعملاء الناشرون الذين يبثون الأخبار الكاذبة عند الحاجة.[1]

وتذكر النصوص الهندية القديمة "أرثا شاسترا" التي كتبت حوالي القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد بِشَكلٍ مماثلٍ أن الملك يحتاج لاستخدام الجواسيس بما في ذلك: الأحدب والقزم والخصيان والنساء البارعات بشتى الفنون والأشخاص الأغبياء، إضافة إلى المختصين بالتسميم والاغتيال وفي هذا إشارةٌ إلى ضرورة التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ.[2]

يُمْكِنُ القول إذاً أن التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ موجودٌ كحرفةٍ منذ قدم التاريخ الإنساني، وقد تطور اليوم ليصبح علماً واختصاصاً له مراجعه العلمية وقواعده وقوانينه، وسنحاول في هذا البحث أن نقدمَ لمحةً وافيةً عنه.

---

[1] صن تسو، فن الحرب، إعداد أحمد ناصيف، دار الكتاب العربي، ص 164.

[2] جون غالاغر، العالم السري الجَاسُوسِيَّة عبر التاريخ، موقع الميادين، 2019/5/22.

(https://2u.pw/095om)

المبحث الثاني: مصطلحاتٌ مرتبطةٌ بالتجنيدِ الاِسْتِخْبَارِيّ

في عالم الجَاسُوسِيَّة تختلف مدلولات الألفاظ والمصطلحات، ولعل أهم المصطلحات التي تتعلق بالتجنيد الاِسْتِخْبَارِيّ وهي:

المحطة: هي عبارة عن مؤسسة استخبارية ميدانية، تضمُ مجموعةً من ضباط الحالة المدربين، يتوزعون على القطاع أو المدينة ويغطونها بِشَكلٍ كاملٍ. يرفع رئيس المحطة تقارير دورية لجهاز الاستخبارات المركزي، والذي يرفعها بدوره إلى رئيس الدولة حسب الأهمية. وقد تكون المحطة تحت غطاء سفارة أو وكالة أنباء وصحافة أو مشروع اقتصادي أو هيئة إغاثية.

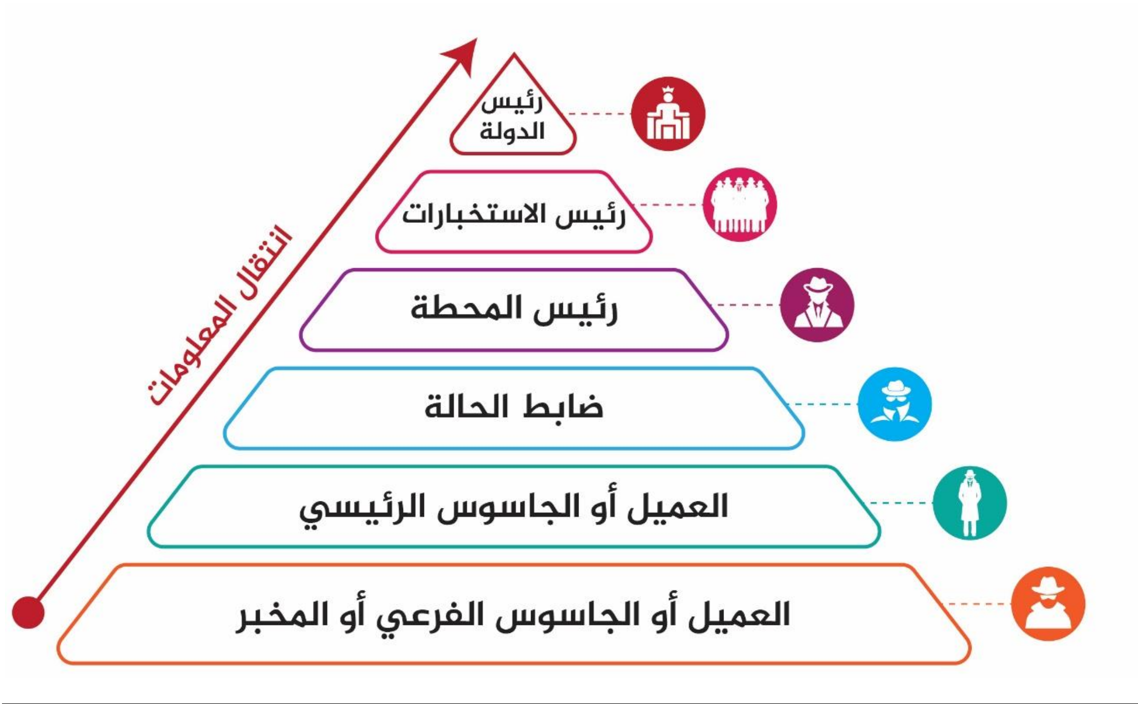
ضابط الحالة: كل ضابط لديه من أربعة إلى خمسة عملاء رئيسيين، لهم قطاع معين في حدود عمله الجغرافية. يقوم الضابط بتجنيد العملاء ومتابعتهم وتوجيههم في جمع المعلومات، والتي يرفعها في تقارير بِشَكلٍ مباشرٍ إلى رئيس المحطة.

العميل (أو الجَاسُوس): «**شخص يسرق معلومات استخباراتية سرية، ثُمَّ يمررها إلى وكالة حكومية في بلده أو في الخارج**»[1]، وهذا يعني إما أنه يتجسس لصالح بلده فيمرر المعلومة التي كشفها إلى حكومة بلده أو أنه عميل ضد حكومة بلده فيمرر المعلومة التي كشفها إلى خارج بلده وإلى الجهة التي يعمل لها، فهو «**قد يحمل أيَّ جنسيةٍ وقد يأتي بالمعلومات بنفسه أو قد يكون لديه اتصالات أو علاقة بأشخاص في أماكنَ يمكنهم منها تقديمُ هَذِهِ المعلومات**»[2].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص7).

[2] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص167).



الشكل (1): مسار انتقال المعلومات خلال عَمَلِيَّة التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ

بعدما تزداد خبرة العميل أو الجَاسُوس المجنَّد في العمل، يقوم -بأمر من ضابط الحالة المرتبط به وليس باجتهادٍ شخصي- بتجنيد عددٍ من العملاء الثانويين، فيصبح هو بذلك عميلاً رئيسياً.

العميل الثانوي (أو المخبر): هو «**شخص يزود أجهزة الاستخبارات بمعلوماتٍ سريةٍ، ولكنه قد لا يكون تحت سيطرتها مباشرةً**»[1]، فالعميل الرَّئِيسِيّ يكون تحت سيطرة جهاز الاستخبارات مباشرة ولكن المخبر ليس كذلك.

وهنالك توضيح آخر يوضح الفرق بين الجَاسُوس/العميل الرَّئِيسِيّ وما بين المخبر/العميل الفرعي:
«**المخبرُ مجردُ بائعُ معلوماتٍ سريةٍ في أغلب الأحيان، أيّ أنه شخص يبيع الأخبار على عكس العميل الذي تكون نشاطاته موجَّهة عن كثب أكثر. ويصف ضابطٌ فرنسيٌ سابقٌ في قسم مكافحة التجسس المسألة كالتالي: في عملنا يقف العميل في مرتبة أعلى بكثير من المخبر. فالمخبر**

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص8).

يعطيك معلومات مَحَلِّيَّة ويشير إلى الأهداف، ثُمَّ يمكنك إرسال العميل ليجري الاتصال ويشق طريقه»[1].

والجاسوس والمخبر يحتاج إلى من يجندهم ومن يديرهم، وهنا يأتي دور «ضابط الحالة» وهو «**موظف في جهاز الاستخبارات يجنِّد العملاء السريين**»[2]. وهو أيضاً من يطلق عليه اسم «المشغِّل».

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص142).
[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص8).

المبحث الثالث: أهداف التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ

في الشأن العَسْكَرِيّ تهدف عمليات التجسس لتحصيل المعلومات من أجل إعادة التوازن الإِستِرَاتِيجِيّ بتعديل موازين القوى «**فخلال الحرب العالميَّة الثانية وبعدها، وبوجود أكثر من مئتي عميلٍ أمريكيّ للسوفيت، تمكن السوفيت من تنفيذ أفضل ضربة تجسس في القرن العشرين: امتلاكُ قنبلةٍ ذرّيَّة**»[1].

وكذلك تحقيق التفوق التقني بناءً على سرقة الأسرار العَسْكَرِيَّة والتقنية، وهو ما يساهم في توفير مال التجارب عبر الحصول على المخططات الأصلية واستنساخها. مثلًا، نجحت الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأمريكية في سرقة عدة أسرار تقنية سوفيتية عبر جاسوسها أدولف تولكاتشيف، وهو عالم طيران روسي وجاسوس للمخابرات المَرْكَزِيَّة الأمريكية بين عامي 1977-1985، وقد تمكن من الوصول إلى مخططات رادارات المقاتلات السوفيتية، وبالتالي ساعد الولايات المتحدة الأمريكية في التفوق عليها، وعلق جايمس بافيت -نائب مدير العمليات السابق في الوكالات المَرْكَزِيَّة الأمريكية- قائلًا: «**وفَّرَ تجسّسُ تولكاتشيف المليارات على الولايات المتحدة، وضمن لنا تفوقاً جوياً في منعطف حرجٍ في الحرب الباردة**»[2].



أدولف تولكاتشيف

وكما ساهمت المعلومات الاستخبارية التي يَتِمّ الحصول عليها عبر التَّجْنِيد في الحفاظ على حياة الجنود زمن الحرب «**ففي الحرب العالميَّة الثانية، أيُّ عميلٍ يهبط بالمظلة خلف خطوط العدو سيواجه احتمالاً كبيراً جداً بأن يقع في قبضة العدو أو يموت أو كليهما. لكن عندما تكون**

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص83).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص87).

الاستخباراتُ جيدةً فهي قادرةٌ على حفظ مئات الأرواح، مثلما حصل مثلًا في عمليات إنزال النورماندي»[1].

وكذلك كَانَ التَّجْنِيد زمن الحرب يقدمُ المعلوماتِ للقواتِ المسلحةِ من أجلِ إعطائِها أفضليةً في ساحة المعركة؛ يقول ضابط الاستخبارات كيم فيلبي: «**ركزت محطات الاستخبارات البريطانية SIS في الخارج -في زمن الحرب- أكثر فأكثر جهودها في الحصول على معلومات تحتاجها القوات المسلحة مثل تحركات القطعات العَسْكَرِيَّة، التجمعات البحرية، القوات الجوية، التسليح وغيرها[2]، وفي النصف الثاني من سنة 1942 وصلتنا الأنباء بأن قرار غزو أفريقيا الشمالية قد اتُّخِذَ مبدئياً. وقُرِّرَ أن تكون مهمتنا تزويد هيئات أركان الجيوش المهاجمة بالمعلومات. هَذِهِ المعلومات كَانَتْ تدور بِشَكلٍ خاصٍ حول نشاطات الاستخبارات الألمانية والإيطالية شمال إفريقيا، كذلك حول مؤيديها من جماعة نظام فيشي»[3].**

وتكْمُنُ أهمية ذلك في أنك «**لا تستطيع أن تضع خطّةَ عملٍ عَسْكَرِيَّةٍ إذا لم تكن تعرف ما هو موجودٌ لدى العدو، فيجبُ أن تعرف إمكانيات العدو العَسْكَرِيَّة والمادية والبشرية وتوزيع قواته وفرقه العَسْكَرِيَّة وماذا عنده من أسلحة وماذا عنده من عتاد، كل هذا يعتمد على جمع المعلومات. جمع المعلومات ركنٍ أَسَاسِيّ من الأمن، ترسل أنت جواسيسك وعملاءك فيذهبوا إلى البلد التي تريد أن تقاتل فيها ويجمعوا لك المعلومات عن هذا البلد، وبناءً على ذلك أنت تضعُ خطّةَ مهاجمةِ هذا البلد أو معركة عدوك. وإن لم تعرف ما عند عدوك فلن تستطيع أن تضع خطّةً جيّدةً وناجحة في العمل في مهاجمة هذا العدو**»[4].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص404).

[2] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، ترجمة: عبد الله كحيل، شركة المطبوعات الشرقية -دار المروج، 1986، (ص54).

[3] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، (ص82).

[4] عبد الله العدم، سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الأولى: تعريف الأمن وأهميته ومشروعيته في الإسلام.

أما في **الشأن السياسي أو الدبلوماسي** فإن الاستخبارات أحياناً تمنع الانزلاق إلى الحرب كَأن تدفع سوء الظن الذي قد يترتبُ عليه آثارٌ وخيمةٌ من نشوء حروب أو زيادة تصعيد أو مواجهةٍ عَسْكَرِيَّة يقول ضابط الاستخبارات البريطاني بيتر رايت موضحًا دور أحد الجواسيس في منع التصعيد العَسْكَرِيّ بين الاتحاد السوفيتي وحلف الناتو فيقول: «**فالعميل الشنازي توباز واسمه الحقيقي راينز راب كَانَ رجُلَ ماركوس وولف داخل الناتو. عندما حشد حلف الناتو قواته في العام 1983 لإجراء مناورة تدريبية لعموم الدول الأورروبية مدتها عشرة أيام، واسمها الرمزي: آيل آرتشر، تخلّلها محاكاةٌ لإنذار نووي من أعلى المستويات، كَانَ أشخاصٌ أمثالَ تباز من أقنعوا قيادة الكرملين الثمانينية بأن كل تلك المناورات لم تكن استعداداً لتوجيه أول ضربة نووية**»[1].

ومن ذلك أيضًا ما صنعه الجَاسُوس السوفيتي «ريتشارد سورج» في اليابان إذ كَانَ الهدف الرَّئِيسِيّ لشبكته «**هو إبلاغ ستالين في منتصف عام 1941 بدليل محدد هو أن اليابانيين لم تكن لديهم في ذلك الوقت نية للقيام بأي عَمَلِيَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ ضد الاتحاد السوفيتي**»[2].

ومن أجل هذا «**ينبَعُ دافعُ التجسس على دولة أخرى من القلق من نواياها؛ لأن الخوف من الحرب حاضرٌ دائماً**»[3]. فالتجسس قد يزيلُ التوجسَ من بعض تصرفات الدولة المعادية ويفسره ويصبح مفهوماً فيزول التوتر «**يستطيعُ التجسسُ رفعَ مستوى التوتر في بعض الأوقات، ولكنه يستطيعُ تخفيضَهُ أيضاً. ويساعدُ في التعامل مع الشك والارتياب بشأن نوايا الطرف الآخر**»[4].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص98).

[2] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص86).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص389 – ص405).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص406).

وكذلك معرفة الآراء السِّيَاسِيَّة لرؤساء الدول وإستراتيجياتهم تجاه الدول الحليفة وإرسالها لصناع السِّيَاسَةِ «**يمتلكُ القادةُ الأمريكيون شهيةً لا تشبعُ للمعرفة عن أندادهم الأجانب، إنهم يرغبون في معرفة سياساتهم وشخصياتهم، ويريدون إدراك طبائعهم. وتكرّس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الكثير من الوقت والجهد لخدمة هَذِهِ المتطلبات**»[1]، وترى ذلك في طلب الاستخبارات الأمريكية من المعتقل لديها في غوانتانموا ومراسل قناة الجزيرة سامي الحاج أن يصبح عميلًا لها فيجري مقابلات مع الزعماء فيذكر كل شيء يُمْكِنُ ملاحظته حولهم، ينقل سامي الحاج عن الاستخبارات طلبها: «**عندما يطلب منك مثلًا أن تُجرِي مقابلة مع معمر القذافي، تصف لنا المكان والإجراءات الأمنِيَّة وتحركات القذافي، وتصرفاته، وطريقة كلامه بعيونه، وعلمه، والملاحظات التي تراها، فهذا يفيدنا في عملنا**»[2].

وتكلم ضابط الاستخبارات الأمريكي هنري كرامبتون عن محاولة تجسس على زعيم أجنبي تمت في أحد الفنادق بعد أن أخبرهم أحد المجندين العاملين هُنَاكَ بقدوم هذا الزعيم من خلال جهاز التحكم (الريموت) بوضع جهاز تحكم تَمَّ تعديله خصيصاً وصمم لالتقاط الصوت، يقول كرامبتون: «**أوجز زعيم أجنبي إستراتيجيته حيال دولةٍ مجاورةٍ، هي حليف وثيق للولايات المتحدة، وحوّلنا التقرير إلى مركز القيادة وإلى محطة وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في البلدين للاطلاع والتعليق، وسلمنا الاستخبارات إلى صانعي السِّيَاسَة في الولايات المتحدة وإلى الجهاز الحليف في البلد المجاور، وزودنا حليفنا بدوره بمزيد من المعلومات عن البلد المعني**»[3]. فالعمل الاستخباراتي يوصفُ دائماً بأنه «**خادمُ السِّيَاسَةِ**»[4].

---

[1] فن التجسس، هنري كرامبتون، ترجمة: أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 2014، (ص88).

[2] غوانتنامو قصتي، (ص134).

[3] فن التجسس، (ص89).

[4] فن التجسس، (ص150)، كُنْتُ رئيسًا للسي آي أي، (ص240).

إضافة إلى هذا، كَانَتْ المعلومات التي يَتِمّ الحصول عليها من التَّجْنِيد تساهم في تحصين الجبهة الدَّاخِلِيَّة، ويكون هذا من عدة أمور، منها:

1) القبض على الجواسيس الذين يعملون داخل أو في نطاق الدولة، ويكون ذلك باختراقِ أجهزة استخبارات الدول المعادية وكشفِ الجواسيسِ الذين يعملون داخل الدولة من داخلها «**ولا توجدُ طريقةٌ للإمساكِ بجاسوسٍ تابعٍ لجهازٍ معادٍ أفضلُ من اختراق ذلك الجهاز. وقد تَمَّ كشفُ عددٍ كبيرٍ من الجواسيس في الحكومة الأمريكية بفضل مصادر وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة التي كَانَتْ في صفوف أجهزة الدول الأجنبية**»[1]. فلذلك «**يَجِبُ أن تُخترَقَ الدوائرُ الدَّاخِلِيَّة على أعلى المستويات عند العدو حَيْثُ توضع الخطط ويتم اختيار العملاء**»[2] حتى تستطيع أن تكشفهم؛ فإن من أهداف الجَاسُوسِيَّةِ المضادةِ هي تحديدُ مكان العدو، والتعرُّفُ على العدو وتصيده -وفق تعبير ألين دالاس-[3].

2) إعاقة التقدم المهني للأشخاص المشتبه بهم أو تغيرهم من وظائفهم الحساسة أو إقالتهم منها. يقول رئيس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأسبق ألين دالاس إن أيَّ دولةٍ إذا أرادت أن تحمي نفسها من اختراق العدو فلابد أن تقوم ببعض الخطوات ومن بينها التأكدُ من ولاء موظفيها الذين يَشْغَلُونَ وظائفَ حساسةً[4].

وتطبيق ذلك تَمَّ في الحرب الباردة، فقد «**كَانَتْ الدولة تستخدم تلك المعلومات المجمعة سراً لتقوم بتدابير استباقية أيضاً. لذا كَانَتْ مثلاً تَتِمّ سراً إعاقة التقدم المهني للألمان الشرقيين الذين يُكتشَفُ أن لديهم اتصالات مع الغرب. وفي الغرب كَانَ الأشخاص الذين يُشتبه بأن لديهم**

---

[1] فن التجسس، (ص102).

[2] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص126).

[3] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص125).

[4] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص124).

ميولٌ شيوعية يمنعون سراً من شغل وظائفَ معينةٍ»[1]. وعندما حامت الشكوك وكثرت حول مشتبهٍ به اسمه «واتسون» والذي بعد البحث في ماضيه تبين أنه كَانَ منظراً ماركسياً في شبابه، وله علاقةٌ قويةٌ مع أعضاء شبكة كامبريدج الخماسية التابعين للاتحاد السوفيتي، وتملك زوجته وابنته عضوية في الحزب الشيوعي، وهو يعمل في موقعٍ حساسٍ تَمَّ نقله من عمله، فبناء «**على إصرار المخابرات البريطانية الدَّاخِلِيَّة جرى نقل واتسون فوراً من عمله ذي الطبيعة السِّرِيَّة إلى معهد دراسة المحيطات، حَيْثُ ظل يعمل هُنَاكَ حتى تقاعده»**[2].

ورغم أن هدف الجَاسُوسِيَّة المضادة هو هدف دفاعي إلا أن وسائلَهُ وسائلُ هجوميةٌ، هدفها الأمثل «**هو كشفُ خطط العدو في مراحلها الأولى أكثر من كشفها بعد أن تبدأ التخريب»**[3]، ولذلك ترى الجماعات أو المنظمات أن ضبط الأمن في داخلها يقي من الخسائر.



الشكل (2): أهدافُ التَّجْنِيدِ الاِسْتِخْبَارِيّ

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص401).

[2] صائد الجواسيس، (ص268).

[3] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص126).

وأخيرا يُمْكِنُ أن نختزلَ أهدافَ التَّجْنِيدِ الاِسْتِخْبَارِيّ بِشَكلٍ عامٍ في النقاط التالية:

1. الحصول على المعلومات الاستخبارية عن العدو وموارده وهيكليته التنظيمية وأهدافه بعيدةِ وقريبةِ المدى.
2. الوصول إلى الأسرار التِّقَنِيَّة (حول صناعة الأسلحة مثلاً) لتقليدها والاستفادة منها.
1. الحصول على معلومات مفيدة لكشف الاختراقات داخل الصف الداخلي والوقاية منها.
2. الحصول على معرفةٍ وافيةٍ حول بيئة عملياتيةٍ معينةٍ (على مستوى الجغرافيا، والسكان، والمنظمات...إلخ)
3. تخريب وتدمير إمكانيات العدو وموارده، مثل محطاته الكهربائية ومُفعِّلاته النووية.
4. تضليل العدو عبر بث الإشاعات والمعلومات المغلوطة وشنِّ الحرب النفسية.
5. توجيه العدو نحو قراراتٍ سِيَاسِيَّةٍ أو عَسْكَرِيَّةٍ معينةٍ تخدم خططنا.

المبحث الرابع: أثرُ الأعرافِ الشعبيةِ في عَمَلِيَّةِ التَّجْنِيدِ.

لا يُمْكِنُ تصور تجنيدٍ استخباريٍّ جيدٍ في محيطٍ مجهولٍ، كما يستحيل للعنصر الاِسْتِخْبَارِيّ أن يتعامل مع شعبٍ لا يعرفُ ثقافته وعُرْفَه. يعتمد التَّجْنِيد دائماً على معرفة الهدف معرفةً وافيةً. لا نتحدث هُنَا عن معرفة نقاط الضعف الخاصة به، بل عن تاريخه وحضارته وثقافته.

يُعَدُّ هذا قاعدةً مضطردةً بالنسبة للجماعات التي تمارس الحرب الثَّورِيَّة، وكذلك بالنسبة للدولة التي تواجه مقاومةً شعبيةً. فالأولى، يعتمدُ بقاؤها على انصهارها مع السكان واندماجها ضمن الثقافة الشعبية، وهذا يتطلب اطلاعاً واسعاً بأعراف السكان المحليين وظروفهم السِّيَاسِيَّةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ. أما الثانية فيعتمد نصرها في مكافحة التمرد على قدرتها في تحييد السكان عن العصابات، وتفكيك الثُّوَار من الداخل. وهو ما يتطلبُ أيضاً استخباراتٍ دقيقةً لتمييزِ المقاتلين عن غيرهم من السكان.

يذكرُ ستيفن غراي بهذه المسألة عند تحدثه عن أزمات الاحتلال الأمريكي في أفغانستان، فيقول: "لطالما كَانَتْ الاستخبارات عن خطط العدو وعن منطقة القتال أَسَاسِيَّةً بالنسبة للجنود. لكن أهميتها ازدادت كثيراً في الحرب ضد حركة الطالبان. وقد بدأ هذا في العام 2001، عندما غزت الولايات المتحدة أفغانستان وأسقطت حكم حركة الطالبان. وبحلول منتصف القرن الحادي والعشرين، كَانَتْ حركة طالبان قد أعادت تجميع صفوفها. وفي 2008، كَانَ هُنَاكَ حوالي مئة ألف موظَّفٍ عسكري أمريكي منتشرين في البلد، إلى جانب أربعين ألف جندي أجنبي آخر بقيادة الناتو (من بينهم تسعة آلاف بريطاني). كَانَ هذا العدد أكبر من عدد الجيش السوفياتي في الثمانينيات. وفي نهاية العام 2010 كَانَ قد قتل ما يزيد عن اثنين وعشرين ألف جندي في التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة.

كَانَ النزاعُ في أفغانستان أشبهَ بما يسميه الجيش حرباً غير تقليدية أو غير متماثلة، فقد كَانَتْ الحكومة الأفغانية وقوات التحالف تحاربان حركة الطالبان التي يتصرف أعضاؤها كمتمردين غير نظاميين، لا يرتدون ثياب مقاتلين ويعيشون سراً بين السكان، ويعتمدون وسائلَ حربِ

العصابات كنصبِ كمائنَ فجائيةٍ، وتجنب خوض معارك تقليدية. كَانَ هذا يسمى بلغة العسكر تمرداً كلاسيكياً.

ورغم أن المتمردين تاريخياً يميلون إلى الفوز في نزاعات كهذه، إلا أن الوسيلة الوحيدة المعروفة لهزيمتهم كَانَتْ باستخدام استخبارات فائقة الدقة. وكانت الإستراتيجيَّة الناجحة لمكافحة التمرد تستند إلى محاولة فصل السكان عن المتمردين، وحمايتهم منهم، وكذلك على محاربتهم أيضاً. ولكي يحصلُ هذا، هُنَاكَ حاجة إلى معلومات استخباراتية حول من يَجِبُ حمايته (الأصدقاء أو المحايدين) ومن يَجِبُ استهدافه (العدو). وقد كَانَ هذا الأمر صعباً، لأن الأجانب كانوا يعتبرون أن الجميع يشبهون بعضهم بعضاً ويعيشون معاً في أغلب الأحيان.

أعادَ أحد رؤساء استخبارات الناتو اللواء مايكل فلين وقتها، النظرَ في نقطة الضعف هَذِهِ في أوائل العام ألفين وعشرة، عندما كتب أن ضباط الاستخبارات بذلوا جهداً كبيراً جداً في التركيز على جماعات المتمردين، لدرجة أن جهاز الاستخبارات الكبير غيرُ قادرٍ على الإجابة عن الأسئلة الأساسية حول البيئة التي تعمل فيها الولايات المتحدة وقوات التحالف والأشخاص الذين يسعون إلى إقناعهم. وكان ضباطُ الاستخبارات الأمريكيين ومحلليها جاهلين بالاقتصاد المحلي وملَّاك الأراضي، ولا يعلمون من هم سماسرةُ السلطة، وكيف يُمْكِنُ التأثير عليهم، كما كانوا غير فضوليين بشأن العلاقات المتبادلة بين مختلف مشاريع التطوير ومستويات التعامل بين القرويين، ومنعزلين عن الأشخاص الذين يحتلون أفضل المناصب للعثور على الأجوبة.

الفجوة التي أشار إليها فلين كَانَتْ الاستخبارات البشرية، ولكنها لم تكن من نوع المعلومات الاستخباراتية السِّرِيَّة عالية المستوى التي يمكنها أن تأتي من جاسوسٍ كبيرٍ فقط، بل كَانَتْ من نوع الفهم الثقافي الذي يُمْكِنُ أن يكشفه حوارٌ عادي مع أشخاص محليين...

لكن كَرَّسَ بعد ذلك الجيشان البريطاني والأمريكي جهوداً ضخمةً لكي يصبحا أكثر حساسية فيما يتعلق بالبيئة البشرية المَحَلِيَّة، ولكن ذلك لم يكن كافياً قط، وقد جرت التحسينات من

قاعدةٍ منخفضةٍ جداً. مثلاً، بالكاد كَانَ ثلاثون شخصاً في الجيش البريطاني بأكمله في منتصف القرن الحادي والعشرين يستطيعون تكلم الباشتو بفصاحة وهي لغة جنوب أفغانستان، رُبَمَا حاولوا، ولكن الجيش لم يكن مجهزاً لتجميع المعلومات الاستخباراتية التي يحتاج إليها، وقد جاء إدراكهم لوجود نواقص لديهم في هذا المجال متأخراً جداً.

فبينما سيشطب بعض ضباط الاستخبارات هذا النوع من المعلومات الاستخباراتية الناقصة على أنه "ظواهر منخفضة المستوى" تتخطى حدود مسؤولياتهم، فإن غيابها كَانَ أحد الأسباب التي جعلت الحملةَ العَسْكَرِيَّةَ سيئةً. وقد ارتكبَ الناتو والولاياتُ المتحدةُ الكثيرَ من الأخطاء الفادحةِ في وادٍ أو آخرَ بالتعاون مع أمراءِ حربٍ غيرِ شعبيين أبداً، أو مسؤولين حكوميين فاسدين مرتبطين بقبيلةٍ معينةٍ. وأدى كل ذلك إلى استعداء القبائل الأخرى وتعزيزُ يدِ حركة طالبان."[1]

---

1 أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، ص 201

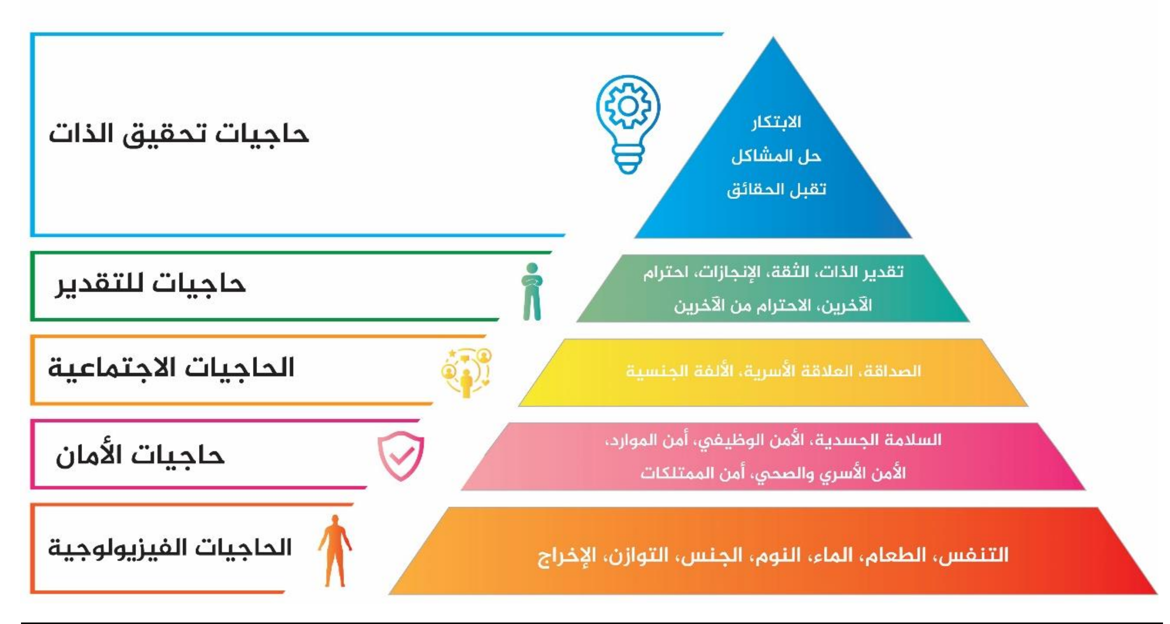
الفصل الثاني: دوافعُ التَّجْنِيدِ

"التجسس فنٌّ بشريٌّ معرضٌ إلى مقدار لا نهائي من التعديل. ولهذا السبب، من الصعب دائماً التعميمُ في موضوع التجسس، لكن دوافع الخيانة (الأيديولوجيا، الدين، المال، الابتزاز...إلخ) تميل إل أن تبقى كما هي".
(ستيفن غراي- أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ)

من أجل فهم أعمق لمسألة الدوافع الإنسانية، ينبغي علينا الخوضُ في موضوعٍ مهمّ جداً في عالم التَّجْنِيد، وهو "نظريات الاحتياجات الإنسانية". يُمْكِنُ القولُ إن الإنسان بطبيعة خلقته لا يُمْكِنُ أن يعيشَ في هذا الكون دون تحقيق مجموعةٍ من الحاجيات. وبالعودة إلى نظرية عالم النفس "أبراهام ماسلو" التي نشرها سنة 1943 في ورقته البحثيّة «نظريّة الدافع البشري» ونُشِرَتْ في مجلّة «Psychological Review»العلمية، يمكننا تصنيف الحاجيات الأساسية للإنسان وفق الترتيب التالي:



1. الحاجيات الفيزيولوجية: مثل الغذاء والتنفس والإخراج...
2. حاجيات الأمان في ممتلكاته وأسرته.
3. الحاجيات الاجتماعية المتمثلة في العلاقات العائلية وعلاقات الصداقة.
4. حاجيات التقدير من قبل الآخرين في المجتمع.
5. حاجيات تحقيق الذات من خلال الشعور بالإنجازِ في هَذِهِ الحياة.



الشكل (3): نظريةُ أبراهام ماسلو لترتيبِ الحاجياتِ البشريَّةِ

يعتقد ماسلو -وهو مصيبٌ في ذلك إلى حدٍّ كبيرٍ- أن أكثر المطالب قيمة لدى الإنسان هي تلك التي تحقق حاجياته الفيزيولوجية، أي تلك التي تضمن له البقاء على قيد الحياة. وعند تحقق هَذِهِ الحاجيات سيسعى الإنسان إلى المطالبة بالأمان للحفاظ على الحاجيات السابقة وضمان عدم فقدانها. فإذا ما تَمَّ له ذلك سيسعى الإنسان إلى تلبية حاجياته الاجتماعية، أي إقامةِ صداقات والانخراط في جماعاتٍ تجمعه فيها علاقاتٌ بأفرادٍ آخرين. فإذا تحققت له هَذِهِ الحاجةُ، ينطلق إلى المرحلة التالية وهي الحاجة إلى التفوق والتميز والحصول على التقدير من قبل الآخرين، وهو ما سيقوده بعد ذلك إلى المرحلة الأخيرة وهي تحقيق الإنسان لذاته من خلال الابتكار والإبداع ليصل إلى تطبيق الصورة الذهنية التي يريدها لنفسه. ولا يشترط الترتيب في تحقيق هَذِهِ الحاجيات بل قد يكون هُنَاكَ تداخلٌ بينها.

وبالعودة إلى الدوافع، يُمْكِنُ القولُ إن الدوافع هي: **رغبة الإنسان في تحقيق هَذِهِ الحاجيات، أي أن الدافعَ ينبُعُ من فقدان قدرة الإنسان على إشباع حاجته سواءً الفيزيولوجية أو الاجتماعية أو التقديرية، وهو ما يشكِّلُ داخلَهُ قوةً وإرادةً تحثُهُ بعد ذلك على الحركة والسعي والمطالبة بما يشبعُ هَذِهِ الحاجة.** إذاً فالدافع هو قوةٌ دَاخِلِيَّةٌ لدى الإنسان تتشكلُ عندما لا يجد ما يلبي أو يشبعُ إحدى حاجاته الفطرية.

أما الحوافز: فهي مجموعةٌ من العوامل الموجودة في بيئة الإنسان، والتي يمثلُ الحصول عليها استجابةً للدافع وإشباعاً للحاجة، ويكون وجودها سبباً في زيادة الإنسان سعياً وإرادةً ونشاطاً في الحركة. ولنوضح معنى الحافز أكثر يمكننا ضرب المثال التالي: فقدان الإنسان لحاجة الغذاء يشكل له دافعاً نحو العمل، ووجود الرواتب والأجور يمثلُ حافزاً لهذا العامل ليصبح أكثر فاعليَّةً وإنتاجيَّةً. **إذاً فالحوافز هي مجموعةٌ من العواملِ الخَارِجِيَّة المحيطةِ بالإنسان -عكس الدافع الذي يُعتَبَرُ قوةً دَاخِلِيَّةً- وقد تكون على شكل ترقيات ورواتب وأجور ومكافآت.**

والخلاصة: عدم إشباع الحاجة، يصنع الدافع؛ والحافز هو وجود المكافأة التي تلبي هذا الدافع وتشبع تلك الحاجة. ولو أردنا أن نضرب مثالاً من عالم التَّجْنِيد، لتناولنا حاجة الجنس مثلاً، فعدمُ إشباعِ هَذِهِ الحاجةِ يصنعُ دافعاً قوياً خاصةً لدى الشباب، وهنا يأتي ضابط الاستخبارات ويستغل هذا الدافع من خلال تقديم أحد الحوافز، فيطلب من هذا الشاب الذي يملك دافع الجنس تقديم المعلومات اللازمة مقابلَ ليلةٍ مع بغيٍّ أو داعرٍ، أو قد تكون البغي جاسوسةً مجندةً أصلاً. وسيأتي معنا ذكر أمثلة واقعية كثيرة من استخدام ضباط الاستخبارات لدافع الجنس.

وفي تحليله للعقلية الأمنِيَّة المصرية، يقول الباحث أحمد مولانا: "يعتمد ضباط الاستخبارات في عَمَلِيَّة تجنيد العملاء على معرفة كوامن النفس البشرية واستغلال نقاط الضعف فيها، حَيْثُ ينتقي الضباطُ عناصرَ معيّنةً للتجنيد بعد دراسة ظروفهم الاجتماعية والمادية والنفسية، ومن ثُمَّ يمارسون عليهم ترهيباً/ترغيباً شديداً لتجنيدهم، ويتم التركيز خصوصاً على العناصر المنشقّة عن جماعاتها أو حكوماتها نظراً لتوافر نوعٍ من العداء النفسي لدى هؤلاء مع كيانهم السابق، مما قد يدفعهم للانتقام وإعطاء ما يملكونه من معلومات للأجهزة الأمنِيَّة."[1]

---

[1] أحمد مولانا، العقلية الأمنِيَّة في التعامل مع التيارات الإسلامية، دراسةُ تحليليةِ الأمن المصري نموذجاً، طبعة أولى، إصدارات الجبهة السلفية في مصر، ص 24

والحقيقة، تكاد تكون دوافع التَّجْنِيد متشابهة في معايرَ محددةٍ لم تتغير منذ زمن بعيد، أو كما نقل ستيفن غراي عن رئيس الاستخبارات البريطانية: «**لم تظهر دوافعُ جديدةٌ منذ عصر ما بين بلاد الرافدين**»[1]. وهي لا تكاد تخرج عن «المال – الإيديولوجيا - الدين – التوريط والابتزاز - الأنا»[2]، ويتفرع عن «الأنا» أمور مثل «الانتقام - الخوف - الحسد - الجنس»[3]. وكلها في مجملها تعتمد على الحاجيات الإنسانية والجوانب النفسية، وقد تتداخلُ مع بعضها البعض.

من هذا المنطلق، يكتشف الضباط في كل عمليات التَّجْنِيد تقريباً تركيبةً من العوامل المحفزة ويستغلونها. بعضهم يصوغ العلاقات مع عملاء محتملين ارتكازاً إلى الحدس الجامح، وهو لا يعرف ما الذي سيزودونه به. ويكيد غيرهم ويخططون ارتكازاً على دراساتٍ نفسيةٍ واسعة. لكن ضابطُ العملياتِ الناجحُ هو الذي يدركُ أنه ليس الجزءَ الأهمَّ في عَمَلِيَّة التَّجْنِيد، فالعنصر الأساسي للعملية هو الشخصُ المستهدفُ نفسه، ولذا لا يسمحُ الضابطُ لأهدافه التكتيكية الخاصة أن تحجب تطلعات المستهدَف، إذ يتمثل الهدف النهائي في الكشف عن رؤية المستهدف وتفهمها والسماح له بتقديم خدمة استخبارية من تلقاء نفسه.[4]

وبالنسبة للحركات الثَّورِيَّة التي يعتمدُ وجودها على دعمِ القوى الشعبية، فإنها تنطلق خلال عَمَلِيَّة التَّجْنِيد من الظروف السِّيَاسِيَّة والاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها السكان المحليون، وتستثمر القضايا التي تؤثِّرُ فيهم بِشَكلٍ مباشرٍ، والتي عادةً ما يكون وجودها نتيجةَ السياسات العدوانية والقمعية للحكام الدكتاتوريين. ويمثلُ الفقرُ والقهرُ والإقصاءُ والتمييزُ الحاصلُ بسبب

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص26).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص25)، فن التجسس، (ص46).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص92-108).

[4] فن التجسس (ص 47)

فساد الحكام المَالِيّ وظلمهم وعنصريتهم وطائفيتهم؛ يمثلُ دوافعَ محفزةً لانخراط الأفراد ضمن صفوف الثُّوَار.

ومن أجل توضيحٍ أكثرَ لدوافع التَّجْنِيد وكيف تستثمرها الدول والجماعات الثَّورِيَّة على حد سواءٍ؛ سنقوم بتقسيم هذا الفصل إلى المباحث التالية:



الشكل (4): دوافعُ التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ

ولكن قبل الخوض في الدوافع بِشَكلٍ مفصل لابد من التنبيه على أمرين في غاية الأهمية:

أولاً: عادة ما يكون أحد هَذِهِ الدوافع هو الأساس في تجنيد أحدهم، لكن لا يعني هذا أن العميل لن يتأثر ببقية الدوافع كالمال أو الجنس. بل غالباً ما يَتِمّ إخضاع العملاء بعد تجنيدهم بتوريطهم أكثرَ فأكثرَ في الانحطاط. إذ قد يكون دافع أحدهم في البداية "الثأر" أو "الأيديولوجيا" أو "الدين"، لكنه مع الوقت قد يقبلُ بالمكافآت المَالِيَّة والجنسية فيصبح أسيراً لها.

ثانيا: قمنا بذكر أبرز الدوافع من أجل إفادة القُرَّاءِ، وتنبيههم لأساليب المخابرات المعادية في اختراق الحركاتِ الثَّورِيَّةِ والمجتمعاتِ. وذِكْرُنَا لهذه الدوافع لا يعني أننا نشرِّعُ استعمالها بالإطلاق، فمنها دوافعُ كثيرةٌ يُحَرِّمُها الإسلامُ ويمنعُ استخدامها لما تسببه من فسادٍ في المجتمعاتِ واستغلالٍ للبشريةِ.

أولاً: القومية

نشأت القومياتُ والوطنياتُ في القرن التاسع عشر كمفهوم اجتماعي بعد الثَّوْرَة الفرنسية، حَيْثُ كَانَتْ الشعوبُ في أوروبا تميّزُ نفسها عن غيرها انطلاقاً من انتمائها الديني، ولكن بعد طغيان العلمانية على تلك الشعوب أصبحت تُميّزُ نفسها انطلاقاً من القوميات والوطنيات، فظهرت القوميةُ الفرنسيةُ والقوميةُ البريطانيةُ والقوميةُ الألمانيةُ...إلخ

وترمُزُ القومية في أوروبا إلى **التعلق العاطفي والولاء والانتساب لأمةٍ محددةٍ بصفةٍ خاصةٍ واستثنائيةٍ عن البلدان الأخرى**، بحَيْثُ يوالي مواطنو هذا البلد بعضهم البعض بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية. وفي أوروبا لم يكن هُنَاكَ فرقٌ واضحٌ بين القومية والوطنية، فقد كَانَتْ الكلمتان مترادفتين في المعنى تقريباً. لكن في العالم الإسلَامِيّ ظهرت القوميات أولاً مثل القومية التركية والعربية، وكانت ترمز إلى الولاء إلى عرق معين، ثُمَّ ظهرت الوطنية وأصبحت ترمز للولاء للوطن الذي تَمَّ رسم حدوده باتفاقية سايكس بيكو ومثيلاتها مثل الوطنية السورية والمصرية والعراقية والأردنية...إلخ لذا فالقومية في عالمنا الإسلَامِيّ أوسع من الوطنية، ويعودُ وجودُ كليهما بِشَكلٍ أَسَاسِيّ إلى الاستعمار الذي استخدمهما كأداة غزوٍ فكريّ وتفكيكٍ دَاخِلِيّ للعالم الإسلَامِيّ.[1]

وحبُّ الإنسانِ موطنَهُ الذي وِلدَ فيه، ودرجَ عليه، أمرٌ فطريٌّ، لا يلامُ عليه أحدٌ، ولكن المنكر كل النكارة، أن يعقدَ الولاءُ والبراءُ على هَذِهِ الأوطان، فيوالي الشخص من كَانَ من بني وطنه ولو لم يكن مسلمًا، ويتركُ موالاةَ من كَانَ من وطنٍ آخرَ ولو كَانَ مسلمًا، هذا منكرٌ عظيمٌ في الإسلام، فإن الرابطة الوحيدة التي جعلها الله بين المسلمين هي رابطةُ الدين، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} الحجرات:10. فالمسلمُ يألمُ لكل مصابٍ ينزلُ بوطنٍ من أوطان المسلمين، كما لو نزل هذا المصاب بوطنه؛ لأن المسلمين في توادهم، وتراحمهم،

[1] انظر سفر الحوالي، أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية ص 117.

وتعاطفهم، كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.[1] وإذا قاتلَ هذا المسلمُ عن وطنه، فإنه إنما يقاتلُ عنه لأنه وطنٌ مسلمٌ، ويقاتلُ عنه دفاعاً عن ماله وأرضه، لا لمجرد الوطنية المحضة.[2]

عودةً إلى القومية والوطنية كدافع من دوافع التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ، كثيراً ما يقعُ العداءُ بين طائفتين تتعصب كل واحدةٍ منها لوطنها أو عرقها أو قبيلتها، بحَيْثُ يكون بعض أفرادها أو قادتها مستعدين للتعاون مع كل من يبسط لهم يدَ المساعدة، سواءً المَالِيَّة أو العَسْكَرِيَّة أو التِّقَنِيَّة، أو حتى الإعلاميَّة. وهنا يأتي دور الاستخبارات في البحث عن هَذِهِ النزاعات واستثمارها وإدارتها لصالحها، ولا بأس للاستخبارات الإسلَامِيَّة أن يكون لها دورٌ في ذلك، **إذا كَانَتْ هَذِهِ الحمية تتجه نحو نصرة المظلوم ودفع الصائل والحفاظ على أرض وممتلكات المسلمين بِشَكلٍ خاصٍ والمظلومين بِشَكلٍ عام.**

يُعَدُّ هذا الدافع القومي من أصدق الدوافع التي ينطلقُ منها الجَاسُوسُ ليتحدى المخاطرَ ويقتحمَ الصعابَ من تلقاء نفسه وبطيبِ خاطره، معتقداً أثناء ذلك أنه يقوم بتحقيق أهدافه النبيلة، وأنه يخدمُ مصالحَ وطنه أو قومه أو قبيلته.. بخلافِ الجَاسُوس الذي يمارس عمله من أجل المال أو الجنس، أو بدافع الإكراه.. فتجدُهُ غالباً ما يطغى عليه التردد والجبن والخور والاضطراب، نتيجةَ الشعورِ بالذنبِ، وهو معرَّضٌ دائماً للانقلاب في أي لحظةٍ.

وفي ضوء ما يعيشه العالم الإسلَامِيّ من احتلال أجنبي وعدوان على الأوطان والشعوب على حدٍّ سواءٍ، قد يكون هذا الدافعُ مصدراً هاماً لتجنيد الكثير من الأفراد لصالح الثُّوَار، وخاصة في المناطق التي تتميز بطابعها العرقي والعشائري. نجدُ مثلاً دوراً كبيراً للدافع القبلي في أفغانستان في تجنيد الأفغان مع الطالبان ضد التحالف، حَيْثُ أن الممارسات المهينة والعدائية

[1] عن النعمان بن بشير، متفق عليه.

[2] موقع إسلام ويب، ما منظور الدين نحو القضية الوطنية، فتوى رقم 308587. تاريخ النشر: الثلاثاء 16 ذو الحجة 1436 هـ - 29-9-2015 م (https://2u.pw/nH5Ya)

التي يمارسها جنود التحالف في أفغانستان تساهم في إحياء مشاعر الحمية والشرف والكرامة لدى أفراد القبائل الأفغانية. وفي سوريا نجد للدافع العرقي دوراً فعالاً لتجنيد الأكراد ضد حكومة الأسد، وذلك بسبب التمييز العنصري الذي مارسته هَذِهِ الحكومة طيلة عشرات السنوات ضد الأكراد. وفي فلسطين تُعَدُّ الوطنية عاملاً مهماً لتجنيد الثُّوَار ضد اليهود المحتلين الذين يشكلون تهديداً وطنياً شاملاً على الفلسطينيين بغض النظر عن دينهم أو عرقيتهم.

وأما من حَيْثُ استثمار الدول لهذا الدافع، فقد قامت بريطانيا خلال العقد الأول والثاني من القرن العشرين باستغلال القومية العربية في تمزيق الدولة العثمانية التي كَانَ الأتراك على رأسها، بتجنيد الشريف حسين وأولاده الذي خرج على العثمانيين فيما يسمى بالثورة العربية الكبرى.

وتعد الحمية الوطنية والقومية دافعاً تقليدياً أيضاً لانخراط بعض رجال الاستخبارات في الأجهزة الاستخباراتية بغيةَ الدفاع عن أوطانهم أو بلدانهم، لذلك قد تجد ضابط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «هنري كرامبتون» لما سُئِلَ لماذا تريد الانضمام إلى وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة؟ أجاب: «**لأنني أحب بلادي وأريد خدمتها، وهذه هي الطريقة الأفضل للمساهمة**»[1]، لذلك تراه يقول قبل غزو أفغانستان: «**ستوفر لي وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة والرئيس تلك الفرصة والشرف والامتياز في خدمة أمتنا والقضاء على أعدائنا بما يفوق كثيراً أجرأ أحلام فتوتي**»[2].

قد يتداخلُ حبُّ الدفاع عن الوطن مع الامتيازات المَالِيَّة طبعاً والترقي. لكن رئيس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأسبق ألين دالاس يُجَرِّد هَذِهِ الرغبة من العمل في الاستخبارات ويجعلها خالصةً لأجل الوطن فيقول: «**إن مواطنينا لا ينضمون إلى جهاز المخابرات من أجل**

[1] فن التجسس، (ص34).

[2] فن التجسس، (ص226).

عائدٍ ماديٍّ أو لأن الجهاز يوفِّرُ لهم في مقابل هذا العمل مناصبَ عليا، إنهم ينضمون إلينا حتى تُتاحَ لهم فرصةُ خدمة البلاد»[1].

ويَجِبُ التنبيه أن في كلامنا عن دافع الوطنية أو الوطن، فإننا نعطي توصيفاً مجرداً ولا نصدر حكماً، فالبعض يضع يديه في أيادي الجهات الخَارِجِيَّة من أجل تغير نظام الحكم في بلاده، تحت دافع الوطنية، فاستخدام وصف «الوطنية» لا يصيِّرُ هذا الفعل بالضرورة إلى فعلٍ مستساغٍ أو مقبولٍ.

وقد تكلم «هنري كرامبتون» بعد أن أصبح رئيس المصادر الوطنية، أنه أصبح يلتقي نوعاً جديداً من المجندين والمتعاونين، وهم الرؤساء التنفيذيون للشركات الأمريكية الكبرى، يحكي هنري قصة أحدهم قائلًا: «**جلس الرئيس التنفيذي، وهو عصامي من أصحاب الملايين وأحد القادة في قطاعه، في مكتبي في قسم المصادر الوطنية في مقر وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة. وقد جاء إلى هُنَا من قبل، فهو يتعاون مع وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة منذ سنوات**»[2].

ولكن كيف لرجل مثله أن يساعد الاستخبارات؟ يُجِيبُ هنري: «**شرح لي بإسهاب كيف أن بنيته العالميَّة السفلى أفادت عمليات وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة، وتضمنت المساعدةُ المقدمةُ توفيرَ الغطاءِ لبعض الأفعالِ العَمَلانيَّةِ المحددة والوصول إلى الأهداف الأجنبية البشرية منها والتقنية والدعم الإداري لعمليات محددة**»[3].

ثُمَّ يقول هنري واصفاً له ولدوافع عمله مع الاستخبارات: «**امتلكت شركته مكاتب في كل أنحاء العالم وفي وسع موظفيه الذهاب إلى أي مكان. وسيتوقُ أي شخص تقريبًا إلى لقاء ممثلي شركته بسبب ما تحظى به نوعية عمله من شهرةٍ وقوةٍ ماليةٍ. وأدركَ ما يستجلب ذلك**

---

[1] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص246).

[2] فن التجسس، (ص245).

[3] فن التجسس، (ص246).

من المخاطر عليه وعلى موظفيه ومستثمريه. لكنه أعتنقه لأن واجبه يحتِّمُ عليه خدمة شركته وبلاده وحمايتهما. وهو ممتنٌ لأن وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة منحته هَذِهِ الفرصة في المساهمة»[1].

[1] فن التجسس، (ص247-248).

ثانياً: الأيديولوجيا

يُستخدمُ الدين أو الأيديولوجيا أحياناً كمدخلٍ مهم للتجنيد، وقد تتضارب رؤى ضباط الاستخبارات في إثبات فَعَّالِيَّة هذا الدافع، فمثلًا يرى البعض أن «**الدوافع الأيديولوجية هي الأسوأ؛ لأنه لا يمكنك إثباتها. إذ لا يمكنك إثبات عقيدة الشخص الفعلية، وبإمكان الوضع السياسي أن يتغيَّر وبالتالي قد يزول سبب عمله معك**»[1] بينما يرى البعض عكس ذلك ويرون أن أنجع دوافع التَّجْنِيد هي الدوافع الأيديولوجية مثل المحلل في شؤون التجسس ديفد بين آريه الذي يقول: «**كَانَ جورج بليك عميلًا إيديولوجياً؛ إنه النوع الأفضل**»[2]، ويرجع رئيس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة السابق ألين دالاس هذا الرأي فيقول: «**وإذا كَانَ المتطوعُ يقومُ بعمله من منطلق أيديولوجي وهو مخلصٌ في هذا الصدد فنادراً ما تكون هنالك حاجة للشك في ولائه**»[3].

والسبب الرَّئِيسِيّ لعمل ضابط الاستخبارات البريطاني كيم فيليبي لصالح الاستخبارات السوفيتية هو **إيمانه بالشيوعية**، فلم يدقق جهاز الاستخبارات السِّرِيَّة البريطاني في تاريخ كيم فيليبي الذي كَانَ منخرطاً فيما مضى في نشاطات يسارية عَسْكَرِيَّة وكونه متزوجاً من امرأةٍ شيوعيةٍ ألمانية تُدعى ليتسي فريديمان[4]. ولم تكن مجردَ امرأةٍ شيوعيةٍ بل كَانَتْ «**عميلة للكومنترن في أوروبا منذ فترة طويلة**»[5] ولعبت دوراً في نقل الرسائل والتجنيد[6]. بل كَانَ كيم فيليبي نفسه مندهشاً من سهولة انضمامه إلى المخابرات، فتراه يقول: «**وقد أدهشني سهولة**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص108).

[2] وثائقي: الجواسيس المزدوجون، الحلقة الثالثة: جورج بليك، الجزيرة الوثائقية.

[3] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص167).

[4] أنظر: أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص73-76).

[5] صائد الجواسيس، (ص238).

[6] صائد الجواسيس، (ص248-340).

الانضمام، وظهر لي فيما بعد أن التحقيق الوحيد حولي الذي قامت به المنظمة في سجلاتها، أفضى إلى جملة واحدة: لا تسجيلات ضده»[1].

ويوضح كيم فيلبي سبب عمالته للاتحاد السوفيتي فيقول:

«إن كارثة حزب العمال عام 1931 أدت بي إلى التفكير جدياً في البحث عن رديف لحزب العمّال. وهكذا بدأت في تنشيط عملي مع جمعية كمبردج الاشتراكية، وأصبحت أمين صندوقها سنة 1932-1933، وقد أدى بي ذلك إلى الالتقاء مع كثير من التيارات اليسارية المعارضة لحزب العمال، ومنهم الشيوعيون. وازدادت مطالعاتي واهتماماتي بكلاسيكيات الاشتراكية الأوروبية، وازدادت كذلك نقاشاتي داخل الجمعية. كل هذا كَانَ تطوراً بطيئاً ومضنياً، فتحولي من وجهات النظر الاشتراكية إلى الشيوعية تطلب مني عامين. وفي سنة تخرجي في كمبردج عام 1933، استطعت انتزاع كل الشكوك من قلبي. فخرجت من الجامعة وكلي يقين بأن حياتي يَجِبُ أن تكرس من أجل قضية الشيوعية»[2].

وكذلك عدم التدقيق في الماضي الشخصي للموظفين جرَّ إلى اختراقات حساسة لترسانة وول ويتش المَلَكِيَّة (أكاديمية عَسْكَرِيَّة بريطانية) عبرَ مهندسٍ شيوعيٍّ قديمٍ يعمل داخلها اسمه «بيرسي غليدنغ» الذي تَمَّ ضبطه وهو يتجسس لصالح الاتحاد السوفيتي سنة 1938م. [3]

وقد كَانَ الحزب الشيوعي البريطاني أيضًا حلقة وصل بين جواسيس تابعين له والاتحاد السوفيتي، حَيْثُ كَانَ «هالدين» العامل في محطة تجارب الغواصات التابعة لسلاح البحرية في هاسلر، والتي كَانَتْ تعمل تجارب تقنيات الغطس العميق، كَانَ يقوم بتزويد «**المعلومات**

---

[1] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، (ص26).

[2] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، (ص13-14).

[3] صائد الجواسيس، (ص45).

إلى الحزب الشيوعي البريطاني الذي كَانَ بدوره يقوم بتوصيلها للمخابرات العَسْكَرِيَّة الروسية في لندن»[1].

وأما الجَاسُوسُ «جورج بليك»، فبدأت قصته عندما كَانَ عمره عشر أو أحد عشر عاماً وأُرسِلَ إلى أقاربه في الإسكندرية بمصر وهنالك «**وقع تحت نفوذ عمه هنري كوريل الذي كَانَ أحد مؤسسي الحزب الشيوعي المصري**»[2]، وبعد نشوب الحرب العالميَّة الثانية بدأ في عمله التجسسي وكان فعالاً ضد الألمان، ثُمَّ أصبح ضابطَ فريقٍ أو المشغِّلَ المسؤول عن الجواسيس إلى أن أصبح ضابطاً في الاستخبارات البريطانية الخَارِجِيَّة IM6 ثُمَّ أُرسل تحت غطاء نائب قنصل إلى كوريا الجنوبية. ومع نشوب الحرب الكورية سنة 1950 تَمَّ أسره واعتقاله، وتعرض لتقنيات غسل الدماغ من أجل تحويل ولائه. يقول الباحث كيفين أوكونور الذي درس سيرة حياة جورج بليك: «**أعتقد أن ضغوط الأَسْرِ سرعت تعاطفه الفطري مع الشيوعية**»[3] ولم يلبث طويلًا حتى يَعْرِضَ عليهم العملَ والتعاونَ من أجل «**أن يكشف العمليات البريطانية الموجهة ضد الاتحاد السوفيتي ومجموعة الدول الاشتراكية**»[4].

وقد بقي «جورج بليك» وفياً على هذا العهد وكان له أثرٌ مدمِّرٌ في قضية نفق برلين، من حَيْثُ الجهد والوقت اللذان بُذِلا فيه «**إذ قام فريقٌ مشتركٌ من الاستخبارات البريطانية والمخابرات الأمريكية المَرْكَزِيَّة بحفر نفقٍ تحت القطاع الروسي في برلين، في فبراير 1955، ووضع أجهزة تنصت على مركز الاتصالات الرَّئِيسِيّ للقيادة العَسْكَرِيَّة السوفياتية، وقام موظفو**

---

1 صائد الجواسيس، (ص197).

2 وثائقي: الجواسيس المزدوجون، الحلقة الثالثة: جورج بليك، الجزيرة الوثائقية.

3 المصدر السابق.

4 المصدر السابق.

البريد بإنجاز العمليات الكهربائية في هذا النفق، وقد حصلت الوكالتين على شرائط هائلة تَمَّ جمعها من النفق»[1].

ولكن لم يدم النفق طويلًا «**فلم نتوقع وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة أن تنكشف العَمَلِيَّة على هَذِهِ الدرجة من السرعة. فقد استمرت لأقل من سنة حتى شهر أبريل التالي عندما تَمَّ العثور على النفق. فالكرملين عرف بشأنه منذ البداية، قبل أن يَتِمّ نبشُ أولِ كومةٍ من التراب. كشف المخطط الجَاسُوس السوفياتي المزروع في الاستخبارات البريطانية جورج بليك الذي حوّل ولاءاته عندما كَانَ أسير حربٍ في كوريا الشمالية، وأطلع السوفيات على السر منذ أواخر 1953**»[2]. وبقي النزاع قائماً حول المعلومات التي سمح الاتحاد السوفيتي أن تنفذ تجاه الدول الغربية والتي كَانَتْ تتجسس من خلال النفق.

وفي الجانب الآخر يزعُمُ ألين دالاس رئيس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأسبق أن أغلب الذين ينشقون عن الاتحاد السوفيتي ويلجؤون إلى أمريكا إنما يفعلون ذلك «**لأسباب إيديولوجية محضة، فهؤلاء يشمئزون من العيش في العالم الشيوعي ويريدون شيئًا أفضل لأنفسهم**»[3].

كما أن الدين لا يقل عن الإيديولوجيا في هذا الباب، فقد يُشرعَنُ عمل التجسس لصالح الدولة إن كَانَ المفتي يؤمن بشرعية الدولة والدفاع عنها وصحة بيعة الحاكم، وأن أي انتقاد فهو هَدمٌ لهذه الدولة، فعندما خرج الدكتور سعود المطيري قائلًا بوجوب إقامة الحد على ولي الأمر إن زنى من قبل أهل الحل والعقد، رد عليه د.صالح الفوزان بفتوى تقول بأنه

---

[1] صائد الجواسيس، (ص56).

[2] تيم واينر، إرث من الرماد: تاريخ وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة، ترجمة: أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 2011، (ص162).

[3] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص134).

يَجِبُ أن يُبلغ عنه وعن أمثاله حتى تأخذَ الدولة على يديه![1] وأحياناً قد يتطور الأمر إلى أن الذي لا يبلِّـغُ عن المخالف يصبح مثله، فقد أكد وزير الشؤون والدعوة والإرشاد في السعودية، عبد اللطيف آل شيخ أن جماعة الإخوان هم خوارج هذا الزمن، والتبليغ عنهم لدى الجهات المسؤولة واجب شرعي، ومن لم يبلغ أو يخبر الجهات المسؤولة فهو مثلهم![2]

وما بين (وجوب التبليغ/ والتبليغ)، كَانَ أحد الدعاة المشهورين متعاوناً مع جماعة جهيمان في الدعوة، وثم انقطعوا عنه، «**ولما عوتبوا، وروجعوا، وذهب بعض الناس إلى جهيمان وقالوا له: لماذا لم تعودوا تتعاونون معه في الدعوة؟ فكان ردّ جهيمان بالحرف الواحد: "هُنَاكَ مجالس سريّة تمّت بيننا بلغت الحكومة، من بلّغها؟!"**»[3].

وقد يتطور الأمر من (تبليغ ولاة الأمر إلى تبليغ سادة ولاة الأمر) ولو كانوا كفّاراً حربيين، فقد استطاع بعض تلاميذ أبي الحسن المأربي في منطقة مأرب، تجنيد بعض طلبة العلم ضد مقاتلي تنظيم القاعدة في اليمن، وإقناعهم بالعمل في الجَاسُوسِيَّة تحت ستار محاربة الخوارج، يقول الجَاسُوس علي أحمد ثابت حسن وهو مُدرِّسٌ في مركز أبي الحسن المأربي: «**كَانَتْ التعبئة أن هؤلاء مخربون وخوارج، فأقوم بهذا العمل (الجوسسة)، فيكون أجراً وأجزى عليه**» [4].

---

[1] اتصال مع خالد بن مبارك الهيم بتاريخ، 9 سبتمبر 2018 وقد نشره هذا الأخير في حسابه على تويتر بنفس اليوم.

[2] قناة العربية، برنامج سؤال مباشر، لقاء مع عبد اللطيف آل شيخ، 13 نوفمبر 2020.
(https://2u.pw/CywKA)

[3] سلسلة ولكن كونوا ربّانيين، الحلقة الثالثة: جماعة جهيمان وحادثة الحرم، لأبي محمد المقدسي مؤسسة التوحيد للإنتاج الإعلامي.

[4] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني، مؤسسة الملاحم، الجمعة 19 جمادى الأولى 1440 هجري، الموافق لـ 25 يناير 2019 م.

وهذا يتوافق مع الرغبة الأمريكية في بناء تحالف من رجال الدين المنتسبين إلى الإسلام ضد القاعدة، فضابط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «هنري كرامبتون» قال: «**يَجِبُ أن نبني التحالفات مع لاعبين آخرين غير حكوميين. علينا وعلى حلفائنا المسلمين أن نهزُمَ القاعدةَ معاً**». فلما سئل: هل يشمل ذلك رجال الدين المسلمين؟ أجاب: «**نعم**»[1].

وشرعنة العمل في الاستخبارات ضد الجماعات الإسلَامِيَّة أو الثَّورِيَّة على اعتبار أنهم خوارج هو أسلوب متبعٌ من قبل المخابرات، فالاستخبارات الأردنية بعدما جندت «أحمد رشدي راشد السيلاوي» يحكي هذا الأخير أساليب المخابرات الأردنية في شرعنة العمل الاستخباراتي تحت غطاء الدين فيقول: « **كَانَتْ المخابراتُ الأردنيةُ تستعينُ بالشيخ علي الحلبي في أشرطةٍ خاصةٍ من أجل الإيحاءِ بأننا نعمل في سبيل الله ضد الإرهاب والتكفير ونحو ذلك**»[2].

ولكن حتى الجماعات المجاهدة تُعرِّفُ التَّجْنِيدَ أنه نصرةٌ للدين -رغم الاختلاف الكبير في المفاهيم بين الفريقين-، تُعرِّفُ جماعةُ فتح الإسلام التَّجْنِيد العقدي على أنه «**محاولة المنظمة تغيير مسار شخصٍ بمواصفاتٍ معينةٍ وإدخاله مضمار العمل الجهادي دون أي فوائدَ أو مصالحَ دنيويةٍ من قبل المجند ليصب عمله لنصرة الدين في صالح التنظيم إما مادياً – معلوماتياً – مالياً – عسكرياً**»[3].

وهذا في حال الدعوة العادية، ولكن في حال الحرب فإن المُنظِّرَ الثَّورِيّ المعروف أبو مصعب السوري يرى أن تجنيد جنود العدو يكون بعد أسرهم ولابد أن يكون من خلال عَمَلِيَّة تثقيف دينية وشرعية حتى يصبحوا مجندين لصالحك، فيقول: «**تجنيد أسرى العدو في**

---

[1] فن التجسس، (ص207).

[2] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني.

[3] إضاءات على أمن صقور التنظيمات، عبد الله صقر، تنظيم فتح الإسلام الطليعة المقاتلة في بلاد الشام، نشر: الخميس الموافق الخامس عشر من ربيع الأول لعام 1435 للهجرة، (ص204).

صفوفك، متى يحصل؟ يحصل عندما يكون أسرى العدو من أبناء الشعب المتعاطف معك، إما جاهلٌ أو مكرهٌ، هؤلاء لو تعرضوا لدورات غسيل نفسي وغسيل شرعي وديني يرجعون إلى أصولهم، يرجعون مسلمين، فإذا ثبت لك أنه ما زال بينَ بينَ، تضعه في الخدمات الخلفية، ولكن يخرجُ منهم ناس مخلصون أكثرَ من الناس الذين دخلوا طواعيةً»[1].

وأما على مستوى الدول، فقد يحصل أيضاً تسريب للأخبار السِّرِيَّة بسبب التعاطف الديني، يقول نائب رئيس الاستخبارات المصرية عبد الفتاح أبو الفضل: «**قبل العدوان الثلاثي بمدة عندما كَانَتْ فرنسا وإنجلترا تحفزان وتهددان مصر على أثر تأميم قناة السويس كَانَ لزكريا العادلي صديقٌ تركي يشغل مركزاً مهماً بالأمن التركي. ووصلت معلومةٌ لهذا الموظف التركي الكبير بحكم وظيفته تؤكّدُ استعدادات فرنسا وإنجلترا لشنِّ هجومٍ على مصر وأن مناطق وطوابير التجمع للغزو العدواني مجتمعةٌ في قاعدة قبرص. ذهب الصديق التركي بعد منتصف الليل إلى منزل ملحقنا العَسْكَرِيّ في تركيا وأبلغه بتفاصيل هَذِهِ الاستعدادات شعوراً بانتمائه الإسلَامِيّ الذي يحتم عليه إعانة ومساعدة إخوانه المسلمين في مصرَ ودون أي مقابلٍ**»[2].

والخلاصة:

إن اتخاذ الدين مدخلاً للجاسوسية والتجنيد لصالح الأعداء، فهذا أمرٌ متوقعٌ، لأن كل المصائب الآن تبرر بالدين، فأصبح الدين باباً مشرعاً بلا زمام فكيفي أن تقول إن هذا الفعل جائزٌ وفقَ الضوابط الشرعية حتى يصبح الحرام حلالًا، ومع ذلك قد يكون هذا السلوك مفهوماً، إن تجسَّسَ أو تعاون شيخٌ أو طالبُ علمٍ مع حكومةٍ هو يراها مسلمةً أو لها شرعيةً دينيةً، حديثٌ لم يستحِ البعض أن يقول: «**كلنا علماء سلطة، أفي هذا مانع؟ إذا كَانَتْ سلطتنا**

---

[1] شرح كتّاب حرب المستضعفين لروبرت تابر، مؤسسة التحايا، (ص514).

[2] عبد الفتاح أبو الفضل، كُنْتُ نائباً لرئيس المخابرات، دار الشروق، طبعة أولى، 2001، (ص182).

مسلمة، نتعاون معها على الخير فما المحظور؟!»[1]، ولكن غير المفهوم هو التعاون مع الكفار الحربيين الذين يحتلون أراضي المسلمين ويقصفون بيوتهم ويحرقون أرزاقهم، على أيّ أساسٍ يؤجر عليه صاحبه ويثاب؟!.

ومن تصفح مدونات الحديث، يرى أن حديث ابن همام في الصحيحين الذي قال: «كنّا جلوساً مع حذيفة بن اليمان في المسجد، فجاء رجل جلس إلينا، فقال لحذيفة إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة -إرادة أن يسمعه-: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**لا يدخل الجنة قتات**)[2]»، والسلطان المقصود في هَذِهِ الرواية كَانَ عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ثالث الخلفاء الراشدين[3]، ومع ذلك رأى حذيفة أن إيصال أخبار الناس إلى السلطان بغرض الإفساد فعلٌ لا يُدخِلُ صاحبه الجنة كما قال الرسول، فكيف إذاً بإيصال الأخبار إلى الكفار المحتلين لبلاد المسلمين من أجل الإضرار بالمسلمين القائمين بفريضة الجهاد؟!

إن دافعَ الدين يُستخدمُ كذلك من الجهة المقابلة في التيار الثَّورِيّ الإسلَامِيّ، فأُسُّ العملِ ومشروعيتُهُ تقوم على الدين، فكل عمل يُقام به – من وبينها التَّجْنِيد- تحت أي تخصصٍ داخل التنظيم يكون المقصدُ من فعله هو ابتغاء ما عند الله والدار الآخرة، فكان المحفز الديني هو المحرِّكُ لهم للعمل والحركة، فهذا الدين هو الذي أمرَ وحثَّ وأحبَّ وأثابَ من فعل ذلك، فتجِدُ مثلاً أن المسؤول الأمني في القيادة العامة في تنظيم القاعدة «عبد الله العدم» أثناء قيامه بدورة في الأمن وحروب العصابات، تراه يتكلم عن نفسه وعن من معه ويقول: «**كلنا نريد أن نخدم دين الله عز وجل وما جئنا وما هاجرنا وما تركنا أهالينا وأوطاننا إلا**

---

[1] عبد العزيز آل شيخ: كلنا علماء سلطة، رابط: https://youtu.be/d9WcXWI2Meo

[2] صحيح البخاري (6056)، صحيح مسلم (105).

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار السلام، الطبعة الأولى: 2000، (580/10).

لخدمة هذا الدين»[1]، وقد رأيت أن هَذِهِ النقطة من البديهية بمكان من أن تُعرَضَ ضمنَ خانةِ الدوافع.

ولكن قد يتداخل الدين والأيديولوجيا في هَذِهِ الحالة، فيقول لو كَانَ الدافع هو الدين فما الذي يجعل الشاب ينضم إلى تنظيم القاعدة مثلاً ولا ينضم إلى حزب التحرير الإسلَامِيّ أو العكس؟ هل لأن دين هؤلاء يختلف عن دين أولئك؟ والجواب: أن دينهما واحدٌ، ولكن رؤاهما السِّيَاسِيَّةُ تختلف أو أيديولوجيا كل جماعةٍ تختلف عن الأخرى، وهي التي تُحَدِدُ أساليبَ العملِ، والبعض ينضم إلى تلك الجماعة لأنه يرى في أساليبِ عملها أنها تقوم بالدين أفضلَ وأكملَ من غيرها أو بالشكل الصحيح. فالرؤية الأيديولوجية قد تتداخلُ مع الدين أحياناً.

[1] سلسلة: صناعة الإرهاب، عبد الله العدم، الحلقة الثانية: المبادئ العامة للأمن، مركز الفجر للإعلام، شوال 1431 هـ - سبتمبر 2010 م.

ثالثاً: الجنس

الجنسُ: بابٌ واسعٌ من أبواب التَّجْنِيد، ويتفرعُ إلى أقسامٍ، وتختلف فيه الطرق للوصول إلى المعلومة. وتعريفنا الجامع لهذه الأساليب هو: **الإغراءُ الجنسيُّ باستخدام المواد الإباحية أو العلاقات العاطفية من أجل الإدلاء بالأسرار قصداً أو جهلًا أو من خلال إيقاع الشخص في الزنا طوعاً وتوثيقُ ذلك وابتزازه.**

فمن أول هَذِهِ الطرق، هي «الإغراء بالمواد الجنسية من أجل الحصول على المعلومة».

يحكي ضابط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «هنري كرامبتون» قصصاً في استخدام الموارد الجنسية من أجل التَّجْنِيد فيقول: «**سلّمتُ أشرطة فيديو إباحية لمستهدف بالتجنيد، وأمكننا في النهاية تجنيده بفضل جهد بذله الفريق. واحتفظنا في إحدى المحطات بصندوق من المجلات الإباحية ومقاطع الفيديو كاحتياطي للطوارئ. ولم ألتقِ أي دبلوماسي كوري شمالي لم يطلب أشياءَ إباحية إما لاستخدامه الخاص أو لإعادة بيعه. وهل يُستخدَمُ مالُ دافعي الضرائبِ الأمريكيين في سبيل دغدغةِ الكوريين الشماليين جنسياً؟ لا مشكلة في هذا إذا ساعد المصدر الكوري الشمالي وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في فهم التهديد النووي الذي تشكِّلُهُ بلادهُ**»[1].

والنوع الثاني: «التَّجْنِيد باستخدام العلاقات العاطفية».

كحال الدبلوماسي السوفيتي «ألكسندر أوغورودنك»، فقد وصلت وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة إلى ترايغون بعد اكتشاف علاقة له مع عشيقة «فتم تجنيد العشيقة التي كَانَتْ تحبه، وبعد عودته إلى موسكو وانضمامه إلى وزارة الخَارِجيَّة السوفيتية، أرسَل ترايغون بعض

[1] فن التجسس، (ص58).

المعلومات الاستخباراتية التي يُفترض أنها لا تُقدّر بثمن»[1]. فتم الوصول إلى المعلومة دون الحاجة إلى الابتزاز من خلال الجنس بل بمجرد تجنيد عشيقته.

وأحياناً يحصلُ الاختراق المضاد بسبب العلاقات العاطفية أيضًا، كما حصل في أحد قصص الثَّورَة السورية، يقول الراوي: «من بعض القصص التي عايشناها عياناً خلال الثَّورَة السورية في ريف درعا، قصة رجل كَانَ يعمل مع جهاز الأمن الثَّورِيّ في مراقبة امرأة أربعينية كَانَتْ تعملُ مجندةً لصالح عصابة الأسد، وتمثل مهمتها في جمع المعلومات عن الثُّوَار وتجنيد المخبرين داخل المناطق المحررة. ورغم التوجيهات الصارمة من المشغّلِ بعدم الاختلاط مع هَذِهِ المرأة أو الانفراد بها، كَانَ عميلنا هذا يتمادى في الجلوس مع جاسوسة النظام ويكثر من مكالمتها، مما جعلَهُ بعد ذلك يقع في شباك غرامها، ويصبح أحد الرجال المخلصين لها في تجنيدِ الشباب لصالح مليشيات النظام، وقد ضُبط العميل بعد ذلك وعرض على المحاكمة»[2]. فوقوعه في غرام هَذِهِ المرأة جعله ينقلبُ على أصحابه وبدلًا من أن يضبط عمليات التَّجْنِيد لصالح النظام أصبح هو نفسه من يجندُ لصالح النظام!

أحياناً على العكس ما يجعل الشخص يكفر بنظامه السياسي ويهرب من نظامه البوليسي هو وجود علاقة مع امرأة، ، وهذا يحصل مع عتاة المجرمين أمثال ستاشنسكي عميل الاتحاد السوفيتي الذي قام باغتيال اثنين من قادة حركة المهاجرين الأوكرانيين سنتي 1957-1959، فقد أُعتقد أنهما ماتا في ظروف غامضة ولم تعرف ظروف وفاتهما إلا بعد أن هرب ستاشنسكي وسلم نفسه إلى البوليس الألماني سنة 1961 واعترف أنه قتلهم برذاذ الساينيد الذي يقتل في الحال، وكان سبب انشقاقه «**أنه وقع في حب فتاة ألمانية ودخل في صراع**

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص93).

[2] المدخل إلى عالم الظل، (ص102).

مع قادة جهاز الأمن الداخلي الروسي بسبب هَذِهِ العلاقة، وكان هذا هو السبب الرَّئِيسِيّ لكفره بالمخابرات الروسية»[1].

والنوع الثالث: **«هو إيقاع الشخص المستهدف في الزنا طوعاً وتوثيق ذلك ثُمَّ ابتزازه»**.

وهذا النوع قد برع فيه البعض مثل «ماركوس وولف» رئيس الاستخبارات الخَارِجِيَّة في ألمانيا الشرقية، والذي كَانَ «**مشهوراً بجواسيسه الجنسيين الذين يغرون خصومهم ويجعلونهم في أوضاع مخلة**»[2] وقد تسبب هذا المدخلُ للتجنيد في سقوط العديد من قادة الجماعات الإسلَامِيَّة ذات البعد الثَّورِيّ.

يقول المسؤول الأمني لتنظيم القاعدة عبد الله العدم: «**أكثرُ الجواسيسِ العربِ الذين استطاع جهاز استخبارات القاعدة أن يُلقي القبض عليهم كَانَتْ نقطة الضعف عندهم دائمًا: "النساء". وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأمريكية كَانَتْ تجنّدهم عن طريق النساء، تصوّرهم بصورٍ فاضحةٍ مع النساء ثُمَّ تهدّدهم وتبتزّهم بهذه الصور، إما أن تعمل معنا وتتعاون وإمّا أن ننشر هَذِهِ الصور على الملأ**»[3].

ومن أكبر الضربات التي تعرض لها تنظيم القاعدة بقتل الرجل الثاني فيها وهو أمير تنظيم القاعدة في جزيرة العرب أبو بصير ناصر الوحيشي؛ كَانَتْ عن طريق الجَاسُوس رشاد قرشي عثمان[4] الذي جُنّد من خلال الابتزاز الجنسي. يقول الجَاسُوس رشاد قرشي عثمان حاكياً قصة تجنيده: «**الاستدراج كَانَ عن طريق الحرام، وحصل تصوير، كَانَ بدون علمي، يعني**

---

[1] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص106-186).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص112).

[3] سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الرابعة: تابع مبادئ الأمن، مركز الفجر للإعلام، 1432هـ / 2011م.

[4] إصدار: المقدمة التمهيدية لهدم الجَاسُوسِيَّة، مؤسسة الملاحم، ذو الحجة 1439 هجري، الموافق لـ أغسطس 2018 م.

خلسة وفي الآخر كَانَ لابد أن أتنازل، أنا مخطئ وعندهم علي ما يثبت، فتنازلت. وبدأت من هَذِهِ الخطوة بالسقوط»[1].

ولكن ليس دائماً يأتي هذا الأسلوب بنتائج إيجابية، بل أحياناً يرفض المبتز ولو كلفه ذلك حياته أو سمعته أو تقوم الجهة المسؤولة عنه بإجراء يجعله عديم القيمة لمن حاول ابتزازه. ولا أدل على ذلك من قصة الضابط في الاستخبارات السوفيتية «سيرغي غريغورفين»، فقد رصدته الاستخبارات البريطانية وهو في علاقة مع امرأة في لندن، ولكن لم تطل العلاقة طويلًا حتى انتهت، فطلب من إحدى النساء أن تعرفه على امرأة أخرى، فتنبهت الاستخبارات البريطانية لذلك الطلب. يقول الضابط الاستخباراتي بيتر رايت حاكياً تتمة القصة:

«عرضت الخطة على رئيس الجهاز فيرنيفال جونز الذي وافق عليها فوراً. وطلب من القسم D4 تقديم المرأة المناسبة لهذا العمل، كَانَ لديهم عديد من فتيات الطبقة العليا اللواتي يستخدمن في عمليات كهذه. وأخيراً تَمَّ انتفاء الفتاة المناسبة وقُدمت لغريغورفين في إحدى الحفلات. وسرعان ما نجحت العَمَلِيَّة وارتبط غريفورفين مع الفتاة».

ولكن انتبهت الاستخبارات البريطانية أن الضابط السوفيتي غريغورفين يولي اهتماماً بجانب الجنس أكثر من إقامة العلاقة العاطفية؛ فوجدت أن تجنيده قبل علاقة الحب لن يجدي نفعًا بل لابد من إيقاعه بوضع مخل وتصويره وابتزازه، فأعدوا لذلك خطّة، ويكمل بيتر رايت قائلًا: **«استأجرنا غرفة ووضعنا فيها مرآة خاصة وأجهزة تصوير. وأخيراً جاء اليوم المنتظر، ووصل غريغورفين والفتاة إلى الشقة. وبعد أن صورنا لهما فيلماً لمدة 10 دقائق وهما في السرير، قام اثنين من رجال أمن جهاز الاستخبارات الداخلي بفتح الباب وقالا: "إنها إحدى عميلاتنا" فيما أسرعت الفتاة بالخروج، وأشار الضابط إلى المرآة، ونظر غريغورفين**

[1] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني.

إلى الكاميرا لدقائق ثُمَّ استوعب الوضع فقال: "أنا دبلوماسي. أطلب أن أتحدث إلى السفارة. لدي جواز سفري". وقال أحد الرجال: "لنواجه الأمر، لقد انتهيت يا غوريغورفين سيعيدونك إلى موسكو إذا اكتشفوا الأمر، يبدو أن الحياة في الغرب تناسبك أكثر. فنحن نعرف كل شيء، أمضيت أربع سنوات في أمريكا وثلاثاً في الدنمارك والآن في لندن، لماذا لا تبقى هُنَا؟ سنعتني بك وسندفع لك مبلغاً مناسباً وستكون بأمان. رفض الروسي العرض بإشارة من يده وطلب ثانية التحدث إلى سفارته.

كَانَ غوريغورفين جندياً صلباً مما جعلنا نتأكد أنه لن يتخلى عن معتقداته ولن يصبح عميلًا لنا. لذا أعدنا إليه ملابسه وأنزلناه في مكان قريب من حدائق كينغستون بارك. وهكذا ضاع جهد شهر من التخطيط وسنين من الصبر والانتظار!»[1].

وأحياناً تقوم الجهة المسؤولة بالتعامل مع الابتزاز وذلك بإفقاد المستهدف المكانة التي كَانَ عليها فلا يكون نافعاً للعدو «**وأول ضابط في وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة أرسل في 1953 إلى موسكو، تعرض للإغراء على يد مدبرة منزله وكانت عقيداً في الاستخبارات السوفيتية، وتم تصويره بالجرم المشهود وابتزازه فطردته الوكالة لعدم تحفظه»**[2].

---

[1] صائد الجواسيس، (ص 323-324-235).

[2] إرث الرماد، (ص159).

والخلاصة:

يظهر أن العلاقات المحرمة يكون لها مفعول أكبر عندما يكون المراد استهدافه أعزباً، فالمرء بزواجه لا يحمي نفسه فقط، بل يحمي أمته ودولته وشعبه من الاختراق. وقد أمرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم بالزواج فقال: (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للصبر وأحصن للفرج**)[1]، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (**أغض للبصر وأحصن للفرج**)، فكما قال بعض أهل العلم: «**أي يزيد في غض البصر إلى الأجنبية لما يحدثه من إشباع الشهوة في الحلال، وأشد إحصاناً للفرج، ومنعاً من الوقوع في الفاحشة**»[2]، وطبعاً لا أقول إن الزواج يعصمُ من الوقوع في الفاحشة مطلقًا ولكن يقللها إلى حدٍ معتبر.

والأمر الثاني: إذا لم يستطع الشابُ الزواجُ، فعليه أولاً بما جاء في تتمة الحديث السابق (**ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**)، فالإكثار من الصيام فضلاً أنه عِبادة إلا أنه يُقلل من الشهوة، وبدليل ذلك قوله (**فإنه له وجاء**) والوجاء هو «**رض عروق الخصيتين حتى تنفضخا، فتذهب بذهابهما شهوة الجماع، وكذلك الصوم، فهو مُضعِف لشهوة الجماع**»[3].

ولكن إن لم يستطع أن يكثر من الصيام أو لا زال يجد في نفسه وكان ضعيفاً في الالتزام والتقوى، فلابد أن يعلمَ أنه ليس كغيره، فمن سلك هذا السبيل كثرت عليه المحن والفتن والابتلاءات، وأن المعاصي التي يقع فيها قد تكون مدخلاً لتجنيده، ومن استحضر هذ الأمر دائماً، كَانَ له عاصماً -إن شاء الله- من التماهي فيها.

---

[1] صحيح البخاري (5066)، صحيح مسلم (1400).

[2] فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة الأولى: 2002، (ص479).

[3] تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبد الله آل بسام، مكتبة الصحابة - مكتبة التابعين، الطبعة العاشرة: 2006، (ص565).

فلابد أن يستحضر أن كل محاولة من الجنس الآخر في استمالته وهتك أستار الحياء خلالها، قد يكون خلفها رجل استخبارات، ويَجِبُ أن يعلم أن كل الكلام الذي يقوله في المحادثات الخاصة قد يكون أداةَ ابتزازٍ، فإن استحضارَ ذلك يورِّثُ التخوّف والتوجس، والتوجس يردعُ الشخصَ أحياناً من التماهي في المعصية. هذا من جهة رقابة الفرد لنفسه، ويبقى علينا التذكير بضرورة رقابة أجهزة الأمن الدَّاخِلِيَّة لحالة الأعضاء والموظفين من حَيْثُ تقواهم والتزامهم فمن عُهِدَ عليه فجور أو فسوق أو انحراف فلا بد من منعه من الوصول إلى المناصب الحساسة ابتداءً، وقد يصل الأمر إلى طرده أو على الأقل إقصائِه.

والشخص الذي يظهر أنه مفيد لأجهزة الاستخبارات، سوف تستميت أجهزة الاستخبارات في تجنيده، ودونك قصة «سيد قطب» رحمه الله، فقد حُكِيَ أن الأمريكيين استخدموا «**إحدى الساقطات لإغرائه وإغوائه وهو على ظهر الباخرة**»،[1] ولما لم تنجح ووصل إلى أمريكا بدأت المحاولات أولها بعدما دخل غرفته في الفندق، ويقول سيد قطب: «**حتى كَانَ الباب يقرع، وفتحت فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة فارعة الطول شبه عارية يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري. وبدأتني بالإنجليزية: هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عليه هَذِهِ الليلة؟ فاعتذرت بأن الغرفة معدة لسرير واحد، وكذا السرير لشخص واحد! فقالت: وكثيراً ما يتسع السرير الواحد لاثنين!! واضطررت أمام وقاحتها ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر**»، ثُمَّ قال: «**الحمد لله. هذا أول ابتلاء وشعرت باعتزاز ونشوة، إذ انتصرت على نفسي!**»[2].

ولكن هل توقفَ الأمريكان عن المحاولة؟ الجواب: لا. «**لم تنقطع المحاولات الأمريكية لإغرائه وإغوائه. مثل تلك الفتاة التي قامت بجهدٍ كبيرٍ لغوايته. ولاحقته من جامعة إلى أخرى، وتلك الفتاة التي ناقشته في معهد المعلمين في مدينة جريلي في كولورادو في مسائل**

---

[1] صلاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار القلم، الطبعة الثامنة: 2002، (ص27).

[2] المصدر السابق.

جنسية مكشوفة، وعامل الفندق الذي عرض عليه تلبية ما يريد من نزوات جنسية طبيعية أو شاذة، والممرضة التي كَانَتْ تغريه وهو في المستشفى بإسماعه مواصفاتها التي تطلبها في الشخص ليكون عشيقاً لها. والفتاة الجامعية التي تريد أن تمحو من فكره النفور من الرذيلة الجنسية وتزعُمُ أنها عَمَلِيَّة بيولوجية جسدية لا داعي لإلحاقها في المعاني الأخلاقية وغير ذلك»[1].

فأيُّ شخصٍ يكون مؤثراً في المجتمع من المتوقع جداً أن يحاولَ الأعداءُ تجنيده، فلذلك لا يأخذُ كل الأمور بسطحية، بل لابد أن يكون حذراً، وأن يرى في مثل هَذِهِ المحاولات أن رُبَمَا تقف خلفها أجهزة استخبارات. وأن ترى في سيد قطب أنموذجاً يحتذى به، فهو شخصيةٌ مؤثرةٌ، وفي نفس الوقت أعزب في بلد يكثر فيه العري وتكثر معه الإغراءات، ومع ذلك رد كل هَذِهِ المحاولات ونجح من أن يخرج من فم الأسد.

والأمر الثالث: قد يقع الشخص في ممارسة الزنى بتدبير من أجهزة الاستخبارات، ويُمسك هذا عليه تسجيل، ويُهدد بنشر هذا التسجيل، ولا يوجد مانع من نشره، فهنا الشخص يكون بين خيارين أحلاهما مر، إما أن يُفضحَ بين الناس وإما أن يفقِدَ دينه، فأيُّ هما أحب إلى المرء؟! لأن يمشي الشخص مطأطأً رأسه أمام الناس طول حياته وهو باقٍ على دينه أفضل من أن يبقى احترام الناس له وهو قد أضاع دينه بدنياه. وكما قال الإمام القحطاني:

الدِّينُ رَأْسُ المَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ ... فَضَيَاعُهُ مِن أَعظَمِ الخُسرَانِ[2]

---

[1] أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، (ص28).

[2] نونية القحطاني، أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الرابعة: 1999، (ص38).

وكما قد شهدنا في مجتمعاتنا أن بعض الفضائح التي تقع سرعان ما تنسى، فالناس لها ذاكرة السمك وكما قيل: «**ذاكرة الناس ضعيفة، الصغار ينسون والكبار لهم القبور**»[1]، فمن وقع في مثل هَذِهِ المصيبة يَجِبُ أن يعلم أن هذا ليس آخر الدنيا، وأن مجال التوبة والإنابة مفتوح، فكم من شخصٍ قد وقع في مصيبةٍ من هَذِهِ المصائب، ثُمَّ تاب وأصلح ما بينه وبين الله، فتغيرت صورته أمام الناس ورجع إلى ما كَانَ عليه وأفضل.

والأمر الرابع: نلحظ من بعض هَذِهِ القصص التي أوردناها أن البعض طُلب منه مراقبة إحدى العميلات، فمع طول المراقبة وقع في حبها، وكان هذا الحب هو بوابة التَّجْنِيد، فبدلاً من أن يكافح عمالتها أصبح هو ذاته عميلًا لها، ومن هُنَا يتضح أن النساء أو بعضهن من الضروري أن يكون المراقب لهن أكثر من شخص، رجلين فأكثر، فلو وقع أحدهما في حبها، كَانَ الآخر منبهاً الجماعة مما قد حصل، وهذا قد يجعل استدراك الأمر أسهل.

وأخيراً من باب التنبيه: لا يجوز أبداً في أيّحال من الأحوال وتحت أيّ ظرف أن تستخدمَ الجهاتُ الاستخباريَّةُ الإسلَامِيَّةُ هذا الدافعَ في التَّجْنِيد، لأنه يتنافى مع ثوابت الإسلام والأخلاق والقيم الإنسانية التي لا يُمْكِنُ السماح بتجاوزها بأي تأويلٍ.

---

[1] الإفادة في جمع رسائل ومقالات الشيخ أبي قتادة، (ص683).

رابعاً: المال

المال من أبرز دوافع التَّجْنِيد، وهو المسوغ الذي قد تفضله بعض أجهزة الاستخبارات - حسب وصف كيم فيلبي- لأن هذا يعطي نوعاً من السيطرة عليهم بخلاف العميل ذو التوجه العقدي الذي قد يكون أكثر استقلاليةً، يقول كيم فيلبي: «**وبشكل عام تفضل SIS العملاء الذين يقبضون؛ لأن هذا سيسمح بسيطرة أفضل عليهم. أما العميل المجاني فهو معرض بِشَكلٍ أكبر للتصرف باستقلالية تؤدي إلى تحوله لمصدر إزعاج. فهذا النوع عنده بلا شك أسباب سِيَاسِيَّة خاصة به معرضة للتحول**»[1]. فضلًا أن يكون العميل ذو التوجه العقدي أكثر ندرةً في المناصب الحساسة، فالاتحاد السوفيتي أصبح من الصعب عليه العثور على جواسيس ذو خلفيات شيوعية في مناصب غربية رفيعة، فاضطر إلى تبني تكتيكات أخرى منها بصفة رَئِيسِيَّة «**إيقاع العميل في شراك الوعود بمنحه مكافآت مالية ضخمة**»[2]، فدائرة العميل الذي يأتي بالمال أوسع وأكبر من دائرة الإيديولوجيا.

والاهتمام بالمال قد يكون لعدة اعتبارات، أولها أن الشخص مفتون بالمال ويحبه حباً جماً، أو لا يكون كذلك وإنما يمر بظروف تجعله في حاجة إلى المال، كما هي قصة أشهر الجواسيس الأمريكيين على الإطلاق «ريك إيمز». إن أنواع العملاء الذين تفضّلهم وكالة الاستخبارات الأمريكية للتجنيد هم «**المسؤولون الذين يحيون حياةً مسرفةً ولا يستطيعون الاستمرار فيها بأجورهم العادية**»[3] إلا أن وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة رُبَمَا لم تعلم أن هذا النوع هو المفضل أيضًا لدى خصمها التقليدي جهاز الاستخبارات السوفيتية (KGB)، فمن خلال هذا المدخل تَمَّ تجنيد ريك إيمز لصالح السوفييت ضد بلده أمريكا.

---

[1] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيليبي، (ص53).

[2] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص86).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص271).

كَانَ هذا الجَاسُوس متزوجاً من امرأة أسمها «ناسي سيجبارث» ثُمَّ ساءت أحواله معها، وتعرف على امرأة أخرى وقد كَانَتْ تعمل بمنصب الملحق الثقافيّ في السفارة الكولومبيّة وهي «ماريا ديل روزاريو»، ومن أجل إقامة تسوية لطلاق المرأة الأولى والزواج من الثانية، أُستنزف ماليًا، ثُمَّ إن نمط حياة الزوجة الجديدة «روزاريو» المفرط في التبذير جعله يحتاج إلى مصروفات أكثر وتكاليف أكبر، وقد كَانَ يعمل كرئيس فرع مكافحة التجسس الخاص بالعمليات السوفيتية داخل وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة، وقد عَلِمَ أن السوفييت قد عرضوا على أحد الجواسيس الأمريكيين مبلغ خمسين ألف دولار مقابل أن يعمل لصالحهم، ومع سوء الأحوال المعيشية وكثرة إنفاق الزوجة الجديدة التي أراد أن يتمسك بها بقوة ومهما كَانَ الثمن، تقدم هو للعمل مع السوفييت؛ ولأنه يعمل في مكافحة التجسس فقد كَانَ يعرِفُ أسماء الجواسيس الذين يعملون لصالح الولايات المتحدة في الاتحاد السوفيتي، فقد وشى بهم بِشَكلٍ تدريجيٍّ حتى جففَ مصادرهم إلى الحد الأقصى، وفي ذلك تقول ساندي غرايمر اختصاصية في مكافحة التجسس في وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيّة لدلالة على أثر ريك المدمر داخل وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في سنة 1985: «**لم يُعَدُّ لدينا شيءُ، أصبحنا بلا عمل!** »[1]، فقد أُعدِمَ عشرة من الجواسيس بسبب خيانة إيمز[2].

وهذا لا يعني أن أمريكا لم تستغل ذات السبب من أجل التَّجْنِيد، يحكي هنري كرامبتون أنه التقى أحد الأشخاص لتجنيدهم وكان هذا الشخص يشتكي في معظم الأحيان من «**مرتبه الحكومي الضئيل**» فكان فرصة ممتازة للتجنيد، يقول هنري كرامبتون: «**هو طماعٌ بِشَكلٍ سافرٍ. أرادَ المالَ مقابل نسخة من الإنجاز الشخصي**» ثُمَّ قال هذا الشخص لهنري في أحد اللقاءات: «**سأعمل وتدفعون لي. أعطيكم أسراراً. هكذا ببساطة**» ولأنه طماعٌ فقد عرض

---

[1] وثائقي: الجواسيس المزدوجون، إريك إيمز، الجزيرة الوثائقية.

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص95)، فن التجسس، (ص12).

مبلغ ألف دولار كمرتبٍ، نخفضه هنري إلى ثلاثمئة دولارٍ فقط فوافق على مضضٍ، وبعد تجنيده والعمل معه كَانَ تقيميهم له «**أنه أنتج معلومات تافهة**»[1].

يحكي هنري كرامبتون أيضًا عن الجواسيس الفجائيين الذين يأتون من تلقاء أنفسهم إلى السفارات الأمريكية لإعطاء معلومات استخباراتية من أجل المال أو من أجل تأشيرة الدخول إلى الولايات المتحدة: «**سبق أن قمت في فترةٍ وجيزةٍ من حياتي المهنية باستخلاص معلوماتٍ من عشرات يأتون من تلقاء أنفسهم، وهم في معظمهم من النصابين والأوغاد. بعضهم مُسَلٍ وبعضهم مثيرٌ للشفقة. وقلة منهم متطوعون صادقون يريدون المساهمة في فتات من المعلومات لقاء أموال نقدية أو تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة**». ولكن فقط قلة قليلة منهم الذين استمر معهم العمل، يكمل هنري كرامبتون قائلًا: «**وكادوا جميعاً يغادرون وهم مصابون بخيبة الأمل. وجلبت قلة قليلة جداً معها ما يستحقُ مخاطرَ وجهدَ القيام باجتماعات مستقبلية سرية**»[2].

وفي أثناء الحرب العالميَّة الثانية استخدمت بريطانيا المالَ من أجل الحصول على المعلومات الحساسة عن الضباط الألمان، يحكي كيم فيلبي قائلًا: «**وقد أعطى -أي الرئيس- أرمادا الصلاحية لصرف مبلغٍ كبيرٍ من المال لشراءِ معلوماتٍ حول كبار ضباط الاستخبارات الألمانية في إسبانيا. وقد وصلت هَذِهِ المعلومات ثُمَّ أعطاني برقيةً وكانتْ قصيرة للغاية تحتوي دزينةً من الأسماء وبعض المعلومات عنها: "غوستاف لينز" رئيس العمليات الخَارِجِيَّة، "نانس غوده" مسؤول المخابرات البحرية إلخ ... والذي أزعجني في الأمور أنني اكتشفت فيما بعد مصدر أرمادا وكان ضابطاً عالياً في الأمن الإسباني، وكانت أسعاره عالية بالتأكيد.**

---

[1] فن التجسس، (ص57-58).

[2] فن التجسس، (ص59).

وأما أنا فكنت أناضل لكي أحصل على خمسِ جنيهاتٍ إضافيةٍ لعملاءٍ كانوا يزودوننا بمعلومات متواصلةٍ، وإن كَانَتْ أقلَ استعراضيةً من تلك»[1].

ولم تجد بريطانياً كذلك بداً من المال من أجل شراء الجواسيس في حربها مع الجيش الجمهوري الإيرلندي،[2] وكان هذا من الدروس التي استفادت منها كما يقول الصحفي ستيفن غراي: «**وتعلمنا من إيرلندا أيضاً أن المال يستطيع شراء الجواسيس. والبعض في أولستر كانوا لا يفهمون سوى لغة المال. في الواقع هنالك مجندون يصرون على أن كل شخص له ثمن، إنما قد يفعله الناس لقاء المال أمرٌ مدهشٌ -حسبما قال شرطي سابق في شرطة أولستر الملكية»**[3].

أما الجَاسُوس المغربي عمر ناصري والذي اخترق الجماعات الإسلَامِيَّة في التسعينيات، فقد كَانَ سبب عمله كجاسوسٍ هو حبه للمال فقد أقرَّ «**أنه أصبح جاسوساً؛ لأنه كَانَ طماعاً، فقد سرق بعض المال من الجماعة في أحد الأيام، واكتشف رفاقه أنه اللص، وأخبره أخوه أنهم سيقتلونه إن لم يُرجع المالَ، وبما أن الخيارات كَانَتْ محدودةً أمامه، ظن ناصري أن المعلومات التي بحوزته عن نشاطات الجماعة الإسلَامِيَّة المسلحة تستحق شيئاً. لذا قصد المديرية العامة للأمن الخَارِجِيّ عبر دخوله القنصلية الفرنسية في بروكسل»**[4]. إن الطمع الذين كَانَ لديه وجعله يسرقُ المالَ وهو في الجماعة الإسلَامِيَّة المسلحة هو نفسه الذي جعله يقصِدُ مديريةَ الأمن الفرنسي للعمل كجاسوس فقد «**كَانَ يأمل في أن يكشف أسراره لقاء مكافأة ضخمة»**[5].

---

[1] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، (ص63-64).

[2] هو منظمة شبه عَسْكَرِيَّة وجيش مؤقت سعى لتحرير إيرلندا الشمالية من الحكم البريطاني وإعادة توحيدها مع الجمهورية الأيرلندية.

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص134-135).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص185).

[5] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص173).

وبعد أن أمضى سنة ونصف في معسكرات القاعدة في أفغانستان، رجع ناصري إلى فرنسا محملًا بكميةٍ كبيرةٍ من المعلومات عن المعسكرات وبرامج تدريبها والشخصيات، ولكنهم بالكاد اهتموا بما قاله، وقرر الفرنسيون أنه يَجِبُ تشغيله بالتعاون مع جهاز الأمن البريطاني MI5، ولكن كما يقول ناصري عن الاستخبارات البريطانية: «**كرهت طريقة إخبارهم أنهم سيشغلونني كما أنني كُنْتُ حيواناً في السيرك**» ولم تلبث أن انهارت علاقته مع الاستخبارات البريطانية وأخبرته أنه غيرُ مرغوبٍ فيه بالبلاد وطلبت منه المغادرة، ثُمَّ انتقل للعمل مع الاستخبارات الألمانية ولم يلبث أن تركهم ولخص ناصري تجربته «**أشعرُ بأني خاطرت بحياتي للا شيء، لا شيء على الإطلاق**»[1].

ويُعَدُّ الضابطُ فلوكوف من الأمثلة الحية عن التجسس مقابل المال؛ فقد كَانَ ضابطَ مخابراتٍ سوفييتي يعملُ في مكافحة التجسس ويعرِفُ أسماءَ الجواسيس ومواقع عملهم، «**اتصل بالقنصلية البريطانية في إسطنبول وعرض كشف أسماء الجواسيس السوفياتِ في بريطانيا مقابل المال. أعطى لأحد موظفي السفارة قائمة بالمؤسسات التي يعمل فيها هؤلاء الجواسيس. ولسوء حظ فولكوف أن قائمته هَذِهِ وصلت إلى مكتب كيم فيليبي في قيادة MI6، وكان فليبي في ذلك الوقت رئيس قسم مكافحة التجسس السوفياتي، فقام بإقناع رئيس الشعبة بالسماح له بالذهاب إلى تركيا بحجة ترتيب هرب فولكوف. ثُمَّ أخر فليبي وصوله إلى إسطنبول مدة يومين. وهكذا اختفى فولكوف. ويعتقد الأتراك بأن فولكوف وزوجته نقلا على حمالة إسعاف إلى طائرة سوفياتية أقلتهما من إسطنبول إلى موسكو**»[2].

وفي سنة 1965 تَمَّ اكتشاف تسريب وثائق بالغة السِّرِيَّة والأهمية تتعلق بالأسلحة الموجهة إلى الاتحاد السوفيتي، فتم تحديدُ الأشخاصِ المشبوهين الذين بإمكانهم الوصولُ إلى هَذِهِ المعلومات ووضِعُوا تحت المراقبة، وتم التركيز على شخص اسمه بوسارد، يقول بيتر رايت:

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (198-199-200).

[2] صائد الجواسيس، (ص249).

«وكان يستغل ساعة الغداء ليذهب لأخذ حقيبة من مكتب الأمتعة في محطة مترو واترلو. ثُمَّ يذهبُ بها إلى فندق ليسجل وجوده هُنَاكَ تحت اسم مستعار. ويبقى في الفندق حوالي نصف ساعة يعود بعدها ليرجعَ الحقيبةَ إلى مكتبِ أمتعةِ المحطة. ومن ثُمَّ يعودُ إلى العمل. قامت MI5 بفتح الحقيبة بعد أخذها من المحطة في الوقت مناسب، فوجدت فيها كاميرات، نسخ وثائق وأفلام ..

وقررنا اعتقال بوسارد في المرة القادمة عندما يأتي ليأخذ الحقيبة من محطة واترلو. حدث ذلك في 15 آذار 1965. فألقينا عليه القبض متلبساً في عَمَلِيَّة تصوير وثائق ذات أهمية قصوى وعندما واجهناه بأن MI5 تعرف كل شيء... اعترف بأنه كَانَ يزوِّدُ بصور الوثائق السِّرِيَّة عن طريق صناديقِ الرسائل مقابلَ المالِ وكان يستلِمُ مستحقاته المَالِيَّة بنفس الطريقة، وفي أيار عام 1965 حكم على بوسارد بالسجن 21 سنة »[1].

ولكن هل فعلاً المال لا يؤثرُ وغيرُ فعَّالٍ في اختراق الجماعات الإسلامية؟ يقول ستيفن غراي عن المنتسبين إلى هَذِهِ الجماعات: «**الرشوة لم تحرضهم لكي يتجسسوا**»[2]. وقد يستدل البعض بحادثة «همام البلوي» في ذلك لما قال: «**فحاولوا إغرائي بالمال وعرضوا علي مبالغ تصل إلى ملايين الدولارات حسب الرجل المستهدف، وخاصة قادة قاعدة الجهاد في بلاد خراسان نسأل الله أن يحفظهم، فكانوا يعرضون علي الملايين -الملايين المملينة- ولم يكن ذلك مجرد كلام. هم يظنون أننا نعبد المال ونعبد الشهوات كما هم يعبدونها**»[3].

بينما قد يُفلح المال في اختراقِ الجماعاتِ الإسلَامِيَّةِ بل وقد أغرى المال بعضهم إلى أن تسبب بقتلِ القادةِ وليس مجرد التجسس، فقد استطاع الجَاسُوس «بكيل أحمد فاضل» أن

---

[1] صائد الجواسيس، (ص284).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص201).

[3] إصدار: لقاء مع الشهيد أبي دجانة الخراساني، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، صفر 1431 هـ.

يتسبب بقتل القائد الميداني في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب «حمزة الزنجباري» واثنين من رفاقه، من أجل المال، وقد عُثِرَ على فيديو في هاتفه الشخصي بعد اعتقاله وهو يسبح بين الأموال التي أُعطيت له مكافأةً على مهمته هَذِهِ، ويقول «خالد باطرفي» القيادي في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب: «**يستغلون تلهف هذا الجَاسُوس للمال ليستخدموه كأداة قتل رخيصة ضد المسلمين والمجاهدين**»[1].

وكذلك من تسبب بقتل القيادي في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب «خولان الصنعاني» والقيادي الآخر «نبيل الذهب» كَانَ الجَاسُوس «عثمان الشهري» الذي اعترفَ أنه جُند بدافع المالِ، يقولُ هذا الجَاسُوس: «**أنا نقطة ضعفي أحب المال، جاؤوني من ناحية المال**»[2].

ولكن حتى الجماعات الثَّورِيَّة تستخدم دافع المال لصالحها، وعلى سبيل المثال من أجل الحصول على المعلومات من العدو بناءً على قاعدة «**المال مقابل المعلومات**»[3]، وكذلك من أجل شراء ذمم العاملين مع العدو لحماية أنفسهم أيضاً، «**في كثير من البلدان إن لم نقل في أكثرها يُمْكِنُ التخلص من المآزق بالمال**»[4]، يقول المسؤول الأمني في تنظيم القاعدة عبد الله العدم موضحاً كيفية تطبيق الكلام السابق: «**عندما جاءت الاستخبارات الباكستانية، وأحاطت المنزل الذي كنا فيه برفقةِ أبي زبيدة، أولاً: سيطروا على المنطقة قاموا بمحاصرة المنطقة من كل مكان، فأبو زبيدة أمر بعض الإخوة وأعطاه مبلغًا كبيرًا من المال وقال له: اذهب للتفاوض معهم، من أجل رشوتهم، ولكن هؤلاء بسبب وجود الأمريكان معهم**

[1] إصدار: حصاد الجواسيس، الجزء الرابع، مؤسسة الملاحم، أغسطس 2016 م.

[2] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني.

[3] الموسوعة الأمنيَّة، مركز "أبي زبيدة" لخدمات المجاهدين قسم البحوث والإعلام، ص91.

[4] الموسوعة الأمنِيَّة، مركز "أبي زبيدة" لخدمات المجاهدين قسم البحوث والإعلام - ص43.

لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا، كعادتهم دائمًا يُشترونَ بالمالِ، ولكن هَذِهِ المرة بسبب وجود الأمريكان لم يقبلوا»[1].

وأحياناً لا تحتاج أن تذهب إليهم وتعرض عليهم بل هم من يأتوا إليك ويعرضوا عليك كما حصل مع ابن الشيخ الليبي، يقول القيادي في تنظيم القاعدة أبو يحيى الليبي: «**حينما قُبض عليه** -أي ابن الشيخ- **في باكستان وأُودعَ سجن كوهات وحيث كَانَ هو أمير تلك المجموعة التي أُسرت معه استحوذ الجشعون من الشرطة والاستخبارات الباكستانية على مبلغ من المال كَانَ معه فقالوا له: "نحن مستعدون لإطلاق سراحك بشرط واحدٍ أن تتنازل لنا عن المبلغ الذي معك كاملاً"، فأجابهم قائلاً: "لا أقبل هذا إلا إذا وافقتم على إطلاق جميع الأسرى الذين معي"، فأبوا ذلك»**[2].

وهذا ليس بغريب على الاستخبارات الباكستانية، التي رأت في اعتقال مقاتلي الطالبان والقاعدة ومن لف لفيفهم فرصةً لتكوين ثروةٍ ماليةٍ، وكما يقول سفير طالبان في باكستان عبد السلام ضعيف بعد أن تَمَّ توقيفه واعتقاله في باكستان: «**كُنْتُ أعلم أن القيمة المعنويّة لديهم مرتبطة بقيمة المبلغ المَالِيّ المحترم الذي سيقبضونه عندما يبيعونني. كانوا يتاجرون بالبشر تماماً كما يفعلون بالماعز. كلما ارتفع سعر الشاة ازداد سرور البائع»**[3].

وأحياناً يجعلُ التلهفُ الشديدُ للمال الشخصَ ينتقلُ من كبيرةٍ إلى كبيرةٍ إلى أن يقع في الكفر، فبعد أن يُفلِسَ ويخسرَ في تجارته لا يريد أن يتقبل الحقيقة وما آل إليه الأمر، بل

---

[1] سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الثالثة والعشرون: القبض والتفتيش الاِسْتِخْبَارِيّ، مركز الفجر للإعلام، 1432هـ / 2011م.

[2] كلمة صوتية: ابن الشيخ .. القبرُ ولا الحَوَرُ، أبو يحيى الليبي، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، رجب 1430 هـ.

[3] عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى: 2014، (ص287).

لابد أن يدخل في تجاربَ جديدةٍ يكون رأسمالها معلوماته التي يعرفها عن أصحابه السابقين، فيشي بهم ويقف مع عدوهم ضدهم، مثل قصة السوداني جمال أحمد الفضل، يقول عضو الشورى في تنظيم القاعدة بجزيرة العرب «أبو خبيب السوداني» حاكياً قصته في نص مطوّل:

«وعندما غادر الشيخ أسامة إلى السودان كَانَ جمال من أول المغادرين إلى هُنَاكَ ليكون قريباً منه فقد كَانَ الشيخ يستعين به في قضاءِ كثيرٍ من الأمور. وعندما تأسست شركة طابا التجارية كَانَ جمال هو المدير التجاري للشركة وكنت أنا محاسباً أُديرُ دفاترَ الحساباتِ وأرصدةَ البنوك، وكان من أمر هذا الرجل أنه كَانَ يشترط على الزبائن دفع عمولةٍ معينةٍ لصالحه جمع منها مالاً حراماً مكنه من شراء بيت وسيارة وبناء مصنع صغير للزيوت، وقد علمت الشركة بموضوع العمولات من أحد الزبائن أثناء العام 1993م، فقدمَ جمال استقالته من الشركة وذهب يشُقُ طريقه بنفسه، وبطريقة ما فيما بعد وبالتعاون مع أحد مدراء البنوك استطاع أن يحصل على قرضٍ حسنٍ قيمته أربعُمئةِ مليون جنيهٍ سوداني تعادل في تلك الأيام حوالي ثلاثُمئةِ ألفِ دولارٍ اشترى به كمياتٍ كبيرةٍ من الفول السوداني ليقومَ بعصرهِ في مصنعه ثُمَّ يبيعَهُ في السوق المحلي. قام جمال بتخزين هَذِهِ الكميةِ الكبيرةِ من الفول في فناءٍ مكشوفٍ وشاءت إرادة الله الذي يمهل ولا يهمل أن هطلت أمطارٌ غزيرةٌ على الفول أحالت أحلامه إلى هواء.

أدرك جمال حجم الكارثة التي ألمت به فحمل معه ما كَانَ في حوزته من مال وفرّ هارباً خارج البلاد أواخر عام 1995م. المهم أنه تجول هُنَا وهناك حتى نفذ جيبه وأسقط في يده ولم يجد ملجأ من الله إلا الشيطان الأكبر أمريكا والعياذ بالله، فلجأ إلى سفارتها، وقدم لهم نفسه على أنه عضو في تنظيم القاعدة وأنه من المقربين جداً إلى أميرها الشيخ أسامة وأن لديه كنزٌ من المعلومات وأن الشيخ أسامة هو الذي كَانَ يستهدِفُ مصالحهم في الصومال وشرق أفريقيا.

حقق معه الأمريكان تحقيقاً أولياً ووجدوا فعلاً أن الرجل كما يقولُ يملِكُ كنزاً من المعلومات، فطاروا به مباشرةً إلى نيويورك وأدخلوه تحت برنامجِ حماية الشهود. لم يكن الأمريكان قبل جمال الفضل يملكون من المعلومات إلا النزرَ اليسير عن نشاط القاعدة والشيخ أسامة، وهذا باعترافهم، فقدم لهم هذا المخذول على طبق من ذهبٍ كماً هائلاً من المعلومات عن نشاط القاعدة بشقيه العَسْكَرِيّ والاقتصادي.

وكان هذا الخبيث هو الشاهدُ الرَّئِيسِيّ رقم واحدٍ ضد كثير من الإخوة الذين حوكموا في نيويورك عام 2000 بتهمة تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام وعلى رأسهم الشيخ أبو هاجر العراقي ووديع الحاج وآخرين. كَانَ من نتائج هَذِهِ المعلومات أن تَمَّ التضييق المباشر من أمريكا ووكلائها على السودان»[1].

وهذا الكلام يتطابق مع رواية الدكتور أيمن الظواهري الذي قال أن جمال «كَانَ عضواً في القاعدة، ثُمَّ عينه الشيخ أسامة بن لادن في إحدى شركاته في الخرطوم، فاختلس منها أموالاً كثيرة، وأضاف إليها أموالاً أخرى احتال على أخذها من إخوة آخرين، ثُمَّ عاش حياة من الاحتيال والغش، وكانت إحدى آخر مغامراته شراكة تجارية مع أحدِ أصحابِ النفوذ في السودان، ثُمَّ لما غشَّ كالعادة، وهربَ بالمالِ، أحسَّ بأن الخناق قد ضيق عليه في السودان، ففي هَذِهِ الفترة سلمُ نفسه للأمريكان، ليحاولَ أن يستثمرَ ما لديه من حقائقَ مخلوطةً بأكاذيب للأمريكان، الذين رحبوا به، ووضعوه تحت رعاية برنامج حماية الشهود، ثُمَّ إنه حاول استدراج صهره محمد النافع لألمانيا بحجةِ وجود فرص للعمل، فلما جاءه قبض عليه الأمريكان، وطالبوه

[1] أوراق من مذكراتي، الحلقة الرابعة، إبراهيم القوصي - أبو خبيب السوداني، مجلة المسرى، العدد 28، ص5، تاريخ: 2 صفر 1438 هـ - 2 نوفمبر 2016 م.

بالتعاون معهم مثل جمال الفضل، فلما أبى، حكموا عليه بالسجن عشر سنوات. ثُمَّ مارسَ دوره أكثر من مرة مع المخابرات والمحاكم الأمريكية»[1].

وغالباً محبي المال يراهنون على الغالب والمنتصر، ويريدون أن يضربوا عصفورين بحجرٍ، منها أن يكونوا في مأمنٍ من الشخص الغالب لبرهنتهم على التعاون معه، ومنها أن يكسبوا ثروةً شخصيةً كبيرةً، لذلك قد تجدهم يشُون بمن يلتجئُ إليهم بعد أن يُهزَمَ وينكسِرَ ويصبح الرهان عليه مجردَ خسارةٍ، وفي ذلك يقول الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين عن طريقة اعتقاله بعد اختبائه في أحد المزارع: « **كَانَ صاحب الدار صديقاً أثقُ به ثقةً كبيرةً وهو قيسُ النامق، وكنتُ آنذاك أكتفي باصطحابِ اثنين من أفراد عائلتي من المقربين لي كي لا أثقل على صاحب الدار، ولكي لا تكونَ الدارُ هدفاً مرصوداً للقوات الأمريكية. كَانَتْ زوجة هذا الصديق تُعِدُّ لنا الطعامَ. وعندما حان وقت الصلاة، أطبقت المصحف واتجهت إلى مكان الصلاة فإذا بصاحبي يأتي راكضاً من خارج الدار صائحاً: لقد جاؤوا، مكرراً هَذِهِ العبارة عدةَ مراتٍ. فتساءلت عمن يكونون؟ فأجاب: الأمريكان. وعلى الفور نزلت إلى الملجأ وبعد دقائق اكتشف الأمريكان مكاني، فقبضوا عليَّ من دون أي مقاومةٍ مني.. قبل القبض عليَّ تكونت لدي بعض الملاحظات على صديقي صاحب الدار.**

قبل أسبوع من الاعتقال بدا لي شاردَ الذهنِ، وقد بدأ وجهه يتغير وتصرفه غير طبيعي. ومن شدة ثقتي به لم يساورني أدنى شك في احتمال أن يغدر بي. بدا لي في بعض اللحظات أنه خائفٌ ومرتبكٌ. ومع الأسف فإنه ركب الهوى وتبع الشيطان، وربما هي الغنيمة التي

[1] فرسان تحت راية النبي، أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، الطبعة الثانية: 2010، (ص393).

وعده بها الأمريكان. أما أنا فلم أكن أملك مبلغاً كبيراً من المال لأتحسبَ للخيانة مكاناً. لذا عليكم أن تخبروا العراقيين أن قيس النامق وإخوانه هم الذين وشوا بي»[1].

التَّجْنِيدُ لأجل المال أمرٌ شائعٌ فهو ليس حصرًا على فئةٍ دون فئةٍ، رغم أنه أُستخدِمَ كثيرًا ضد المسلمين والدول العربية، إلا أن الدول العربية أيضًا استخدمَتهُ ضد غيرها كحال مصر مع إسرائيل، ففي بداية الخمسينيات أُكتُشِفَ أن ألكسندر إسرائيلي وهو ضابط في جيش الدفاع الإسرائيلي عميلٌ مزدوجٌ، فكان ألكسندر نقيباً في القوات الجوية الإسرائيلية وتواصل مع السفارة المصرية في روما وعرض عليهم أمر المساعدة وتوصل معهم إلى اتفاق بأن يزودهم بالوثائق عن جيش الدفاع الإسرائيلي وعن القوات الجوّية مقابل مبالغ مالية!

ولكن حظ ألكسندر كَانَ عاثرًا إذ سُرعان ما كُشِفَ فاختفى عن الأنظار، واستعان الموساد بالحيلة للعثور عليه إلى أن وجدوه في باريس، خُطِفَ ووضع في سيارةٍ تابعةٍ للموسادِ ومن ثُمَّ وضع في طائرةٍ خاصةٍ متجهةٍ إلى إسرائيل، حُقُن بمادة ما كي يفقدوه الوعي، لكن تلك المادة بدلًا من أن تفقده الوعي قتلته، فاتُّخِذَ قرارُ التخلصِ من الجثةِ وذلك عبر رميها في البحر[2]، والشاهدُ من هَذِهِ القصة أنه أحياناً حتى الدول المتقدمة عسكريًا وتقنيًا وتملك الأفضلية لا تُعدَمُ أن يوجدَ بينها خائنٌ لأجل المال.

---

[1] صدام حسين من الزنزانة الأمريكية: هذا ما حدث، خليل الدليمي، شركة المنبر للطباعة المحدودة، الطبعة الأولى: 2009، (ص162-163).

[2] وثائقي: أسرار الموساد، نتفلكس، الحلقة الأولى.

خامساً: الثأر

يكون الثأر والانتقام دافعاً من دوافع التَّجْنِيد، خصوصاً عندما يطغى حبُّ الانتقام إلى درجةٍ يفعل فيها الشخص أيّ شيء طالما فيه إشفاءٌ لغليله. فمثلاً يذكر تنظيم القاعدة في جزيرة العرب «**مما تبين لنا من خلال المتابعة، أن العدو يستغلُّ حب الانتقام لمن كَانَ له قريبٌ وقتلَ على أيدي المجاهدين**» من أجل التَّجْنِيد، ويقول ستيفن غراي: «**قسم كبير من المعلومات القيمة التي حصلت عليها السلطات جاء من المجتمعات التي سعى الإرهابيون إلى الاختباء فيها**»[1]. وتختلف الدوافع في ذلك، ولكن بعض المجتمعات تُحَمِّلُ القاعدةَ مسؤوليةَ ما يحصلُ للمدينة من استهداف عشوائي أو قصف وقتل للأقارب، فيكون هذا مدخل التَّجْنِيد للانتقام من القاعدة التي جلبت كل هذا.

فالجاسوس «أحمد عبد الواحد» يذكر دافع تجنيده فيقول: «**بعد ما توفي أبي في وادِ الحوطة، تغيرت قلوبنا، وأصبحنا دائما في مجالسنا نذكر القاعدة بغضب، ونحمل أنصار الشريعة مسؤولية مقتل أبي، ونعتبر أنهم هم من جلبوا المصيبة على البلاد**»[2].

وتعد قصة الجاسوسة أمينة المفتي[3] من أهم الأمثلة الحية التي تَمَّ تجنيدها انطلاقاً من هذا الدافع، حَيْثُ عملت هَذِهِ المرأة لصالح الموساد انتقاماً لعشيقها اليهودي "موشيه" الذي وقعت في حبه المحرم حتى الثمالة، فلم يستطع قلبها المفتون تقبُّلَ صدمة موته بيد العرب خلال الحرب

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص365).

[2] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني.

[3] جاسوسة أردنية الأصل درست في فيينا، وهناك تعرفت على يهودي يدعى موشيه، فتعلقت به وعشقته عشقا جعلها تتهود وتتزوجه وتهاجر معه نحو إسرائيل. وفي 1972 جندها الموساد بعد موت عشيقها اليهودي وأرسلها إلى لبنان تتجسس على جبهة التحرير الفلسطينية. كَانَ لها دور كبير في كشف العديد من العمليات الفدائية وقصف مواقع المقاومة. تَمَّ كشفها واعتقالها سنة 1975، ثُمَّ تمت مفاداتها باثنين من الفدائيين بعد خمس سنوات من اعتقالها. سكنت بعد خروجها في إسرائيل ولم يُعرف عنها أيّ شيء بعد ذلك.

مع إسرائيل. تحدث أمينة عن نفسها واصفة شعورها بدافع الانتقام داخلها فتقول: "**يوم 18سبتمبر 1978، وأنا بطريقي لإسرائيل، زرت شقتي بفيينا. كَانَ جسدي يرتعش وأنا أصعد الدرج، وفشلت مرات في معالجة الباب، وعندما أضأت الأنوار واجهتني صورة موشيه الكبيرة باللباس العَسْكَرِيّ، فسحت زجاج الإطار وقبلته، وعلقت باقة من زهور البانسيه التي يحبها إلى جواره.. لقد خُيّل إليّ أن ابتسامته الرائعة تفيض بالعتاب.. حاولت أن أستعيد ابتسامته فلم أنجح. لحظتها.. ركعت على ركبتي أمامه وأجهشت بالبكاء. رجوته بألا يلومني أو يغضب مني، فأنا أنتقم له.. وآخذ بثأره. ولن أهدأ حتى أشاهدَ بنفسي بحور الدمِ المراقِ تعلوها الأشلاءُ الممزقةُ. وأرى ألف زوجة عربية تبكي زوجها، وألف أم فقدت ابنها، وألف شاب بلا أطراف. عندئذ فقط.. لمحت ابتسامته وقد ارتسمت من جديد، وأحسست كما لو أن يداه كانتا تحيطان بي..**"[1]

وبسبب هَذِهِ المشاعر كَانَ من السهل على الموساد أن يجندها سنة 1972، ثُمَّ أرسلها إلى لبنان تتجسس على جبهة التحرير الفلسطينية. كَانَ لها دور كبير في كشف العديد من العمليات الفدائية وقصف مواقع المقاومة. تَمَّ كشفها واعتقالها سنة 1975، ثُمَّ تمت مفاداتها باثنين من الفدائيين بعد خمس سنوات من اعتقالها.

أما ضابط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «هنري كرامبتون» فبعد أن عدد دوافع التَّجْنِيد ذكر أن هنالك دافعٌ ومكوِنٌ رئيسٌ لعمليات التَّجْنِيد في أفغانستان وهو «**الانتقام**»[2]. وتستطيع أن تسقط هذا الدافع على حميد كرزاي، فقد «**تولى والد حميد كرازي زعامة فرع بوزلزاي في القبيلة الباشتونية، وأعدمه الطالبان منذ أعوام عدة. أراد كرزاي يائساً وهو الخليفةُ المثقفُ لموقع والده السياسي الانتقام من الطالبان وتحرير البلاد. أدرك في أعقاب الحادي عشر من**

---

[1] فريد الفالوجي، أمينة المفتي أخطر جاسوسة عربية للموساد، أحبت يهوديا فباعت لأجله الوطن، مكتبة مدبولي 2002، ص 20.

[2] فن التجسس، (ص73).

أيلول أن على الولايات المتحدة أن تشن هجوماً مضاداً، وعرف الفرصة المتاحة. وطلب غريغ بتوجيهٍ مني وجهةَ نظرِ كرزاي التي وفرت المعلومات لخططنا»[1].

وأحياناً لا يكون الثأر بسبب قتل قريب أو صديق، بل لمجرد إزالته من منصبهِ، «فستيكانيف» وهو الجَاسُوس الذي اخترق الجيش الجمهوري الإيرلندي كَانَ دافع الانتقام هو الخطوة الأولى لتجنيده «**فقد شعر بالضعف وخيبة الأمل والمرارة بعد فقدانه منصبه كقائد للواء بلفاست... وكانوا -أي المخابرات البريطانية- قد تلقوا إشارة بأنه قد أصبح ساخطاً. فقد فَقَد ولاءه للقضية ولم يَعُدْ مكترثاً لها»**[2].

وبنفس الدافع تَمَّ تجنيد شخص آخر من الجيش الجمهوري الإيرلندي وكان اسمه «فرانك هيغارتي» فقد أحب امرأةً وهجرَ زوجتَهُ بسببها، فما كَانَ من القيادي مارتن ماغينيس إلا أن يطرده من منصبه كأمين المخازن المحلي للجيش الجمهوري. فتم تجنيده من خلال استغلال دافع الانتقام الذي تولد لديه بعد عزله من منصبه.

وللروائي الروسي ليو تلستوي رواية اسمها (الحاج مراد) بُنيت على أنقاض قصّة حَقِيْقِيَّة اعتمد فيها تلستوي على الروايات الشفهية والمذكرات وغيرها من أجل التثبت منها، وقد حصلت هَذِهِ القصة في حروب التحرير القوقازية ضد الإمبراطورية الروسية، توضح لك كيف أصبح الرجل الثاني في المقاومة وهو الحاج مراد عميلًا أو متعاونًا مع الروس ضد أبناء دينه ووطنه؛ وكان الثأر هو دافعه!

ولا يفوتنا أن ننوه على أمرٍ غايةٍ في الأهمية وهو أن الثأر يُعَدُّ من أهمِّ دوافع التَّجْنِيد التي يستخدمها الثُّوَّار في الحرب، حَيْثُ عادةً ما تمارسُ الحكوماتُ سياسةً قمعيةً وظالمةً تجاه بعض العشائر أو العوائل أو الأفراد، قد يتخلَّلُها تمييزٌ عنصريٌّ واغتصابٌ للأعراض وخطفٌ قسريٌّ

---

[1] فن التجسس، (ص235).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص109).

وقتلٌ جماعيٌّ...إلخ مما يولد لديهم رغبةً جامحةً بالثأر والانتصارِ للنفس. وهنا يصبح من السهل تجنيد هؤلاء في سلك الثَّورَة والجهاد، من باب الحديث النبوي الشريف: "**من قُتِلَ دونَ مالِهِ فَهوَ شَهيدٌ ومن قتلَ دونَ دينِهِ فَهوَ شَهيدٌ ومن قتلَ دونَ دمِهِ فَهوَ شَهيدٌ ومن قتلَ دونَ أَهلِهِ فَهوَ شَهيدٌ**".[1]

كما قد يقوم الثُّوَار خلال الثَّورَة بقتل بعض المجرمين أو الجواسيس أو المفسدين فيتعصّبُ لهم أقرباؤهم حميةً جاهليةً، وقد نبّهَ على ذلك الشيخ أسامة بن لادن فقال: «**في العراق دخل العدو الخَارِجِيّ غازياً للبلاد وأخطأ خطأً فادحًا لجهله بالمنطقة وطبيعة أهلها فأَثَار القبائلَ وألَبَها، مما أدى إلى تعاطف الشعب مع المجاهدين ومدهم بعشرات الألوف من أبنائه للجهاد ضد الأمريكيين إلى أن حصلت بعض الأخطاء، كَانَ من أكبرها ضربُ بعض أبناء قبائل الأنبار في غير حالة الدفاع المباشر عن النفس، وإنما كانوا في تجمع للاكتتاب في قوى الأمن مما ألهبَ مشاعرَ القبائلِ ضد المجاهدين وانقضوا عليهم، وتعلمونَ أن قتلَ رجلٍ واحدٍ من قبيلةٍ كفيلٌ باستثارتها في تلك الظروف فكيف بقتلِ المئاتِ.**

وهناك مسألةٌ مهمةٌ يَجِبُ فِقْهُهَا فمقصدُ الشريعةِ هو جعلُ كلمةِ اللهِ هي العليا، فواجبنا أن نسعى لما سيحقق هذا الأمر في مآله مع مراعاة الضوابط الشرعية في تقدير المصالح والمفاسد، ومعلوم أن هؤلاء اكتتبوا في القوى العَسْكَرِيَّة وعندما يؤمرون بالحضور سينفذون، ولكن ينبغي ملاحظةُ أنهم لا يمتلكون رغبةً ودوافعَ للقتال، وإنما اكتتبوا للإغراءات المادية، وبالتالي فهم غيرُ مستعدين للتضحية بأنفسهم من أجل أمريكا، ولن يندفعوا بشجاعة لقتل أبناء عمومتهم ولو قتلَ منهم أحد أثناء هجومهم علينا، فردُّ الفعلِ سيكونُ ضعيفًا بينما قتلهم

[1] حديث سعيد بن مسيب، رواه الترمذي وصححه الألباني.

عند الاكتتاب بأعداد كبيرة يُوِلّدُ صدمةً عندَ كلِّ القبائل ويستثيرهم ضدنا، ويُوِلّدُ عندهم رغبةً في الانتقام لمن قُتِلَ منهم»[1].

فيصبح هذا مَنْفَذاً للمخابرات من أجل جمع المعلومات عن الأهداف المشتركة بينها وبين أصحاب الثأر، وقد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى تجنيد بعضهم لتوجيه ضربات الطائرات أو وضع الشرائح كما حدث في العراق واليمن وخراسان. فقد كَانَتْ أحياناً تُقام عمليات الإعدام العلني لجاسوس في وزيرستان فلا يكون هذا المشهد رادعًا لمن تسوّل له نفسه، بل على العكس فإن المشهد هذا هو ما يُجنّد عشيرة الجَاسُوس انتقاماً لابنها وحتى لا يتكلم عليهم الآخرون أنهم سكتوا خوفًا أو جبناً، فلذلك قد يستغنى عن هذا الإعدام العلني وجعله موتٌ في ظروف غامضةٍ فيصعب إلقاء اللوم فيها على أحد، ولن نتوحدَ كلمة العشيرة عليك، لذلك فإن العدل والسياسة الحكيمة مع السكان هو أولُ صمامِ أمانٍ للثورة يمنَعُ العدو من اختراقها.

---

[1] مجموع رسائل وتوجيهات الشيخ أسامة بن لادن، (ص719).

سادساً: السلطة

كثيرا ما تكون التقلبات المجتمعية والتغيرات السِّيَاسِيَّة مناخاً مناسباً لظهور المنافسات العشائرية أو السِّيَاسِيَّة على كرسي السلطةِ أو منصبِ المشيخة، وهو ما يدفعُ عشاق السلطة نحو الارتماء في أحضان الأقوياء علَّهم يكونون عوناً لهم في بلوغ المنزلة المجتمعية المرموقة التي كَانَتْ قد أسرت قلوبهم.

ويمكنُ تقسيمُ هذا الدافع إلى قسمين:

1. طلب السلطة والرغبة فيها.
2. الحفاظ على السلطة والخوف من ضياعها .

والفرق بين الدافعين أن الأول يحاول اكتساب السلطة أو استرجاعها عن طريق العمل لصالح استخبارات العدو، بينما الثاني يحاول الحفاظ على ما يملك من جاهٍ أو مكتسباتٍ، وهما أمران متداخلان أحياناً، فالذي ضاعت منه السلطة بسبب سيطرةِ قوةٍ جديدةٍ في مكانه فإنه سيسعى إلى السلطة مجدداً بإخراج هَذِهِ الفئةِ المسيطرةِ حديثاً ورجوع الفئة السابقة التي يضمنُ معها السلطة.

أما بالنسبة للأول (طلب السلطة والرغبة فيها) فكم سمعنا بشيوخ عشائرَ دخلوا حلف الأمريكان أثناء حرب العراق من أجل استرجاع السلطة التي فقدوها مع سيطرة المجاهدين، كما رأينا في سوريا العديد من الجواسيس عملوا بجدٍّ وإخلاصٍ، فقط من أجل منصبٍ وعدهم به نظام الأسد، منصبٍ كرئيس البلدية أو أمين حزب البعث أو مختار الحارة. وهذا ما يمكنُ استفادته أيضاً من تجربة كرزاي في أفغانستان.

إذ هنالك خيطٌ رفيعٌ يفصلُ ما بين تلقي الدعم وتقاطع المصالح وما بين العمالة والارتهان للفئة التي سوف تساعدك للوصول إلى السلطة في بلدك. وكثيراً ما يخلطُ الناس بينهما، فيصبح الشخص عميلاً وهو يَظُنُّ أن الأمرَ مجردُ تقاطعُ مصالحَ! وهذا تجده في كلام «أحمد شاه

مسعود» عندما يقول: «**ثُمَّ إن أيّ بلدٍ يساعدني لا يساعدني لأجلي بل يساعدني لأجل مصالحه. وأنا آخذ القرار بنفسي**»[1]، فمن هذا المنطلق نَفى أحمد شاه مسعود العمالة عن نفسه أو لم يراها قد تحققت فيه، وضرب أمثلة على الاستقلالية من بينها أنه يطلق أسرى الطالبان دون الرجوع إلى الجهات الداعمة، وهذا أمر تكتيكي لا يؤخذ بعين الاعتبار.

ولكن هنالك حوادث فاصلة تبين إن كَانَتْ الجماعة المدعومة من الدولة الفلانية تابعة لها أو لا، فمن المعلوم أن الطالبان تتلقى دعماً من باكستان، وهذا أمر غير خفي، فمثلاً يقول يوسف العييري بعد أن ذهب إلى أفغانستان وقام بعدة لقاءات مع قادة الطالبان ووضع كتاباً يحلّلُ فيه الموقف: «**فالتسهيلات الباكستانية الممنوحة لحركة طالبان لمواصلة حربها ليس إلا حلاً تختاره وهي تتجرع المر، فلا غرابة إذاً من الدعم الباكستاني لطالبان، فدعمها لهم لم ينشأ عن انصياع الطالبان لباكستان**»[2]، وترى ذلك في قضية تسليم الشيخ أسامة بن لادن والذي قد ترتب عليها غزو أفغانستان لاحقًا وإعادة ترتيب أوراق المنطقة، يقول الملا عبد السلام ضعيف عن هَذِهِ النقطة:

«**طلب برويز مشرف أن يُدعى إلى قندهار للقاء أمير المؤمنين من أجل مناقشة صفقة مع الولايات المتحدة فحواها تسليم أسامة بن لادن؛ لكن أمير المؤمنين رفض، ووجه رسالة إلى مشرف مؤكداً له أنه مرحبٌ به كقائدٍ لبلدٍ مجاورٍ يناقشُ معه قضيتي الأمن والاقتصاد وسواهما من القضايا، أما قضية أسامة بن لادن فلا تعني سوى أفغانستان والولايات المتحدة الأمريكية، ومناقشة أمرٍ مماثلٍ مع الباكستان قد تؤدي إلى تدهور العلاقة بين البلدين**

---

[1] تركي الدخيل، كُنْتُ في أفغانستان، مكتبة العبيكان، (ص141).

[2] يوسف بن صالح العييري، الميزان لحركة طالبان، سنة 1422 (ص22).

الجارين»[1]، ثُمَّ ذكر عدة نماذج خلف هذا الكلام حول عدم قبول حركة الطالبان لبعض الأوامر الباكستانية وتعاملها معهم من منطلق الندية دون التبعية.

ويتحدث هنري أ. كرامبتون عن عميل بائس تجند بإخلاص.. فقط من أجل سمعة ومكانة مرموقة لدى الـ CIA ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية: "شرع عميلي بعد عدة اجتماعات ذات مستوى متدني في تزويدي بالمعلومات الحساسة جداً. **كَانَ للمال والأيديولوجية أهمية، لكن هذا العميل أراد فوق كل شيء من يستمع إليه (وينزله منزلة مرموقة). لحظوظه بالترقية معدومة بسب تعليمه الأساسي وافتقاره إلى الوساطات العائلية.**

وهو كاتب ذكي جداً لا يلقى ما يستحقه من التقدير. يعرف ذلك ويريد المزيد. أراد المساهمة بشيء من أجل شخص ما (يقدره)، ولم يخف حاجته هَذِهِ، بل عبر عنها بصراحة ووضوح. كَانَ معجباً بالولايات المتحدة، لكن ذلك بدا أمراً ثانوياً. وتشوق أكثر من أيّ شيء إلى مهمة ذات مغزى.

بعد نحو عام من تجنيده أعطاني في اجتماعنا في السيارة المنطلقة حزمةً من الورق داخل مجلدٍ مربوطةً بشريط. قال إن الملف مهم لكنه لم يسهب في الكلام، فلدينا مسائل أخرى نناقشها والقليل من الوقت. أردت أن أبقي اجتماعاتنا لفترة تقل عن خمسة عشر دقيقة.

أنزلته.. وقمت بعملية مراقبة للطريق، بدلت سيارتي، وعدت في النهاية إلى المنزل. قرأت الأوراق وأنا جالس إلى طاولة غرفة الطعام. وتمتمت أيها الإله الرحيم، وأعدت قراءة الأوراق. أصبح النص الحرفي للوثائق في غضون ثمان وأربعين ساعة بين يدي رئيس الولايات المتحدة، الذي سأل عمّن قدم له المعلومات من مصدر التقرير. وأجابه الشخص بأن المسؤول مصدر بشري سري، عميل أجنبي. ولم يتمكن أن يقدم للرئيس معلومة أكثر من ذلك. لأنه لا يعرف هوية العميل، فشكره الرئيس وأمر بتقديم الشكر للعميل غير

[1] حياتي مع طالبان، (ص224-225).

المعروف. مرر الشخص الرسالة إلى مكتب الجهاز السري المسؤول عن العَمَلِيَّة. أبلغني مقر القيادة في اليوم التالي بالأمر عبر برقيةٍ مشفرةٍ.

بعد ذلك بأسبوعين مررت لعميلي في اللقاء المقرر معه شُكْرَ الرئيس. كنا في لقاء آخر في سيارة منطلقة فلم أتمكن من رؤية جوابه، لكنني سمعت صوته وقد تلعثم وهو يسأل:

هل قام الرئيس...!! الرئيس قرأ الأوراق...؟

قلت نعم الرئيس نفسه.

أنت تقول.. تخبرني أن رئيس الولايات المتحدة قرأ الأوراق؟

نعم.. أكدت له من جديد.

لم أعرف أنه يُمْكِنُ لمثل هذا الأمر أن يحصل. هل يعرف شيئاً عني؟

لا يعرف هويتك أو أيّ شيء عنك سوى أنك تعمل للاستخبارات الأمريكية، وأننا نعتمد كثيراً عليك.

سقطت السيارة في اثنتين من حفر الطريق، وأخذ المطر يهطل من جديد، دفعتْ المسّاحات المياه، ولكن ليس بالسرعة الكافية. ووجدت صعوبة في الرؤيا.

نعم.. يمكنكم الاعتماد علي.. يُمْكِنُ للرئيس الاعتماد علي.

سنفعل.. وأنا فخور جداً بالعمل معك.

نعم.. سنعمل معاً.. هذا مهمٌّ.."[1]

أما الدافع الثاني في هذا الصنف (الحفاظ على السلطة والخوف من ضياعها)؛ فالبعض أحياناً يرى الصراع بين طرفين، ويترجح لديه أن أحدهم سوف يفوز لا محالة، فإنه يُقدِمُ

[1] فن التجسس (من ص 70 إلى 72)

الخدمات حتى إذا فازَ هذا الطرف المرجو فيبقيه على ما هو عليه، ولا يذهب منصبه، فمن أجل ذلك يتجسس لصالح الطرف الذي يظنُّ أنه سوف ينتصر.

وأحياناً يكون الشخص مستفيداً من بقاء نظام ما، والذي بسببه وصل إلى المنزلة التي وصل إليها، وأن أيّ تغير في هذا النظام يعني فقدانَ منزلته ومكانته، فهو يتجسس لصالح النظام محافظًا بذلك على مكانته، ومثل ما قال ألين دالاس أن البعض يصبح جاسوسًا خشيةَ أن يتغيّرَ النظامُ والذي يؤدي بالضرورة إلى «**خفض درجاتهم أو ما هو أسوء من ذلك**»[1] أي زوالها.

وأحياناً يكون التجسس خوفاً من ضياع الدكان أو التجارة بسبب القصف، فيتجسس حتى يجنبَ منزلَهُ ودكانَهُ القصف. وقد «**حدث كثيراً في سوريا أنَّ بعض شيوخ العشائر كَانَ يتودّد من تلقاء نفسه للنظام عن طريق رفع معلومات عن الثُّوَار، وكان يقوم بعضهم بترسيخ جذور المصالحة في المناطق التي يمثلونها. كل ذلك من أجل ترسيخ جاههم عند عصابات الأسد، وليضمنوا بقاءهم على منصب "مختار العشيرة أو القرية"، لظنهم أن العاقبة ستكون للنظام ولو بعد حين. وكذلك قام بعض السكان في سوريا بتقديم خدمات تجسسية جليلة للنظام مقابلَ عدم قصف بيوتهم أو دكاكينهم**»[2].

وبالنسبة للثورة، يُمكِنُ استخدامُ هذا الدافع في التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ خاصةً والتجنيد بِشَكلٍ عامٍ، حَيْثُ يُمْكِنُ توجيهُ وعودٍ لبعض الشخصيات المرموقة في المجتمع، بأنها إن تعاونت مع الثُّوَار فإنهم سيحافظون على مناصبهم ووجاهتهم بين أقوامهم التي كانوا يحظون بها في عهد النظام البائدِ، أو يُمْكِنُ وعدهم بمناصب أرقى وأفضل من التي يقدمها لهم النظام، فيكون ذلك من تأليف القلوب، تماماً كما فعل النبي صلى الله عليه سلم في فتح مكة عندما أنزل أبا

[1] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص134).

[2] المدخل إلى عالم الظل، (ص67).

سفيان منزلته بين قومه، وقال من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، وقد كَانَ أبو سفيان كما قال العباس عنه "رجلاً يحب الفخر"، فجاءه النبي صلى الله عليه من هذا الدافع ليتألفه.[1]

[1] حديث صحيح رواه عبد الله بن عباس، وأخرجه الطحاوي.

سابعاً: الابتزاز

وهذا بابٌ واسعٌ يحتاجُ مراقبةً دقيقةً لواقع الناس، وتحليلاً واسعاً لشخصية كل فردٍ وما يمر به من ظروفٍ صعبةٍ، فعادةً ما تكون أوجاعُ الناسِ وبلاياهم ونقاطُ ضعفهم هدفاً للاستخبارات يستغلونها في ابتزاز العملاء وإجبارهم على تقديم المعلومات، تماماً كاستغلالِ المريضِ الفقير الذي لا يجدُ علاجاً يرفعُ به ألمه، والمُستدينُ المُعْسرُ الذي لا يجدُ مالاً يدفعُ به ديْنه، والزاني المُستخفي الذي تمَّ تصويرُ فُجوره وتوثيقُه، والمشردُ البائسُ الذي لا يجدُ ملجأً يُؤويه، والسجينُ المُدانُ بجرمه الذي يرجو العفو عنه، والفقيرُ الجائعُ الذي لا يجدُ طعاماً يسدُّ رمقَهُ ورمقَ أطفالِهِ الصغارِ.

والفرقُ بين هذا الدافعِ ودافعِ المالِ والجنسِ والسلطةِ، أن الثلاثةَ التي سبقت يكونُ الأساسُ فيها هو الترغيب بهذه العوامل، وقد يلحقها بعد ذلك ابتزاز، أما التوريطُ فمن ابتدائه ابتزازٌ، حَيْثُ لا تضطر أجهزة الاستخبارات إلى إغواء الهدف بالجنس، بل قد يكون هو نفسه غارقاً فيه، وفي هَذِهِ الحالة توثّقُ الاستخباراتُ ذلك ثُمَّ تبتزُّ الهدفَ وتجبرُهُ على التعاملِ معها أو فضحِهِ. وقد لا يكون العميلُ محباً للمال ولا يُمْكِنُ إغواؤه بالمال في الحالات الطبيعية، وإنما يحتاجه لقضاء دينٍ أو علاجٍ، فتأتي الاستخبارات وتبتزه بهذه الحاجة الملحة ليعمل معها، وهكذا...

كَانَ ضباطُ الموسادِ مثلاً يبحثون عن مرضى السرطان في غزة ويجندونهم مقابل العلاج، وكذلك فعلت المخابراتُ الأردنيةُ بالسورين إذ كَانَتْ تجبرهم على العمل لصالحها مقابلَ تحصيلِ الإقامة في الأردن. ولنظام الأسد أيضاً الباعُ الأكبرُ في هَذِهِ الأبوابِ، حَيْثُ قام باستغلال الضعفاء من النساء والرجال عبر اعتقال أقاربهم ومصادرة أملاكهم وتهديدهم بالاغتصاب والقتل والخطف بهدف إخضاعهم وتجنيدهم لصالحه..

وكذلك الذي تسببَ بمقتل مؤسس الجهاز العَسْكَرِيّ الأول لحركة حماس «صلاح شحادة» كَانَ قد جُنِّد من خلال الابتزاز الجنسي، فقد كَانَ شحادة على رأس قائمة القادة المستهدفين

كونه قائدُ الجناح المسلح والمسؤولُ الأول عن سقوط مئات القتلى في سلسلة العمليات الاستشهادية التي نسقتها ونفذتها مجموعته، وفي منتصف ليل 23 يوليو 2002 شنَّ الطيرانُ الحربيُّ الإسرائيليُّ غارةً على مبنىً في حيٍّ آهلٍ بالسكان في مدينة غزة، بناءً على معلومات وفرها للاستخبارات الإسرائيلية مخبر فلسطيني، فانهار المبنى المؤلفُ من طابقين، متحولاً إلى ركامٍ مسبباً سقوط منزلٍ آخرَ.

قُتلَ صلاح شحادة على الفور وقضى معه ستة عشر مدنياً بينهم تسعة أطفال ورضيعان وجُرِحَ ما يزيد عن مئة وخمسين شخصاً، وكان هذا الجَاسُوس الفلسطيني هو «أكرم الزطمة» الذي جُنِّد من قبل المخابرات الإسرائيلية بعد أن ابتزه ضابطان في الاستخبارات الإسرائيلية، فيقول: «**بدأا بمضايقتي وابتزازي مستخدمين صوراً فوتوغرافية مزيفة تظهرني في وضعيات جنسية مريبة، وقالا لي إنهما سيستخدمان هَذِهِ الصور ضدي إن لم أتعاون معهما**»[1].

وهذا الأمر لا يَنحصر في العلاقات بين الجنسين بل حتى العلاقات الشاذة قد تكون مدخلاً للتجنيد والابتزاز كما هو حال الجَاسُوس المجند من قبل الاتحاد السوفيتي جون فاسيل فقد زود هذا **العميل الاستخبارات السوفيتية بجميع أسرار الناتو**[2]. وأما كيف تَمَّ القبض على جون فاسيل؟ فذلك لأنه أصبح ينفقُ مالاً لا يتفق مع حجم مدخوله فقد «**أنفق أمواله على الملابسِ الفاخرةِ وعاشَ حياةً تفوقُ دخلَهُ العادي ولقد لفت ذلك الانتباه إليه**»[3]. والقاعدة التي تكاد تكون مطردةً في كشف بعض الجواسيس هي «**عدم تكافؤ المصروف مع المدخول**»[4].

---

[1] حماس من الداخل: قصة غير المروية عن المقاومين والشهداء والجواسيس، زكي شهاب، دار العربية للعلوم - ناشرون، الطبعة الأولى: 2016 (ص93-96).

[2] صائد الجواسيس، (ص178-180).

[3] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص185).

[4] الموسوعة الأمنيَّة، مركز "أبي زبيدة" لخدمات المجاهدين قسم البحوث والإعلام، (ص91).

وهذا يبدو أنه أسلوبٌ شائعٌ يستخدمُهُ الروس لتجنيد خصومهم، فقد قامت الإمبراطورية الروسية بتجنيد «الفريد ريدل» الذي كَانَ يشغَلُ منصب رئيس مكافحة الجاسوسة في جهاز المخابرات العَسْكَرِيَّة للإمبراطورية النمساوية من 1901-1905، فإنه وقع في شباك العمالة بسبب طباعه وأخلاقه التي تمثلُ في الشذوذ الجنسي وحبه الشديد للرشاوي، فكان لهذا الشخص ومنصبهِ الكبير أثرٌ مدمرٌ، إذ كَانَ عضواً في رئاسة أركان الجيش النمساوية المجرية وكان يمتلك السبيل والطريق للوصول إلى خطط الحرب الخاصة بهذا الجيش المشترك وإعطائها للروس ولكن لم يَتِمَّ تعرُّفُ مدى الضرر الذي تسبب به؛ لأنه انتحر بعد القبض عليه[1].

لذلك فالشذوذ الجنسي يُمْكِنُ أن يصبح ثغرةً ينفذ منها العدو، وبحسب ما يقول ألين دالاس رئيس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأسبق «**فإن وكالة المخابرات قد حققت نجاحًا ملحوظًا في مجال فحوصات أمن موظفيها، فنحن نستبعِدُ من حساباتنا الشواذَ جنسياً**»[2].

واستطاعت المخابرات المصرية أن تخترق جماعة الجهاد المصرية التي استقرت في السودان في منتصف التسعينيات عبر مجندها الذي استطاع أن يضع «**جهاز تصنت صغير داخل غرفة شورى جماعة الجهاد، فكل المعلومات وكل المشاورات وكل ما يحدث في مجلس الشورى لجماعة الجهاد كَانَ عند المخابرات المصرية**»[3] ثُمَّ تَمَّ اكتشافه وأنه لم يكن سوى ابن القيادي «محمد شرف» الذي استطاعت المخابرات المصرية تجنيده «**بعد ما تمكنت من الضغط عليه بواسطة صور فوتوغرافية التقطت له بأوضاعٍ مخلةٍ بالآدابِ**»[4].

---

[1] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص126).

[2] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص235).

[3] سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الثامنة: أمن المنشآت وكيفية العمل عليها، مركز الفجر للإعلام، 1432هـ / 2011م.

[4] أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، دار مصر المحروسة، الطبعة الأولى: 2002، (ص200).

وقد يكونُ المجنّدُ مجردَ **طفلٍ**، ولما تَمَّ اعتقال الجَاسُوس «أحمد المنصور» من قبل تنظيم القاعدة في اليمن، ذكر أحد أهداف التَّجْنِيد فقال: «**طلبوا منا أن نجند الأولاد الصغار، أكثر شيء قالوا شوفوا صغار السن وطلبوا منا أن نفعل فيهم حتى الفاحشة، من أجل امتهانهم، فلا يتكلمون ولا يعارضون ويقبلون منا أيّ كلام**»[1]، والتطبيق العملي لهذا الهدف كَانَ مع الطفل اليمني «برق» الذي تسبب بمقتل القيادي في تنظيم القاعدة «عدنان القاضي»، فكانت المخابرات كما يقول برق: «**يصوروننا مع الأطفال، جمعونا مع عشرين طفلاً، وبعدها أدخلونا داخل غرفةٍ كبيرةٍ وصورونا، ومرةً طالعونا إلى السطح نفعل قلة الأدب**»[2].

وأحياناً إن لم يستطيعوا إثبات هذا الفعل عليك فإنهم يفبركونه لك، يقول المعتقل في سجن غوانتنامو وليد محمد الحاج ذاكراً أساليب الأمريكان في التحقيق داخل المعتقل: «**ومن هَذِهِ الأساليب: دبلجة صورة الأسير بوضعية خليعة مع إحدى المومسات كنوع من أنواع الابتزاز**»[3].

وهذه الأساليب لا تمارس ضد الجماعات الثَّورِيَّة فحسب، بل تُمارَسُ أيضًا حتى مع ما يسمى بجماعات الإسلام السياسي مثل ما حصل مع أحد مؤسسي جماعة النهضة التونسية وهو عبد الفتاح مورو، الذي يقول: «**استغلوا فرصة خروجنا من منزلنا، فتركت منزلي وفيه حارس، فأخذو الحارس ليلًا إلى مدينة بعيدةٍ مسافة ستين كيلومتراً على أنه متهم بالقيام بعملية سرقة، وحققوا معه ليلَةً كاملةً وتركوه في الخامسة فجرًا ليرجع ويجدُ أن البيت مفتوحٌ، فكان انطباعنا أنهم عملوا شيئًا فدخلنا البيت نبحث، رُبَمَا تركوا مخدرات أو أوراق فلم نجد أنهم سرقوا شيئًا،**

---

[1] إصدار: حصاد الجواسيس، الجزء الأول، مؤسسة الملاحم، رجب 1435 هجري، الموافق لشهر مايو 2014 م.

[2] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني.

[3] مذبحة القلعة وغياهب غوانتنامو: أسرار شاهد عيان، وليد محمد الحاج، دار القمري، الطبعة الثالثة: 2009 (ص166).

ولكن وضعوا أدوات لتصويرنا في بيتنا مع أهلي، فلا تستطيع أن تتكلم بحرف، فهذه صورتك مع امرأة فلا تستطيع أن تقول أن هذا الجسد هو جسد زوجتي!»[1].

وكذا حال فتيات المدرسة في اليمن تعرضن للاعتداء الجنسي وابتزازهم بهذا، فرفضت غالبيتهن التجاوب مع الابتزاز والخضوع، وجاء في إصدار لتنظيم القاعدة في اليمن: «**نحن وجدنا وثائق عديدة حين اقتحمنا مبنى الأمن القومي والأمن السياسي في عدن وفي حضرموت وغيرها، فوجدنا كثيراً من الوثائق، فمثلاً تتبعنا وثيقة الثلاثين طالبة، اللاتي تعدى عليهن هؤلاء المجرمين، فما وجدنا من رضخت له أو استمرت معه إلا عدداً يسيراً لا يتعدى عدد أصابع اليد الواحدة وهذا من لطف الله تعالى. فبعضهن انتقلن من مكان لآخر عبر الضغط على أهلها، وتركن التلفون تماماً، وبعضهن نزحن وبعضهن بقين في بيوتهن لكنهن رفضن الابتزاز**»[2].

وكذلك عند أخذ القروض وأن يكون الشخص مديوناً وعندما يفقد القدرة على سداد الديون لعدم كفاية الراتب الحكومي وعدم توفرِ البدائل؛ فإن بعض هؤلاء يلجؤون إلى «**جهاز مخابرات أجنبي ليقدموا له المعلومات إذا كَانَ على استعداد لدفع أموالٍ كافيةٍ**»[3]. والاختلاسُ ثُمَّ الانكشافُ أو الخوفُ من الانكشافِ أيضاً كَانَ سبباً في تجنيد أحد أهم الأشخاص لدى الولايات المتحدة، يقول هنري كرامبتون حاكياً قصة هذا الجَاسُوس: «**أخذ مالاً من صندوق النقود في السفارة زاعماً أنه يريد شراءَ لوازمٍ وخسرَهُ في عملٍ طائشٍ واحدٍ، ولم يمتلكْ أي وسيلةٍ لإعادة المال المسروق. عرف أن السفارة ستدقق في حسابات الصندوق في الأسبوع التالي -إن لم يكن أبكر- ويتعدى الأمرُ كونه مجردَ سرقةٍ إذ أنه خرقٌ للأمن.**

---

[1] قناة الجزيرة، برنامج شاهد على العصر، لقاء مع عبد الفتاح مورور، الجزء الثالث عشر، تاريخ 21 يونيو 2015.

[2] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثالث، مؤسسة الملاحم، الجمعة 19 صفر 1441 هجري، الموافق لـ أكتوبر 2019 م.

[3] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص170).

ولن يرحمه رئيسه وكل من في السفارة وسيتساءلون عما ارتكبه من جرائم أخرى، وإذا وجدوه مذنباً بهذا فسيرتابون بأنه متورط بأمور أخرى، ولو أُمسِكَ به فسيواجهُ تحقيقاً قاسياً ووحشياً تعقبُهُ عقوبةٌ طويلة بالسجن. هذا بسبب موقعه وبسبب مسؤوليته المهنية الفريدة».

وما تلك المهنة الفريدة التي يقصدها كرامبتون؟ «**إنه يشغل موقع ضابط الاتصالات، ويعرف أيضاً بكاتب الشيفرة في إحدى السفارات. وليس بكاتب عادي للشيفرة بل يعمل لحساب جهاز الاستخبارات الخَارِجِيَّة التابع لبلاده. ويمسك بمفاتيح التشفير التابعة لنظام الاتصالات في جهازه، ويصل أيضًا إلى الملفات. ويعرفُ تقريباً كل ما يتعلق بشبكات التجسس التابعة لدولته في البلد»**.

فكان صيداً ثميناً وله قيمةٌ عاليةٌ «**فأحدُ أهدافِ وكالةِ الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأمريكية الرَّئِيسِيَّة في البلاد هي اختراقُ سفارتِهِ، وجهازه الاستخباراتي»**.

وبعد قصة طويلة تمكن من الاتصال مع وكالة الاستخبارات الأمريكية وتم تجنيده وأصبح «**في جيبه ما يكفي من المال لإعادة ما سرقه. وعرف أيضاً أن ذلك سيُرفق بتعليمات»**. فماذا كَانَتْ الثمرة؟ فقد «**تجسس على مدى سنوات مسلماً استخبارات تقطع الأنفاس ومعلومات لا سابق لها عن أنظمة الاتصالات لقاء مبالغَ صغيرةٍ من المالِ وإيداعات ضخمة في حساباتٍ سريَّةٍ خاصة. كَانَ واحداً من أكثر عملاء وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة خصباً وقيمةً، ولم يمسكْ به أبداً»**[1].

وقد يحصل الابتزاز أيضاً بالإكراه والإجبار على الزنى ثُمَّ توثيقه، وقد شهد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب كفلًا لا بأس به من الجواسيس الذين جندوا من خلال اغتصابهم وتصويرهم وابتزازهم بهذه الصور والمقاطع.

---

[1] فن التجسس، (ص65-67-69).

فالجاسوس «نايف بن فلاح المطيري»، بعد اعتقاله والتحقيق معه تَمَّ إعطاؤه مشروباً منوماً، فتم اغتصابه وتصوير ذلك أثناء غيابه عن الوعي، ثُمَّ تَمَّ ابتزازه بهذه الصور، وكذلك فُعِلَ مع «سالم محمد ناصر» الذي أُعتقل من قبل المباحث، واقتيد إلى غرفةٍ وهو مقيدٌ، وأُغتصب مع تصويره وابتزازه إن لم يوافق، ومثل ذلك فُعل مع الجَاسُوس «يوسف الشحري»، ومع الجَاسُوس «صالح بن علي الشروري»، والجاسوس «عبد الرحمن البريدي» الذي هُدِّدَ بالاغتصاب بعد أن عُرِّي تماماً[1]، فكل هؤلاء كانوا جواسيس فعالين ضد تنظيم القاعدة وأحدثوا أثراً مدمراً داخل التنظيم، وقد جُندوا من قبل طريقة واحدة تقريبًا، وهي الاغتصاب والابتزاز.

وقد استطاعت المخابرات المصرية تجنيد بعض أبناء قادة الجماعات المصرية التي استقرت في السودان من خلال الاغتصاب والابتزاز، يقول الدكتور هاني السباعي أن المخابرات المصرية استطاعت تجنيد ابن أحد أفراد الجماعات الجهادية في السودان، من خلال دعوته إلى أحد المكاتب وبعد أن سقوه سائلًا يحتوي على مخدر، مارسوا معه اللواط ووثقوا ذلك، وبعد أن أفاق عرضوا عليه الصور وابتزوه بها «**نخضع الولد وصار يذهب إليهم ويعطيهم معلومات وأسراراً ويحكي لهم عن الجماعة التي يعيش في وسطها. وبعد هذا الولد، جُنّدَ ولدٌ آخر اسمه مصعب هو ابن أبو الفرج اليمني (أحد قادة الجهاد وهو مصري وليس يمنياً). جُنّد بالطريقة ذاتها. قال له الولد الأول: تعال معي عند صاحبنا وهناك سقوه عصيراً وخدّروه وقالوا له في النهاية أنهم صوّروه وعملوا فيه كذا وكذا. وهكذا جُنّد الولد الثاني**»[2].

---

[1] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني.

[2] القاعدة وأخواتها: قصة الثوريين العرب، كميل الطويل، دار الساقي، الطبعة الأولى: 2007، (ص189).

ثُمَّ قامت جماعة الجهاد بمحاكمة الأولاد وإعدامهم، مما تسبب بأزمة ما بين جماعة الجهاد والحكومة السودانية التي اعتبرت جماعةَ الجهادِ دولةً داخل دولة، وهو ما حدا بالحكومة السودانية أن تطلب من جماعة الجهاد أن تغادر السودان، فخرجت الجماعةُ إلى أفغانستان[1].

وهذا الأمر ليس حكراً على المعتقلين ولا من أجل التَّجْنِيد لحرب القاعدة، فقد رصد تنظيم القاعدة حالات أخرى ولكنها ليست من أجل اختراقه، بل من أجل التَّجْنِيد لأغراض أخرى تقوم على نفس المبدأ، مثل حالات اغتصاب المرأة أثناء مراجعتها المستشفى بعد الاستفراد فيها وتخديرها، أو اغتصاب المرأة التي يعرفون أنها ستسافر لوحدها فيكمنون لها في موضع معين ويستفردون بها[2].

إضافة إلى هذا قد يقع الابتزاز من خلال: «**توثيقِ أمورٍ غيرِ أخلاقيةٍ على قريب المستهدف وابتزازه من خلالها**». وهذا من أبرز وسائل التَّجْنِيد لدى بعض أجهزة المخابرات، يقول مسؤول الأمن القومي بحضرموت الوادي والصحراء «رشيد عبد الله الحبشي» موضحاً بعض أساليب التَّجْنِيد: «**بالنسبة لتجنيد الجواسيس فيتم بطرقٍ مختلفةٍ، أبرزها: الإغراء المادي والابتزاز الأخلاقي. يُفضَّل في طريقة الابتزاز الأخلاقي عبر الضغط بصورة موثقة لأحد أقرباء الشخص المراد تجنيده حتى يعمل على تنفيذ هدفٍ محددٍ**»[3].

وأحياناً لا يَنحصر الأمر على التَّجْنِيد بل على إجبار الشخص على السكوت وعدم الإنكار وإخضاعه تماماً، يقول الجَاسُوس معاذ علي الصنعاني: «**هنالك وحدة مهمتها تركيع المسؤولين والمشايخ. يأخذون بناتهم من المدارس ونساءهم أو أحد أقاربهم من البنات، ويفعلون لهم**

[1] القاعدة وأخواتها: قصة الثوريين العرب، (ص193).

[2] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثالث.

[3] إصدار: جانب من اعترافات مسؤول الأمن القومي بحضرموت الوادي والصحراء، مؤسسة الملاحم، محرم 1436 هجري، الموافق لشهر نوفمبر 2014 م.

أفلام ويركعونهم بهذه الطريقة، فتجد كثيراً من الأعيان مع أن لهم كلمتهم لكن إذا ظهرت أي مشكلةٍ تجدهم صامتين بسبب هَذِهِ الأشياء»[1].

وتعليقاً على ما سبق:

أولاً: قد يقول البعض لقد تَمَّ اعتقالي في السجن وثم تَمَّ اغتصابي قَسرًا وتوثيق ذلك، مع التهديد بنشر هذا التسجيل، ومن المعلوم أن أجهزة الاستخبارات لا تجرأ على فعل ذلك، لأن هذا دليل إدانة عليها لدى المنظمات الحقوقية، فهي تنتهك حقوق السجناء بالدليل القطعي والواضح الذي سوف يجعلها في موقفِ ضعفٍ؛ ويعطي هَذِهِ المنظمات الدليل المادي لتصعد من ضغطها على هَذِهِ الدول في المحافل الدولية، فلذلك هَذِهِ التسجيلات فقط للتهديد والتخويف وليس من أجل نشرها، يقول القاضي في تنظيم القاعدة باليمن أبو بشر حمد درامة: «**وهناك ممن جاء إلى المجاهدين معترفاً أنه وقع في شبكة التجسس، وهدد بفضحه من المجرمين، لكنه ثبت ولم يعمل معهم، ورفض ضغوطهم فلم يستطيعوا أن يعملوا له شيئا لما رأوا ثباته، فنؤكد أن العدو لا يستطيع بحال من الأحوال أن ينشر الصور لأنها إثباتٌ عليهم وهذا الذي قلنا لمن سلم نفسه سابقاً واتصلوا عليه وهددوه ثُمَّ انتهى الأمر ولم يحصل شيء**»[2].

ثانياً: أن لابد أن يَتقصدَ الشخصُ في التقاط الصور فيما لا داعٍ له، فأحياناً قد يصور الشخص نفسه عارياً أو أثناء ممارسة الجنس أو صوراً حميمية حتى وإن كَانَ الطرف الآخر هو الزوج أو الزوجة، فالبعض يفعلها من دافع توثيق الذكرى، دون الأخذ بالاعتبار أن محتويات الهاتف يُمكِنُ اختراقها واستخراج ما فيها وابتزاز صاحبها مثل ما حصل مع «جيف بيزوس» فقد «**اختُرِقَ هاتف بيزوس بعد تلقيه رسالة واتس آب في مايو/ أيار 2018، وبعد**

[1] إصدار: هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثالث.

[2] إصدار: أفلا يتوبون إلى الله، مؤسسة الملاحم، جمادى الآخر 1441 هجري، الموافق لـ فبراير 2020 م.

لفحص الهاتف، تبين أن كميات هائلة من البيانات سُربت منه بعد تلقيه ملف فيديو مشفر»[1]، وأما عن مضمون تلك البيانات وأهميتها فتتضح في الخبر التالي، ففي «**مساء السابع من فبراير/شباط، أعلن جيف بيزوس تعرضه للابتزاز الجنسي. لم يستخدم المدير التنفيذي لأمازون ومالك جريدة واشنطن بوست هذا المصطلح في تدوينته المدوّية على موقع "Medium"، والتي قال فيها إنّ صحيفة "the National Enquirer" والشركة المالكة لها، شركة "American Media Inc"، قامتا بابتزازه بـ"صورٍ حميمية" التقطها لنفسه**»[2].

ثالثاً: إن بعض التَّجْنِيد يكون من طرف الأقارب، كالأخت أو البنت أو الزوجة، أو حتى الصديقة، وهذا لا يكون إلا بإهمال من الرجل أو قريبته، ولو كَانَ متابعاً حريصاً لا يترك زوجته لوحدها، ولا يجعلها تسافرُ وحدها، لما حصل ما قد حصل، وهذا الأمر يحصل عندما يتخلى الرجلُ أو ربُّ الأسرةِ عن دوره المناط به والمطلوب منه.

رابعاً: لأن هذا الدافع يعتمد على استغلال حاجة الآخرين ونقاط ضعفهم الإنسانية فإنه لا يجوز للحركة الثَّورِيَّة بحالٍ أن تستخدمه في التَّجْنِيد، فإن ذلك يتنافى بِشَكلٍ مطلقٍ مع قيم الإسلامِ ومبادئ الشرعِ الحنيف.

---

[1] بي بي سي العربية، جيف بيزوس: خبيران أمميان يطالبان بتحقيق في "علاقة" بن سلمان باختراق هاتف رئيس أمازون، 23 يناير/ كانون الثاني 2020:

https://www.bbc.com/arabic/middleeast-51208183

[2] الجزيرة نت، ميادين، جيف بيزوس والابتزاز.. لا أحد سيصورك بل ستصور نفسك!، 23 فبراير 2019، (https://2u.pw/4MDh8).

ثامناً: اليأسُ

تحدث عبد الله البرغوثي صاحب كتاب المقصلة عن دافعٍ مهم، لم تتطرق له معظم المؤلفات التي تحدثت عن التَّجْنِيد وفنونه، وهو: **"اليأس في ظل غياب الممثل الحقيقي للمقاومة"...**

لقد وصف البرغوثي حال الفلسطينيين كمن وقع بين المطرقة والسندان، بين احتلال يهودي يصبُّ جام غضبه على المدنيين العزل لمجرد أنهم فلسطينيون مسلمون، وبين سلطةٍ عميلةٍ خائنةٍ ملتزمةٍ باتفاقية أوسلو، تلاحقُ كل من قرر النضال والمقاومة، ولا تختلف أساليبها في شيء عن تلك التي يستعملها اليهود، بل قد تكون من حَيْثُ الضراوة أشد وأقسى بكثير، وغالباً ما تشن هَذِهِ الأجهزة العميلةُ حملاتٍ على المجاهدين تنسيقاً مع الشاباك وتنفيذاً لأوامر الاحتلال.

إن هذا الوضع المرير قد يولِّد يأساً لدى الفرد الفلسطيني، حَيْثُ أصبح ينظر إلى الحكومة والسلطةِ القائمةِ في الأراضي الفلسطينية فيجدها متسخةً هابطةً منحطةً، يجدها عميلةً بالدرجةِ الأولى لليهود، خائنة لدينها وقيمها بكل المقاييس، تحرس أمن الاحتلال، تلاحق عدوه، وتتقرب له بالتجسس والترصد والقضاء على الثُّوَار.

ينظر خلفه فيرى وجهاً قبيحاً قد نخر الفساد في جلده، وسلطةً لا يعدوا أصحابُها أن يكونوا عبيداً حقراء لحكومة يهود. فيقول المسكين في نفسه: لما النضال إذا؟ أمِنْ أجل هؤلاء الأوغاد تُبذل الدماء والأموال، وتُرمّل النساء، وتيتم الأطفال؟ أمِنْ أجل أن يَقطف هؤلاء الحقراء الثمرة أضحّي أنا بالغالي والنفيس، وأُشرّد وحيداً في كل أرض، وألاحق طريداً في كل مكان؟!

ثُمَّ يقع الجواب في نفسه المنهزمة المدمَّرة القانطة: "لا والله... إنهم لا يستحقون ذلك، فلْأُزاحِمهم إذاً في سلطتهم، ولْأَتَّصلْ أنا بالنبع مباشرةً، ولْأَربطْ حَبْلي بالسيّد الذي يخدمونه دونهم؛ **فأن أكون عبداً لسيدٍ حقيقي، خيرٌ لي من أن أكون رقيقاً للعبيد.**

هُنَا فقط، حين يظن الفرد أنه لا قيمة لنضاله ولا فائدة من مقاومته لأنه لا وجود حقاً لمشروع أو قدوات يستحقون ذلك، وأن الذي يمثل الثَّورَة والمقاومة ليس إلا خائناً عميلاً من تحت الطاولة، من هُنَا تبدأُ سلسلةُ العمالة، انطلاقاً من اليأس، مروراً بالخضوع، وصولاً للخيانة، وهكذا كَانَتْ قصة الجَاسُوس الذي تحدث عنه عبد الله البرغوثي. يقول مؤلفُ "رواية المقصلة" متحدثاً على لسان الجَاسُوس:[1]

"لقد استشهد أخي قبل نهاية الانتفاضة الأولى بقليل، وبعد بدأ دخول رجال السلطة إلى المناطق المحتلة بقليل أيضاً، تلك الفترة الضبابية التي عملت خلالها أجهزة السلطة على إثبات قوتها ونفوذها على الأرض، من أجل كسب ثقة أجهزة الأمن الصهيونية التي كَانَتْ تعطيهم مزيداً من الصلاحيات كلما تفانوا في عملهم.

كانوا يهدفون من وراء هذا العمل إلى القضاء على الثَّورَة والثوار، وهكذا أغروا الكثيرَ من الثُّوَار بأن يتركوا الثَّورَة، وينضموا إلى صفوف أجهزة السلطة الأمنِيَّة. ومن لم يقبل لوحِقَ وقُتل على يد رجال الأمن الوقائي والمخابرات العامة في المناطق التي انسحب منها الاحتلال الصهيوني.

استشهد أخي الذي كُنْتُ أعدُّهُ أباً لي برصاص قوات الاحتلال بعد أن اعتقله رجالات السلطة وضيقوا عليه الطوق والخناق.. فلم تعتبر السلطة أخي شهيداً، بل اعتبرته خارجاً عن القانون ومتمرداً، رغم أنه كَانَ من أطفال الحجارة في بداية الانتفاضة الأولى، وأصيب خلالها العديدَ من المرات.

[1] عبد الله البرغوثي، المقصلة وجواسيس الشاباك الصهيوني، الطبعة الأولى 2013 بيروت، من ص 14 حتى 20 مع بعض الاختصار.

كبرت وأنهيت دراستي الثانوية، وقبلت في إحدى الجامعات، وقبل أن أنهي شهريَ الثاني في الجامعة قرر الشعب الفلسطيني أن يبدأ انتفاضةً ثانيةً، انتفاضة الأقصى، بعد أن دنس شارون المسجد الأقصى بقدميه النجستين.

انطلقت الانتفاضةُ لكنني لم أنطلق معها، بل واصلت الحضور في الجامعة رغم أن غالبية الطلبة كانوا يشاركون في فاعليات الانتفاضة. تلك الفاعليات التي كُنْتُ أمقتها كما أمقت الانتفاضة. فلقد كُنْتُ أرى رجالات السلطة الذين كانوا يسوقون إلى السلام المزعوم في أوسلو قد باتوا يحرضون الشباب على مقاتلة الاحتلال، الاحتلال الذي كَانَ يحصد يومياً أرواح العشرات من الشباب والأطفال، بينما كَانَ رجالات أوسلو ينتقلون من محطةٍ فضائيةٍ إلى أخرى، أبطالاً فاتحين ومحررين، متسلقين جثث الشهداء نحو مجدٍ زائفٍ.

داهمت قوات الاحتلال الصهيوني منزل أهلي الذي كُنْتُ أعيش به أنا وأمي وإخوتي، ثُمَّ عملت جرافاتها على هدم المنزل، لأن أحد إخوتي قد قام في صباح ذلك اليوم بطعن جنديين، فقتل أحدهما وأصاب الآخر بجروحٍ خطرةٍ، ورغم أن أخي هذا قد تَمَّ قتله على الفور إلا أنهم هدموا منزلنا وشردونا.

لم أعترض على ما قاموا به، لكن أخي الآخر اعترض وحاول هو أيضاً طعن جندي من أولئك الذين قاموا بهدم منزلنا، فاعتقلوه، وحكموا عليه بثمانية عشر عاماً، رغم أنه حاول.. حاول فقط، ولم يتمكن من طعن أحد من أولئك الجنود. كُنْتُ أشاهدُ ما يجري وكأن لا علاقة لي به، فلم أتأثر لاستشهاد أخي الثاني ولا لاعتقال أخي الثالث، ولا لتشرد أمي وأختي..

أما أنا فلقد ذهبت إلى الجامعة في صباح اليوم التالي، ولم أحضر جنازة أخي، فلقد كُنْتُ مشغولاً بالبحث عن سكنٍ قريبٍ من الجامعة، ووجدته في إحدى البنايات المخصصة لسكن الطلاب الجامعيين، مكثتُ في ذلك السكن الجامعي عدةَ أيامٍ، حتى دُوهِمَ من قبل قوات الاحتلال... تلك القوات التي اعتقلتني ثُمَّ اقتادتني إلى أحد مراكز التحقيق..

هُنَاكَ قال لي المحقق لماذا لم تحضر جنازة أخيك؟.. أخيك الشهيد معتصم الذي أراد الانتقام لأخيك الشهيد أشرف فقتل جندياً وأصاب آخر.. لم أجب على أسئلة المحقق، فلم تكن عندي إجاباتٌ أصلاً على تلك الأسئلة، لكني قلت له أريد أن أعمل معكم.. أريد أن أصبح عميلاً وجاسوساً لكم.. فأنتم الأسياد.. ورجالات السلطة ليسوا سوى مجموعةٍ من أذناب كلاب الأسياد.. أما نحن الشعب فمجرد وقودٍ للمعركة التي يحصد ثمارها لصوص السلطة من ناحية، وأسياد السِّيَاسَة الصهيونية من ناحية أخرى، لا أريد أن أكون مجرد وقود للمعركة، بل أريد أن أكون جاسوساً عميلاً يعملُ مع الأسياد." (طبعا وافق الشاباك على تشغيله، وبقي على ذلك اثنتا عشرة سنةً كاملةً، تسبب خلالها في قتل العديد من الثُّوَار، إلى أن اعتُقِلَ وأُعْدِمَ على يد المقاومة).

الفصل الثالث: مراحِلُ عَمَلِيَّةِ التَّجْنِيدِ

"إن تجنيد أفضلِ الجواسيس، أي أولئك الذين يسرقون أسراراً من الدوائر الدَّاخِلِيَّة لمخيم العدو، ويبقون في أماكنهم لفترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ، يعتمدُ عادةً على أواصرِ الصداقةِ الخاصةِ التي تترسخُ مع مرورِ الوقت وبكثيرٍ من الصبرِ."
(ستيفن غراي، أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ)

يُمْكِنُ تقسيم التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ من حَيْثُ وجود التخطيطِ المسبقِ له من عدمه إلى: تجنيدٍ فجائيٍ وتجنيدٍ مدروسٍ. تميز عَمَلِيَّةُ التَّجْنِيدِ المدروسِ بالتخطيطِ المسبقِ وتحديدِ الهدفِ ودراسته قبل الشروع في تجنيده، أما التَّجْنِيدُ الفجائي فهو أن يأتي الهدف من تلقاء نفسه -دون أيّ تخطيطٍ مسبق من قبل أجهزةِ الاستخبارات- ويعرِضُ خدماته.

ومسألة التَّجْنِيد الفجائي مختلف فيها بين أصحاب الحرفة، فمنهم من يقلّلُ قيمتها بِشَكلٍ كبيرٍ مثل وحدة الاستخبارات البريطانية "فرو" التي ترفضُ بِشَكلٍ قاطع التَّجْنِيد العشوائي، وجاء على لسان أحدِ ضباطها: «**هم أسوأ أنواع العملاء على الإطلاق. فليس لديك أيّ قدرةٍ أبداً لتعرف من هم حقاً. بل كانوا في أغلب الأحيان فخّاً من العدو لاكتشاف ما نعرفه عنهم، أو ليروا طريقتنا في العمل، أو لكي يزوّدونا بمعلوماتٍ خاطئةٍ**»[1]

ومنهم من يَعتَبِرُ التَّجْنِيد الفجائي من صُلبَ العمل الاِسْتِخْبَارِيّ، كما يقول بيردن مدير السي آي أي في إسلام أباد أثناء الحرب السوفياتية: «**على العموم.. من مسؤولية ضابط الاستخبارات التأكد من أن الجميع يعرفون صندوقه البريدي.. بعض أفضل جواسيس الغرب اضطروا حرفياً إلى رمي أنفسهم على عدوهم السابق لكي يَتِمَّ توظيفهم.. فقد احتاج**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص108).

تولكاتشيف إلى ثلاثة عشر شهراً وست محاولات في موسكو- بما في ذلك الضرب على سيارة رئيس محطة السي أي أي- قبل أن يسمح المركز بعقد اجتماع معه.. ثُمَّ أصبحَ أكثرَ العملاء قيمةً بفضل عزمه وإصراره فقط لا غير.. جوهر القضية لم يكن أبداً تجنيدُ الجواسيس بل تشغيلهم»[1]

والحق في المسألة أن "الفجائيين" أو "المتطوعين" قد يكونون على درجةٍ عاليةٍ من الفاعِليَّةِ، تماماً مثل المجنَّدين الآخرين. خاصةً في الساحة التي يكون العدو فيها ذا قبضةٍ بوليسيةٍ صلبةٍ تمنع من معاشرة العميل والتحاور معه، لكن ينبغي الحذر دائماً من أولئك الذين يريدون اختراقك.

ولأن موضوعنا في هذا الفصل هو مراحل التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ، فإن المراحل التي سنذكرها عن عَمَلِيَّة التَّجْنِيد تنطبق على كلا النوعين من العملاء: الفجائيون والعاديون. وعلى الرغم من أن التَّجْنِيد الفجائي لا يمرُّ بالمرحلة الأولى (تحديد الهدف)، إلا أنه ينبغي أن تنطبق عليه الإجراءات التي تتضمنها هَذِهِ المرحلة من دراسة مفصلة للهدف وتحليل دوافعه النفسية وميولاته الشخصية. ومن أجل تفصيلٍ أكثرَ سنقوم بتقسيم الفصل إلى المراحل التالية:

تحديد الهدف
بناء العلاقة
تحوير العلاقة
التدريب
المتابعة والتقييم

الشكل (5): مراحلُ التَّجْنِيدِ الاِسْتِخْبَارِيِّ

[1] المصدر السابق.

أولاً: تحديدُ الهدفِ

عَمَلِيَّة التَّجْنِيد تمر بعدة مراحل وتتخللها عدة أمور أولها «**تحديد الهدف وجمع المعلومات عنه وتحليل المعلومات وشخصية المستهدف من أجل إيجاد الطريقةِ الأنسبِ لإخضاعه**». إن ما تفعله الجهة المسؤولة عندما تريد أن تجندَ عميلاً أو جاسوساً هو البحث «**عن حياة هذا الشخص، ونقاط الضعف فيه، فإذا وجدت نقاط الضعف فتستطيع من خلالها الوصول إليه. مثال: رجلٌ عنده نقطة ضعف أمام النساء فتقرِّب له النساء، إنسان عنده حب المال فتقرِّب له المال، رجلٌ يحب الشهرة فترفع من منزلته، إلى غير ذلك**»[1].

وبعبارة أخرى إن حصلت على معلومات حول العميل يُمْكِنُ أن تجد الثغرات المناسبة فيها وأن تدخل من خلاها من أجل التَّجْنِيد، ومن أجل ذلك يعتمد «**ضباط أمن الدولة في عَمَلِيَّة تجنيد المصادر على معرفة كوامن النفوس البشرية واستغلال نقاط الضعف فيها، حَيْثُ ينتقي الضباطُ عناصرَ معينةً للتجنيد بعد دراسة ظروفهم الاجتماعية والمادية والنفسية، ومن ثُمَّ يمارسون عليهم ضغوطاً شديدةً لتجنيدهم**»[2].

لذلك إذا وجد ضابط المخابرات الشخص الذي يصلحُ للعمل في المخابرات فيتعين عليه «**أن يتأكد أولًا من الأسس التي سيكون العميل المحتمل على استعداد للعمل على أساسها، أو ما هي السبلُ التي يُمْكِنُ من خلالها دفعهُ لقبول هذا العمل**»[3].

ويحكي «هنري كرامبتون» مثلًا أنه عندما أراد تجنيد مسؤولةٍ أجنبيةٍ فإنه درس ملفها وعرف خلفيتها والمواضيع التي يُمْكِنُ الدخول من خلالها، فتجده يقول: «**درست موجزاً عن**

---

1 سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الخامسة: كيفية تجنيد الأفراد في التنظيم، مركز الفجر للإعلام، 1432هـ/2011م.

2 العقلية الأمنِيَّة في التعامل مع التيارات الإسلامية، (ص23-24).

3 كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص167).

ملفها في المكتب الصغير الذي أتشارك فيه مع اثنين آخرين من الضباط الصغار، وعرفنا موقف حكومتها وخلفيتها العائلية والعلمية وقيمتها الاستخباراتية المحتملة، وجمعتُ في ذهني لائحة من المواضيع التي يتضح أنها تهمها، وعلى رأسها العائلة»[1].

ونسبة نجاح التَّجْنِيد ترتفع كلما عثرت على نقاط ضعف أثناء جمعك للمعلومات عن المستهدف، يقول الضابط السابق في الاستخبارات الخَارِجِيَّة الفرنسية بيار لوثيير: «**نحن نعيش على نقاط الضعف؛ وإلى أن نكتشف نقطة ضعف ما، نبقى جالسين وندخن السجائر ونقرأ الفايننشل تايمز**»[2] كدلالة على سهولة المهمة.

وكما سوف يأتي معنا في قصة العميل البريطاني داخل الجيش الجمهوري الإيرلندي «ستيكانيف»، فقد كَانَ مرصوداً من قبل أحد الأجهزة الأمنِيَّة البريطانية، وأنه بعدما أُزيل من منصبه كقائد لواء في الجيش الجمهوري قد «**تلقوا إشارة بأنه قد أصبح ساخطاً**» وعلى ضوء ذلك رسموا سياسةً للتجنيد وهي إذكاء هذا السخط وزيادته فبقوا «**يلعبون على مشاعره لعدة ساعات قائلين له: "أنت أفضلُ مما يظنون"**»[3] ونجحوا في زرع بذور الخيانة داخله.

وهذا الرصد يشمل حتى قيادات العدو، كما رصدت المخابرات الغربية المسؤولين الشيوعيين سواء الذين كانوا في قمة السلطة وصولاً إلى أقل المستويات في الحزب، واحتفظوا بسجلات للأعمال العامة والحياة الخاصة لهؤلاء المسؤولين، وما الفائدة من هذا؟ تحصل الفائدة عندما تظهر أيُّ بوادرَ عَمَلِيَّةِ تطهير داخل الحزب الشيوعي تحاول المخابرات الغربية الاتصال بهؤلاء الذين يعتقد أنه سيتم الاستغناء عنهم أو الذين سيتعرضون لعقاب أشد «**فتحاول إقناعهم أنهم**

---

[1] فن التجسس، (ص108).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص108).

[3] فن التجسس، (ص109).

سيحتاجون مساعدةً وأنهم سيحصلون على هَذِهِ المساعدةِ إذا ما تعاونوا»[1]. فحصول انشقاقٍ من قبل مسؤولٍ شيوعيٍّ كبير يعني أن تتضح الصورة أكثر لدى الاستخبارات الغربية وضررٌ أكبر لدى الاتحاد السوفيتي، وكل هذا لن يَتِمّ لو لا أنهم لم يرصدوا ويراقبوا هؤلاء الأشخاص منذ البداية.

أما بالنسبة لأماكن استهداف التَّجْنِيد، فإنها تختلف حسب اختلاف طبيعة الهدف الذي يبحث عنه جهاز الاستخبارات، في حالة كَانَ الهدفُ جهادياً فإن ميادين التَّجْنِيد تكون عادة: المساجد والجامعات الشرعية والسجون...إلخ وفي حال كَانَ الهدفُ المرادُ تجنيدهُ امرأةً مثلاً فيمكن الوصول إليه من خلال العيادات النسائية مثلاً أو صالات التجميل أو عيادات الأطفال، أما إن كَانَ الهدف منحلاً أخلاقياً فإن الخمارات ودور الدعارة وصالات الرقص تعدُّ ميداناً مناسباً جداً لتجنيد هؤلاء.

---

[1] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص171).

ثانياً: بناءُ العلاقةِ

يقول الصحفي ستيفن غراي: «**وقد أصَرَّ العديد منهم** -أي مجندي أجهزة الاستخبارات- **على أن أفضل الجواسيس قبلوا التعاون من أجل شيء بسيط: الصداقة**»[1]، أو كما قال أحد ضباط الشتنازي: «**لا أستطيع أن أتذكر أي جاسوس مفيدٍ لم يجند نتيجةَ صداقةٍ حقيقةٍ**»[2]، أو حتى كما قال ضابط في وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة: «**زالت الأيدولوجيات مبدئياً في الثلاثينيات، وما كَانَ ينفع حقاً كَانَ أبسط بكثيرٍ، أي وجودُ تلك العلاقات الشخصية الوثيقة بِشَكلٍ كبيرٍ من الشخص، ومن دون وجود مهارةٍ في إنشاء تلك الصداقات، لم تكن قادراً على النجاح**»[3].

ومن خلال هذا تعرِفُ أهمية العلاقات في عمليات التَّجْنِيد، وأن الاستخبارات تستخدم أساليبَ خشنةً من أجل التَّجْنِيد مثل الإكراه والابتزاز ولكنها أيضًا تستخدم أساليب ناعمة مثل إقامة علاقات الصداقة الأخوية.

ويقول المشغلون أيضاً: «**لا داعي إلى فرض نفسك بالقوة عند محاولتك تجنيد أي مصدرٍ، ومثلما يقول المثل الاستِعمَارِيُّ: بهدوء بهدوء أيها القرد**»[4]. فلابد من طول نفس لتمتين هَذِهِ العلاقة، وكسب الثقة.

ومن أجل الحفاظ على هَذِهِ العلاقة وحتى لا يحسَّ الطرفُ الآخر أن هَذِهِ العلاقةَ نفعيةٌ؛ فلا يُطلب منه أن يقوم بفعلٍ معينٍ بعد أن تقدم له المساعدة، وإنما يَجِبُ وضعه في وضع أن يبادر هو بنفسه في ذلك، يقول أحد المجنِّدين: «**إذا كَانَ أحد الأشخاص يعاني من نقطة**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص111).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص112).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص114-115).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص110).

ضعف، فأنت تريد أن تبدو المنقذ بالنسبة إليه، فأنت الآن أفضل أصدقائه الذي يستطيع مساعدته في التغلب عليها. ولا ينبغي أن تقول له: "يَجِبُ أن تفعل هذا بسبب هذا أو ذاك" فهنالك الكثير من الكلام الضمني، وهنالك الكثير من "هو يعرف أنك تعرف أنه يعرف ولكننا لا نناقش ذلك أبداً"»[1].

ولابد أن يكون بين المُستهدَفِ والمُستهدِفِ قواسمٌ مشتركةٌ لتمتين علاقتهم، ويمكننا أن نضرب بقصة العميل البريطاني في الجيش الجمهوري الأيرلندي «ستيكانيف» مثلاً في ذلك، فقدت «**سارت الأمور على ما يرام على الأرجح، لأنه تولدت صداقة سريعة بين ستيكَايف ومشغليه. ومثلما قال شخصٌ حسن الاطلاع: يَجِبُ أن يحبوك. كَانَ ستيكَايف يحب كرة القدم والموسيقى واحتساء الشراب. وكان مشغلوه يحبون كرة القدم والموسيقى واحتساء الشراب أيضاً**»[2].

ومن أجل تمتين هَذِهِ العلاقة وزيادة مستوى الثقة فلا يصُحُ أن تكون العلاقة عَرَضيَّةً أو متقطعةً بل لابد أن يكون المشغل جزءاً لا يتجزأُ من حياة المجند «**فإن نشوء هذا المستوى من الثقة يتطلب وقتاً. وسيحتاجُ المجَنِّدُ إلى قضاء وقتٍ كافٍ مع الشخص الذي سيصبح جاسوساً، منُشئاً صداقةً معه بناء على تجاربَ مشتركةٍ -الجلوس في المقاهي أو زيارة المعارض أو قضاء العطل معاً-، وهذا سيجعله جزءًا من حياة الشخص الآخر في نهاية المطاف**»[3].

وقد ترى بعضُ الجماعات أن تمتين العلاقة بين المجَنَّد المستجد والجماعة يستلزم ربطه اجتماعياً من خلال الزواج، حَيْثُ يقول عبد الله العدم: لابد أن تربط «**هذا الأخ الجديد في الجماعة**

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص111).

[2] المصدر السابق.

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص112-113).

بعلاقةٍ اجتماعيةٍ، أسريّةٍ؛ زواج إلى غير ذلك، بحَيْثُ يرتبط هذا الأخ ويتحمل مع أفراد الجماعة هموم الجماعة وآمال الجماعة»[1].

ثالثاً: تحويرُ العلاقةِ

يحاول المجنّدون في هَذِهِ المرحلة الانتقال من الصداقة المجردة إلى العمل، من إقامة علاقة عاطفية إلى علاقة وظيفية. وتعد هَذِهِ المرحلة من أدق وأخطر مراحل التَّجْنِيد، وهي ليست منضبطةً بزمنٍ معينٍ، بل هي متعلقةٌ بظروف تجنيد كل عميلٍ بحسبه.

يَتِمّ تحوير العلاقة من الصداقة إلى التَّجْنِيد، عندما يعرف الهدف أن الطرف الأول ليس إلا رجل استخبارات، فإن قبل استمرار العلاقة فهذا يعني أنه رُبَمَا هنالك ثَّمَّةَ فرصة يُمْكِنُ البدء من خلالها مثل ما يقول ضابط اشتازي[2]: «**التَّجْنِيدُ عَمَلِيَّةٌ تستغرقُ وقتاً طويلاً. وسيُدركُ بعضُ الأشخاص تدريجياً أنني من الاستخبارات. وإذا تابعوا التواصل معي، فسأعرف عندها أنه يمكنني بدء العمل**»[3]. وهذا ما انطبق أيضاً على «ستيكانيف» فقد « **كَانَ لا يزال قيد الاختبار، ولكنه اجتاز الخط لكي يصبح عميلاً ناضجاً بالكامل عندما وافق على لقائهم**»[4]، فالخطوة الأولى هي التي سوف تتبعها خطوات.

وبعد تعزيز العلاقة بين الطرفين، وبما أن العلاقة ليست صداقة حقيقة، فلابد أن يأتي يوم أن تلمح بِشَكلٍ غير مباشر إلى الطرف الآخر أنك تريد تجنيده، يقول ضابط الاستخبارات

---

[1] سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الخامسة: كيفية تجنيد الأفراد في التنظيم.

[2] الشتازي: هي وزارة أمن الدولة في ألمانيا الشرقية.

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص113).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص109).

المَرْكَزِيَّة: «**تحتاج في تلك المرحلة إلى "طرح السؤال" بطريقة أو بأخرى، لكي يُدرك الشخص أنك أردت مصادقته طوال ذلك الوقت بهدف القيام بدورٍ محدَّد: أن يكون جاسوسك**»[1].

مع التأكيد أن هَذِهِ الصداقة ليست صداقةً حقيقةً، بل نفعيةً، باعتراف ضباط المخابرات أنفسهم، فأحد ضباط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة يقول: «**نادراً ما يكون سبب اهتمامك بالصداقة نقياً**»[2]**.** أو حتى ما قاله مشغلو ستيكانيف: «**إنهم أصدقاؤك أو يصبحون كذلك، ولكنها أيضاً صداقةٌ من طرفٍ واحدٍ**»[3].

ولبدء هَذِهِ العلاقة أو هذا التواصل تحتاج إلى مبرر لا يَلفت الأنظار، كما كَانَ يفعل السوفييت في الدول العربية فقد كَانَتْ البعثة السوفيتية تعلن أنها مهتمة بشراء مواد معينة غير إستراتِجِيَّة مصنعة من قطاع الصناعة، وعندما يلتفت أصحاب المصانع أو الوسطاء إلى هذا الإعلان سوف يتوجهون لزيارة البعثة التجارية لمناقشة هذا الأمر، وسوف يطلب منهم أن يملؤوا استماراتٍ بالبياناتِ الشخصية العَمَلِيَّة والأسماء التي يُمْكِنُ الرجوع إليها والتقارير المَالِيَّة إلى غير ذلك، وحينئذ سوف يقوم بالنظر إلى كل هَذِهِ المعلومات ضابط مخابرات مرابط في البعثة وإذا ما بدا في أيّ من المرشحين خير يرجى من خلال تاريخه الشخصي أو جرائمه أو اتجاهاته السِّيَاسِيَّة أو غير السِّيَاسِيَّة أو حاجتِهِ إلى المال أو إمكانية ابتزازه؛ «**فإن السوفييت يسعون إلى مصادقته والتقرب منه متظاهرين بأن إجراءات الصفقة تسير في بطء، وإلى هذا الوقت لا يظهر أي دليلٍ على وجود تجسس كما لا يبدو أن هنالك شيئًا مخالفًا للقانون**»[4].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص115).

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

[4] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي ، (ص123).

رابعاً: التَّدريبُ

ومن مراحل التَّجْنِيد «**التدريب**»، فالتدريب يختلف باختلاف الحال، فالشخص الذي عمل في الاستخبارات من خلال الطرق التقليدية كتقديم طلب الانضمام وتمت الموافقة عليه، فإنه يُدرَّب أولًا، ولكن في الطرق غير التقليدية مثل تجنيد شخص من صفوف من تعتبرهم أعداءك، فقد لا يحتاج إلى تدريب مثل التدريب الذي خاضه الضابط من حَيْثُ شموليته، بل يدرب فقط حول بعض الأمور التي يحتاج أن يدرب عليها أو تقتضيها الحاجة، مثل التدريب على كيفية تفعيل الشرائح الجَاسُوسِيَّة التي تقرب الهدف لطائراتٍ من دون طيار أو نحوها من الأمور مثل ما يحكي المعتقل السابق في غوانتنامو والمصور في قناة الجزيرة سامي الحاج بعد أن عرضت عليه الاستخبارات الأمريكية أن يكون مجندًا لصالحها عندما كَانَ معتقلًا بغوانتنامو، يحكي أن أحد الضباط قال له: «**سنعمل على تدريبك على حفظ الأرقام، وعلى كيفية رسم الأشخاص وأسلوب التعامل معهم، وسننظّم لك دوراتٍ تدريبيةً كثيرةً**»[1].

وقد تجد أن ضابط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «هنري كرامبتون» قد فصَّل في مسألة التدريب، وما الأمور التي دُربَ عليها بعد أن أصبح ضابطاً في وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة، إذ عمدت هَذِهِ الأخيرة أن تدرب الأشخاص تدريباً ميدانياً عبر تكليفهم ببعض المهام، فكانت تنيطُ لهم المهام حتى وإن لم يملكوا خلفية عنها، حتى يستفيدوا من تجاربهم وأخطائهم. مثل توكيل «هنري كرامبتون» من أجل أن يكون مشرفاً على زيارة رئيس أحد الدول بعد أن بعث أفراد من جهاز استخباراته ليتدربوا على يد وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة رغم أن هذا الأخير لم يلتحق بالوكالة إلا قبل أشهرٍ قليلة![2]

---

[1] غوانتنامو قصتي، (ص134).

[2] انظر: فن التجسس، (ص40).

ثُمَّ يحكي «هنري كرامبتون» أنه أُعيدَ إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل دورةٍ مكثفةٍ في مجال الاستخبارات، ويذكرُ أن المدربين علموهم عدة أمور، من بينها مصادرُ جمع المعلومات الاستخبارية، فجمعها كَانَ «**يَتِمُّ من مصادر كثيرة، مثل الصور الجوية واعتراض الإشارات الهوائية والاختراقات السمعية والاستماع إلى الهواتف والتسلل إلى الأماكن سراً، وأيضاً المصادر المفتوحة**»[1].

وعلمهم المدربون أيضاً عن كيفية صياغة «**برقية عملانية مرافقة تُثبَتُ على هامشٍ ضيقٍ في موازاة التقرير الاستخباراتي الرسمي، وتشرح هَذِهِ البرقية الجوانب العملانية. ويتمكن ضابط العمليات بهذه الطريقة من توفير تفاصيل الاستحواذ؛ أي كيف حصل المصدر على المعلومات ولماذا**»[2].

وقد اعتمد مدربو وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «**تكرار تمارين متنوعة لاختبار قدراتنا على التمييز بين الاستخبارات المستندة إلى وقائع وبين الاستدلال والتكهن والرأي. وجعلونا نفرق الاستخبارات عن المعلومات العملانية**»[3]. وغيرها من الأمور.

وكل هَذِهِ الأمور مطلوبة عند إقامة أي جهازِ استخبارات «**حَيْثُ يكون هنالك المحلل الذكي الذي يملكُ القدرةَ على التمييز، وكذلك الشخص الذي يقوم بعملية المقارنة بين المعلومات الخامِ التي تَمَّ جمعها من جميع أنحاء العالم، وضباط الحالات وضباط الاتصال الذين يوجهون عمليات البحث عن المعلومات للطريق الصحيح، وكل هَذِهِ المهامِ المتنوعةِ تتطلبُ مهارةً عاليةً وتدريبًا دقيقًا**»[4].

---

[1] فن التجسس، (ص43).

[2] فن التجسس، (ص45).

[3] المصدر السابق.

[4] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص171).

وفي الطرف الآخر ترى أن هذا في المضامين العامة لا يختلف عن حال الحركات المجاهدة، التي ترى أنه «**يَجِبُ أن يُعطى الأخ دورةً في الأمنيات حتى يحافظَ على نفسه عندما يلتحق بالجماعة، خاصّةً الأمنَ الدفاعي، حتى يحفظ نفسه ويحفظ الإخوة الذين يعملون معه، وذلك عن طريق النشرات الأمنِيَّة أو الدورات الأمنِيَّة**»[1]. أي تثقيفُ المجنَّدِ الجديد أمنياً وإعطاؤه الثقافة الأمنِيَّة العامة التي يحتاجها أو سوف يحتاجها في عمله، مع الفارق طبعاً بين طرق التنظيمات والدول.

وبالعموم تختلف التدريبات التي يتلقاها العملاء حسب رتبهم وحسب طبيعة وظيفيتهم، وتختلف مددها الزمنية، لكن قد تشملُ هَذِهِ التدريبات العلوم والفنون التالية:

- مبادئ الأمن والاستخبارات.
- أمن الاتصال ونقل المعلومات.
- أمن الوثائق وحفظ المعلومات.
- أمن المركبات.
- أمن المنشآت.
- فنون التَّجْنِيد وأمنه ودوافع.
- مصادر جمع المعلومات.
- فنون كتابة التقارير ومعالجة البيانات وتحليلها.
- الأبحاث والدراسات في الاستخبارات.

[1] سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الخامسة: كيفية تجنيد الأفراد في التنظيم.

خامساً: المُتَابَعَةُ

وكذلك من مراحل عَمَلِيَّة التَّجْنيد «المتابعة والتقييم»، وهي مرحلة تبدأ من التَّجْنِيد ولا تنتهي طالما الجَاسُوس ينتج معلومات، فكل المعلومات وكل سلوكيات الجَاسُوس تحتاج إلى متابعة وتقييم.

فقد أصدر «هنري كرامبتون» تقييمه على العديد من الجواسيس الذين جندهم، فأحدهم «**أنتجَ بعد تجنيده معلوماتٍ تافهةً**»[1]، وأما الآخر: «**فقد عمل بِشَكلٍ منتج لوكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة على مدى سنين، ووفر استخبارات قيمة عبر طيف واسع من المسائل المهمة**»[2]، وأما الثالث: «**يوفرُ مصدري الجديد استخبارات مفيدة ودقيقة. وهو قيّم ويستحق المخاطرة، كما يستحق استثمارنا**»[3].

وإعطاء التقييم لا بد أن يكون بعد التأكد من صحة هَذِهِ المعلومات أو امتحان المعلومة وثبات صحتها؛ لأن أحد عملاء «هنري» قد تُشُكِكَ في أمره عندما كَانَ يُعطي معلومات –حسب كلام هنري- «**لم أستطع تمييزها**»، فانتقل الحال من تقييم المعلومات إلى تقييم العميل نفسه، يقول هنري: «**طلبت من أحد المحللين مراجعة كل التقارير، ومن عامل على جهاز كشف الكذب اختبار العميل. ناقشت وعامل آلة كشف الكذب النتيجة التي توصل إليها: "هنالك مؤشر إلى الخداع" واجهنا العميل فاعترف**»[4]. فلو لم يكن هنالك تقييم ولا متابعة ولا مراجعة، لاستمر هذا الشخص يُخادع الجهة التي يعمل لها دون أن يُكشف.

---

[1] فن التجسس، (ص58).

[2] فن التجسس، (ص55).

[3] فن التجسس، (ص62).

[4] فن التجسس، (ص73-74).

وبالعموم، يَتِمُّ التدرجُ مع العميل في هَذِهِ المرحلة بالمهام اختباراً لصدقه وصبره وكفاءته. وحتى لا يحدث أي اختراقٍ من قبل العدو، تُجرى للفرد الجديد من وقتٍ لآخر بعض الإجراءات التي قد تأخذ الصور الآتية:[1]

1) معرفة تطوراته النفسية.
2) التأكد من علمه بأحدث تعاليم الأمن.
3) في حال الخطأ في الفرز يَتِمّ تدارك ذلك بإعادة تعيين العنصر في المكان المناسب له.
4) اكتشاف أيّ انحرافٍ وعلاجه بسرعة عن طريق:
   أ- تقويم الفرد ورفعه من المجال السري إلى العلني.
   ب- التخلص من الفرد في حالة ثبوت تورطه أو استثماره في عَمَلِيَّة تضليل.

---

[1] انظر سيف العدل، الأمن والاستخبارات، ص 15

الفصل الرابع: مخاطرُ التَّجْنِيدِ

"لا يُمْكِنُ توظيف الجواسيس بدون مبادئ عامة حكيمة ومفهومة وواضحة. يَجِبُ أن يكون القائد عالماً بحقائق الأمور، فيعرف الصدق من الكذب، ويعرف الأمين من المخادع". (صن تسو، فن الحرب)

يظهر من خلال قراءتنا الواسعة في قصص الجواسيس أن الاختراقات التي حصلت في مطلع القرن السابق ذات طبيعة متكررة، وهي أن الجهة الحكومية لم تكن تدرس تاريخ الشخص الذي يدخل إلى مكان حساس جداً، لكنها في وقت متأخر اكتشفت أهمية هذا الأمر، فجردت سجلات الموظفين وحققت في تاريخهم، وهو ما جعلها تكتشف أن بعضهم كَانَ له ماضي أو خلفيةٌ أيديولوجية مماثلة لأيديولوجيا العدو الذي يشكل تهديداً محتملاً، فحاولت تقليل الأضرار وتحجيمها قدر المستطاع بإقصائهم أو تهميشهم.

وفي ذلك يقول رئيس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأسبق ألين دالاس: «**إن الدرس الذي تَمَّ استخلاصه من هَذِهِ الأخطار والتقصير خلال سنوات الحرب يَجِبُ ألا ينسى بسهولة، فاليوم يخضع الأشخاص الذي يسعون للعمل في مراكز حساسة في الحكومة الأمريكية أو في المنشآت الفنية إلى فحوص وتحقيقات شاملةٍ ودقيقةٍ جداً**»[1].

وهذا الأمر يشكلُ مشكلةً أكبر في الجماعات الثَّورِيَّة، لأنهم في وقت من الأوقات قد يتوافد عليهم العشرات بل رُبَمَا المئات شهريًا كما حصل في ذروة الجهاد العراقي[2]، وهم أصلاً في وضع غير مستقر وليس لديهم تواجد قوي في كل الدول التي يَفِدُ منها العناصر الجُدُدُ، فلا

[1] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص62).

[2] قناة الفيحاء، برنامج فضاء الحرية، لقاء مع الأسير عبد الله بن عزام القحطاني، سنة 2011.

يستطيعون أن يدرسوا تاريخ الشخص أو يتثبتوا من ماضيه، فلذلك أحياناً يَتِمُّ اعتمادُ نظام التزكية عادةً لحل هَذِهِ العقبة، ولكن المشكلة الأكبر تكْمُنُ فيما إذا كَانَ الشخص المزكي نفسه لم يأخذ الموضوع بِشَكْلٍ جدي، أو لم يتثبت من هَذِهِ التفاصيل، وزكى الفرد الجديد بناءً على معرفةٍ قصيرةٍ أو مظاهرَ مجردةٍ، فمن هُنَا تُؤتى مصائب التنظيمات. وأن يخطئ الشخص بعدما يستفصل ويبحث ويسأل ويبذل كل ما في جهده من أجل التثبت، أفضل من خطئِه عندما يزكي بتسرع ودون تثبت ولا سؤال بناءً على معرفة قصيرة.



الشكل (6): المخاطرُ في عَمَلِيَّة التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ

إن بعض الظواهر العارضة تَغرُّ وتخدعُ، فقد يكون بينك احتكاك مع أحد الأشخاص في فترة قصيرة، وتراه من أخشع الناس وأجودهم عبادةً وزهداً، فيقدَّمُ على هذا الأساس، وإن الانفصال ما بين البحث عن تاريخه وأصله والرؤية الحادثة أحياناً تسهل من عَمَلِيَّة الاختراق، مثل قصة أبو عبد الله الجسري في اختراقه لجماعة الطليعة السورية، والذي خرج من العدم وانضم إلى الجماعة واحتك ببعض أفرادها، وكان «**يكثرُ من قراءة القرآن، ويصلي والناس**

نيام، وكان يوقظ زملاءه الذين يسكنون معه لصلاة قيام الليل، وهذا السلوك كَانَ من أهم الأسباب التي جعلت عدنان عقلة وآخرين غيره يطمئنون إليه»[1].

وهذا الاطمئنان هو ما جعله يكون وسيطًا لأجل دخول بعض قيادات الطليعة إلى سوريا والذين أول ما دخلوا تَمَّ القبض عليهم ليُستخدموا كطعمٍ لدخول المزيد عبر إجبارهم على كتابة رسائل خطية إلى من في الخارج حتى يدخلوا سوريا. وبمجرد دخولهم «**فكانت المخابرات السورية ترسل بعض عناصرها على أنهم مجاهدين لاستقبال الإخوة النازلين، حَيْثُ يعطونهم بنادق لا إبر للإطلاق فيها ثُمَّ تفاجئهم بكمينٍ صاعقٍ تتمكن فيه من اعتقالهم وإطلاق النار الغزير وإضاءة المنطقة بشدة فجأة**»[2]، واستمرت هَذِهِ الخطة وتم القبض على العديد وانكشفت العديد من الخلايا، ونجح هذا الاختراق نجاحاً كاملاً وأدى إلى تسديد ضربة عَسْكَرِيَّة قاصمة إلى الطليعة.

ولكن هل هذا يعني أنه لا يُمْكِنُ أن يتوب أحدهم توبة نصوحة؟ ويرتد عن أفكاره السابقة ارتداد حقيقي، ويكون أكثر نشاطاً وحماساً ضد توّجهه السابق وكما يُقال: «**كل منتكس عن فكره يغلو في التمسك بضده أكثر من السابق في الأغلب**»[3]، نعم من الممكن هذا، ولكن أنت لديك احتمالين متوازيين، أحدهما أن يكون قد تاب وأحدهما أنه لم يتب وأنه يتظاهر بالتوبة، فحينئذ لا مناص من استبعاده من الأماكن الأمنِيَّة الحساسة، وجعله نشطاً في موقع لا يكون من ورائه ضررٌ كبيرٌ إن تبين أنه جاسوس، فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وهذا الكلام يُعنى به غالبًا الجانب الأمني أو السياسي، ولكن الجانب العَسْكَرِيّ قد يُتَساهَلُ

---

[1] مساجد الضرار: كيف نحصن الصف الإسلَامِيّ من المنافقين، محمد سرور زين العابدين، دار الأرقم - مكتبة دار اليقين، الطبعة الثانية: 2004، (ص77).

[2] عمر عبد الحكيم، الثَّورَة الإسلَامِيَّة في سوريا، 1987. (ص305-306).

[3] العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، عبد العزيز الطريفي، دار المنهاج، الطبعة الثانية: 2012، (ص102).

معه بناءً على ظروف معينة، مثلاً جعل الشخص المنشق يخوضُ معاركَ في الصفوف الأولى مع الفئة التي انشق عنها؛ لأنه لو عطّلَ كل منشق لما كَانَ من انشقاقه فائدةٌ. ولكل كل حالة تُدرس لوحدها، فأحياناً ما يجوز لتلك لا يجوز للأخرى.

وبالعموم سنفصل في المباحث التالية أبرز المخاطر التي قد تتعرضُ لها أجهزةُ الاستخباراتِ خلالَ عَمَلِيَّةِ التَّجْنِيدِ.

المبحث الأول: اختراقُ العدو

تجنيدُ الشخصِ دون دراسةِ حالته قد يعرضُكَ إلى اختراقٍ مضادٍ في بعض الأحيان، وبحسب عبد الله العدم: «**هُنَاكَ عدة طرق نستطيع من خلالها أن نحصل على المعلومات عن الشخص الذي نريد، بالأساليب التالية: عن طريق التفتيش السريّ، عن طريق مراقبة حركته، أين عمله، أين يذهب، أين يأتي، مع من يلتقي. رُبَمَا هو قبل أن تضمه إليك في الأصل رجل مخابرات، ولكن عن طريق المراقبة تستطيع أن تحدد من هذا الرجل.**

وهذا يذكرني بما حصل في كندا، حَيْثُ أن إمام مسجد هو في الأصل كَانَ جاسوسًا عند المخابرات الكنديّة، فالإخوة وثقوا به ثُمَّ بعد ذلك أوقع بهم، لأنهم لم يقوموا بالإجراءات الأمنِيَّة التي كَانَ يَجِبُ عليهم أن يقوموا بها قبل أن يعرضوا عليه مشروعهم وعملهم»[1].

تكْمُنُ خطورة الاختراق المضاد أو العكسي في مدى الضرر الذي يحدثه، فهو قد يكشف أسرارك أو قد يضللك عن أسراره، أو يتسبب بعمليات نكائية تخسر فيها الشيء الكثير. وتختلف أساليب الاختراق المضاد، فقد تحاول الأجهزة الأمنِيَّة تجنيد شخص لصالحها ثُمَّ يتضح أنه في الأصل يعمل لجهةٍ معاكسةٍ لها سواءً كَانَ ذلك من البداية أو مع الوقت، أو يأتيها شخص فجائي يريد التعامل معها وهو في الأصل مبعوث من الجهة التي يعمل لها لأداء هذا الدور.

ويُعَرفُ العميلُ المزدوجُ على أنه «**عميل سري يعمل لإحدى الجهات وتم إقناعه بالعمل لجهةٍ أخرى أيضًا**»[2]. وأما العميل الثلاثي فيعرف على أنه «**عميلٌ مزدوجٌ أُعيدَ تجنيده ليخون جهته الجديدة ويعمل لصالح جهته الأصلية**»[3].

---

[1] سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الخامسة: كيفية تجنيد الأفراد في التنظيم.

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص8).

[3] المصدر السابق.

ومهمَةُ تشغيل العميل المزدوج من أصعب وأكثر الأمور حساسيةً «**فقادة شبكات التجسس الخبراء يعرفون أن النجاح في تشغيل العميل المزدوج كَانَ أحد أصعب الأمور التي يستطيع أي ضابط استخبارات القيام به. ومثلما نصحت وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة موظفيها في العام 1963: إن تشغيل عميل مزدوج هو أحد نشاطات مكافحة التجسس الأكثر تطلباً وتعقيداً التي يُمْكِنُ أن يقوم بها أي جهاز استخبارات. حتى إن توجيهَ عميلٍ مزدوجٍ واحدٍ أمرٌ شائكٌ ومستهلكٌ للوقت، ويَجِبُ محاولة القيام به فقط في جهازٍ يملكُ كفاءةً وتمرساً عاليين**»[1].

وكل هذا لم يمنع من اختراقٍ مضادٍ وقعت وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة ضحيةً له في وقتٍ لاحقٍ، مثل الضرر الذي أحدثه العميل المزدوج «همام البلوي» عليها. فبعد أن أُعتقل من قبل الأجهزة الأمنِيَّة الأردنية تَمَّ التحقيق معه، وقد اختار من البداية أن يعمل بأسلوب التضليل والمراوغة، فقد كَانَ متردداً بين أن يأخذ بالعزيمة ويصدع بما يعتقد أو أن يضللهم ويراوغهم، فيقول: «**فاخترت الثانية حتى لا أكون صيداً ثميناً لأعداء الله دون أن أوقع فيهم نكاية، ولأن هَذِهِ الطريقة -أي الثانية- قد تبقي الباب أمامي مفتوحاً للنفير في سبيل الله**»[2].

وتحت هذا الاختيار قد قرر التعاون معهم بعد أن عرضوا عليه ذلك، يقول همام البلوي: «**بعد لقائي الثاني مع المحقق "أبي زيد" حَيْثُ عرضَ علي التعاون معهم، ولكني رفضت!، وبعد ذلك أظهرت أني أحتاج للوقت للتفكير، فمنحني فرصة للغد لأتعاون معهم من أجل الوصولِ إلى عطية الله وكانوا يعرفون أن الشيخَ عطيةَ رجلٌ ذكيٌ وخطيرٌ وعقلٌ مهمٌ من عقول القاعدة. فانشرح صدري لهذه الفكرة، وهي خداعُ أعداء الله**»[3].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص268).

[2] القصة الكاملة لعملية خوست، أبو الحسن الوائلي، مركز الفجر للإعلام، محرم 1433 هـ، (ص22).

[3] القصة الكاملة لعملية خوست، (ص24).

وكان لابد من الاستمرار في عَمَلِيَّة التضليل فقد «**نجح في إيهامهم أنه ما سلك طريق الكتابة في الإنترنت إلا حباً في الشهرة وأنه ومنذ صغره كَانَ يعاني من مرض حب الشهرة والمال**»[1].

وفي محاولة تضليله حول المال يقول هو عن نفسه وعن مشغلّه أبو زيد: «**أنا كُنْتُ أستطيعُ بفضل الله أولاً وآخراً دراسةَ نفسيتِهِ وأن أتحرك لأعطيه رسائل غير مباشرة عن طريقة دراسة نفسيتي، كَأن أظهر له أنني متردد في الذهاب بسبب خوفي من الموت حتى يفهم أنني مؤمن بدينه وهو المال، وكَأن أقوم وأطلب منه المال وأن أسأله عن الجوائز والهدايا التي يعدونني بها حتى يظن أنني مؤمن بدينه وهو المال**»[2].

ثُمَّ طلبَ منه مشغّلُهُ أبو زيد تحليلَ إصدارات المجاهدين وكان التعاون في هذا أيضًا مدخلٌ من مداخل التضليل، يقول همام البلوي: «**طلب مني التعاون في تزويده بإصدارات المجاهدين وتحليلها، ولقد قمت بذلك مع تضليله وخداعه**»[3].

ثُمَّ اعتمدَ عدةَ أساليبَ زيادةً في التضليل، يسردها همام البلوي قائلًا:

« **كَانَتْ سياستي في التعامل مع أعداء الله:**

1. **إظهار أني مادي برغماتي، وكنت أُكثرُ من السؤال عن المال وبقية التفاصيل، وأحياناً كَانَ يضج -أي الأحمق أبو زيد- من كثرة أسئلتي وإلحاحي.**
2. **إظهار أن تنظيم القاعدة خوارج، وأن حربهم هي من الدين.**
3. **حصرهم بالوقت، حتى لا أنكشفَ أمام أعداء الله، فكانت الرسائل الوهمية التي استقبلتها من عطية الله تصر على التحاقي بمدينة بيشاور في أسرع وقت!**

---

[1] المصدر السابق.

[2] إصدار: لقاء مع الشهيد أبي دجانة الخراساني، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، صفر 1431 هـ.

[3] القصة الكاملة لعملية خوست، (ص31).

4. **محاولة إظهار نفسي بأني عاشق شهرة ونرجسي وأحب أن أدخل التاريخ من خلال حرب القاعدة.**
5. **إظهار بعض التردد أحياناً لخوفي على حياتي فيقتنعوا أني طالب دنيا.**
6. **كثرة الإطراء على أعداء الله -المحققين معه- واحدٌ تلو الآخر، والحمد لله أنهم كانوا لا يصمدون كثيراً أمامه -أي الإطراء-، فكلما مدحت أحدهم ازداد حبه لي، وربما أخبرني بمعلوماتٍ إضافيةٍ عن طبيعة عمله، وهذا من كيد الله لي»**[1].

ثُمَّ قامت المخابرات بتحقيق حلم «همام البلوي» بإرساله إلى ساحات الجهاد وتكفلت بكل شيء، وقد أعطته الأموالَ الطائلةَ وساعدته في تزوير بعض الأوراق الضرورية للحصول على فيزا إلى باكستان، وثم أوفدت إليه آلاف الدولارات التي استخدمت في وقتٍ لاحقٍ لصالح تنظيم القاعدة [2]، ثُمَّ بعد وصوله أخبرَ القيادي في تنظيم القاعدة «عطية الله الليبي» بكل ما حصل واتفق معه ومعه غيره من القيادات من أجل إعداد خطةٍ مضادةٍ[3].

ثُمَّ بعد وصوله بدأ بالخطوة التالية في خداعهم وهو الانقطاع الطويل ثُمَّ التواصل معهم ببعض المواد التي تخصُ قيادات القاعدة، يقول همام البلوي شارحاً ذلك: «**أول عمل قمنا به كَانَ قطع العلاقة لمدة أربعة شهور حتى "تستوي" المخابرات الأردنية وتظن أن هذا الرجل تركها، فعندما يعود إليها ويقول لهم أن الأوضاع كَانَتْ صعبةً يتلقفونه تلقفاً. وهذا الذي حصل الحمد لله رب العالمين: قطعنا العلاقات أربعة شهور ثُمَّ عدنا إليهم بأفلامٍ مصورةٍ مع بعض قادة المجاهدين، حتى يظنّ أنني أسرب أفلاماً وأخون المجاهدين، والحمد لله أن الطعم قد وقع في مكانه وفرحوا بها فرحاً شديداً والأفلام التي أرسلت له إنما صورت بكاميرا المجاهدين ولهذا الهدف، والحمد لله رب العالمين. ثُمَّ بعد ذلك، قمنا بإعطاء إحداثياتٍ خاطئةٍ وهميةٍ**

---

[1] القصة الكاملة لعملية خوست، (ص33-34).

[2] إصدار: لقاء مع الشهيد أبي دجانة الخراساني، مؤسسة السحاب، صفر 1431 هـ.

[3] القصة الكاملة لعملية خوست، (ص36-42).

للأهداف حتى يسيلَ لعابهم أكثر فأكثر: معلومات ليس لها فائدةٌ أو معلوماتٌ خاطئةٌ. مثلاً المجاهدين لديهم عمل في مكان، فنعطيهم مكاناً آخر حتى نضلل عن المجاهدين، ونضع عليه بعض المعلومات الصحيحة التي نظن أن العدو قد امتلكها فعلاً»[1].

وأيضاً زيادة في التضليل كَانَ لابد من تسريب الأخبار مع إضفاء الطعن بقيادة تنظيم القاعدة، وسبب ذلك كما يقول همام البلوي: «**ولا بد أن أتكلم بسوء عن قيادات التنظيم وأن بينهم تنافساً حتى يقتنعوا أنني أصبحت أنظر إلى التنظيم بعيوبهم... ونظرتي السلبية للتنظيم ستثبت لهم أنني لم أكوّنْ أيّ رابطٍ عاطفيٍّ مع التنظيم، وأنني أشاطر هؤلاء المجرمين وجهةَ نظرهم أن التنظيم "قُطَّاعُ طرقٍ" و"مجرمونَ" وأنهم يتنافسون فيما بينهم**»[2].

وبعد التوثق من أنهم أصبحوا يثقون به كَانَ لابد من رمي الطعم وهو الادعاء بمعرفة مكان الدكتور أيمن الظواهري «**أخبر أبو دجانة أبا زيد بأن أيمن الظواهري طلب منه أن يعالجه ويرسل له دواءً معيناً، ففرح أيما فرح ووصفه أبو دجانة بالرجل السكران من شدة الفرح!، وأسرع للأمريكان ليبشرهم باقتراب موعد اغتيال الظواهري!، وأخذ يشرح لهم نجاحهم في "اختراق القاعدة" ورغَّبهم بلقاء هذا العميل الذي سيحقق لهم ما لم يحققوه طوال حربهم على "الإرهاب"!**»[3].

ثُمَّ تَمَّ الترتيب لعقد اجتماع تعقده وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة ومشغِّلُ همام البلوي في المخابرات الأردنية أبو زيد في منطقة خوست في أفغانستان، وقد تداعت الظروف تباعاً لصالح همام البلوي لتنفيذ عمليته، ومنها:

---

[1] المصدر السابق.

[2] القصة الكاملة لعملية خوست، (ص42).

[3] القصة الكاملة لعملية خوست، (ص44).

- الأصل في الاجتماعات أن يحضُرَ مشغِّلٌ أو مشغلين -كحد أقصى- للقاء العميل، ولكن بسبب حساسية عَمَلِيَّة همام البلوي ضد الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، قد جهزت الضابطة المسؤولة جنيفر ماثيوز فريقاً أكبر من المعتاد للقاء. ويقول همام البلوي: «**والعجيب أن أبا زيد استطاع أن يقنع فريقاً كاملاً من السي آي إيه لكي يحضروا**»[1]، بينما تَمَّ تحذير ماثيوز من قبل مستشاريها الأمنيين حول هذا التجمع الكبير ولكن «**الدليل الظرفي يوحي بأن ماثيوز لم تبال بتحذيرات مستشاريها الأمنيين**»[2].
- تَمَّ التحذير من همام البلوي من قبل ضابط في الاستخبارات الأردنية بأنه عميل مزدوج وقد أخبر بذلك أحد ضباط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في عمان، ولو أُخذ بعين الاعتبار لربما فشلت العَمَلِيَّة، ولكن «**لم يكترث الضابط للتحذير، ولم يمرره إلى المركز الرئيس أو الفريق**»[3].
- بعد أن ركب همام البلوي سيارةً أُعدت خصيصاً لأخذه إلى القاعدة العَسْكَرِيَّة الأمريكية في خوست، كَانَتْ الحواجز تُرفَعُ تباعاً أمامه، ولم يفتش إلى أن وصل إلى الضباط ونفذ عمليته فيهم «**كَانَتْ الإجراءات التي اتبعتها وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في ذلك اليوم غير منطقية. بدا من غير المعقول أنه يسمح لشخص بالدخول دون إخضاعه حتى لأبسط أشكال التفتيش**»[4].

وكانت نتيجة الهجوم أنه أدى إلى «**قتل سبعة مواطنين أمريكيين: جينفر ماثيوز، وهي رئيسة قاعدة وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة. وإليزابيث هانسون مستهدفة لدى وكالة الاستخبارات**

---

[1] إصدار: لقاء مع الشهيد أبي دجانة الخراساني، مؤسسة السحاب، صفر 1431 هـ.
[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص285).
[3] المصدر السابق.
[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص288).

المَرْكَزِيَّة. وهارولد براون وهو ضابط لوكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في أفغانستان. ودارِن لابونتي وهو ضابط لوكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في محطة عمّان. وسكوت روبرسون، وهو ضابط أمن في قاعدة وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة. وجيمري واينز ودين باريزي حارسا أمن من شركة Xe services المعروفة سابقاً ببلاك ووتر، والآخران اللذان قُتلا كانا الشريف علي بن زيد من دائرة المخابرات العامة الأردنية، والسائق الأفغاني أرغاوان»[1].

وفي نفس العام كاد «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب» أن ينجح في اغتيال مساعد وزير الدَّاخِلِيَّة آنذاك «محمد بن نايف آل سعود»، وقد حصل الاختراق المضاد بعد أن بُعث «محمد الغزالي» المكنى بـ«رشيد» من قبل قيادة التنظيم في مهمة وهي «**معرفة واختبار إجراءات التفتيش المتبعة من ساعة دخوله إلى الحدود وحتى خروجه من مكتب المجرم محمد بن نايف، والتنسيق للاستشهادي الذي سينفذ العَمَلِيَّة**».

وكان الخيط الأول من عَمَلِيَّة التضليل هو بالاتصال مع الجواسيس التابعين للسعودية في اليمن من أجل مقابلة محمد بن نايف، وإيصال رسالة أن هنالك مجموعة من القيادات الجهادية وعلى رأسهم سعيد الشهري المعروف بـ«أبي سفيان الأزدي» يريدون الانشقاق عن التنظيم والرجوع إلى المملكة وأخذ ضمانات من مساعد وزير الدَّاخِلِيَّة محمد بن نايف أن «**لا يُسجنوا، ولا يُكرَهوا على الظهور في وسائل الإعلام، ولا يُحقق معهم، وأن يُخرج الأسرى الذين سُجِنوا من بعدهم**».

وبما أن غلاف العَمَلِيَّة الخَارِجِيَّة كَانَ الانشقاق عن التنظيم وأن هذا التفاوض لا تعلم عنه قيادة التنظيم شيئاً -في الظاهر- فكان لابد من تغطية على خروج محمد الغزالي «رشيد»، من اليمن إلى السعودية، فكان الخيط الثاني في عَمَلِيَّة التضليل هو كما يقول «رشيد» نفسه: «**أوقعت الضابط أبا فارس في موقفٍ مُحرج حَيْثُ ذكّرته بأني سأعود إلى الإخوة في التنظيم فماذا أقول**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص289).

لهم بخصوص الدعم المادي؟ لأني قد قلت له أني عند التنظيم دخلت بلاد الحرمين لجمع المال، فارتبك وسألني عن خطتي في ذلك، فقلت له: آخذ منك بعض المال على أنه مقدمةً لكي يسمحوا لي بالعودة مرةً أخرى، خاف في البداية وقال بأنه لو فعل ذلك لاتُّهِم بدعم التنظيم، ثُمَّ تحت ضغطي وافق على ذلك. كَانَتْ هَذِهِ الخطوة ليظن الضابط أني حريصٌ على المال».

وثم أتبعتُ بالخطوة الثانية في التضليل وهي الانقطاع الطويل، يكمل رشيد قائلًا: «**بدأنا الاتصالَ بالضابط أبي فارس، في البداية انقطعت عنه شهراً كاملًا حتى أشاهد تأثير هذا الانقطاع عليه، ثُمَّ اتصلت به وقلت له أنّ الأوضاع مبشِّرة، وأنّ الشيخ أبا سفيان مستبشر وأني سأواصل الترتيب**».

ثُمَّ الخطوة الثالثة وهي تسريب الأخبار بِشَكلٍ متواترٍ حتى تصل إلى مسامع الجواسيس فيتأكدوا من صحة كلام رشيد «**أثناء ذلك قام الإخوة في الجهاز الأمني يتابعون أحد الجواسيس الذين يعملون لحساب محمد بن نايف ويُدعى "صالح شرهان" فقام الإخوة بتسريب خبرٍ التقطه صالح شرهان وطار به إلى أبي فارس، مفاد هذا الخبر أنّ الشيخ أبا سفيان مع تسعة من الإخوة المهاجرين من بلاد الحرمين اختفوا وأنّ التنظيم يبحث عنهم**». فقد «**كَانَتْ المعلومات تتواتر عبر جواسيس محمد بن نايف لتؤَكِّد أن الخِلاف اشتد وأن الشيخ سعيد الشهري قد انشق مع مجموعةٍ من المجاهدين عن التنظيم، ومع تواتر الرواية عبر أكثر من جاسوس لم يُعَدُّ هُنَاكَ مجالٌ للشك في هَذِهِ المعلومة**»[1].

وعلى إثر ذلك تَمَّ الترتيب للقاء أحد هؤلاء المنشقين المزعومين وهو «عبد الله العسيري» أحد المطلوبين على قائمة الخمسةٍ وثمانين لـ «محمد بن نايف» من أجل التنسيق لعودة جميع المنشقين

---

[1] إصدار: فزت ورب الكعبة، الجزء الثاني، مؤسسة الملاحم، 26 شوال 1431 هجري، الموافق لـ 10 أبريل 2010 م

المزعومين إلى السعودية، فقد استطاع العسيري تجاوز عدة مطارات ونقاط تفتيش دون أن يُكشف، وثم تفجير نفسه في نهاية المطاف في مجلس «محمد بن نايف» ولكن نجى ابن نايف من التفجير[1].

فالعميل المجند قد ينقلب عليك في أي لحظة ويخونك: «**العميل هو أفضل شيء في العالم ولكنه أيضاً أخطر شخص في العالم بالنسبة إلى المشغِّل. إنه الرجل الذي يستطيع خيانتك في أي لحظة**»[2]. هذا إذا كَانَ لم يخنك منذ البداية، ففي أغسطس من سنة 1918 دخل منشقان لاتيفِيّان[3] من الحرس البريتوري (الحرس الشخصي) للقيادة السوفيتية إلى السفارة البريطانية، وقالا إنهما يريدان تغيير ولائهما لصالح البريطانيين.

فأرسلهما ضابط الاستخبارات البريطاني «كرومي» إلى «بروس لوكهارت» أول مبعوث رسمي لبريطانيا إلى الحكومة البلشفية في روسيا، وقد عرَّفَهما هذا الأخير إلى رجل الاستخبارات البريطانية «سيدني رايلي» وانتقلا في الحديث من الانشقاق إلى إعداد انقلاب مسلح على الحكومة البلشفية الجديدة، ثُمَّ انضم إليهم في وقت لاحق العقيد «برزين» قائد الفوج اللاتيفي الذي يحمي الكرملين، ثُمَّ التقى «رايلي» بـ«برزين» وأعطاه مليون وأربعمئة ألفِ روبلٍ لتنفيذ المؤامرة، وفي الثالث من سبتمبر أغارت الحكومة البلشفية على السفارة البريطانية وأعلنت إفشال المؤامرة[4].

فالخطةُ قد رُسمت والأموالُ قد أُنفقت ورؤوس ضباط الاستخبارات قد كُشفت لشخصين لاتيفيين بناءً على استعدادات الضباط اللاتيفيين وتعاونهم ثُمَّ تبين أن اللاتفيين لم يخططوا

---

[1] إصدار: أحفاد محمد بن سلمة رضي الله عنه، مؤسسة الملاحم، رمضان 1430 هـ.

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص183).

[3] من دولة لاتيفيا التي تقع شمال أوروبا وغرب روسيا.

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص54-61).

للتمرد مطلقاً! «**فقد تبيَّن أن كل معارف البريطانيين تقريبًا كانوا عملاء للتشيكا** [جهاز استخبارات الحكومة البلشفية والذي تحول في نهاية المطاف إلى [KGB] **كل الرجال الذين تَمَّ تجنيدهم لتلك المهمةِ كانوا يقبضون من فليكس دزيرجينسكي مؤسس ورئيس التشيكا**»[1]

تسببت هَذِهِ المحاولةُ الفاشلةُ بقتلِ الضالعين في المؤامرة أمثال «كرومي»[2]، وحتى من نجى منها تتبعوه واستدرجوه حتى قتل مثل «رايلي»[3] واعتقال «كلوكهارت»، واتُّخذت هَذِهِ العَمَلِيَّة الانقلابية كمبررٍ لشن حملة تطهير أُعدم على إثرها ما بين خمسين ألف إلى مئتي ألف شخصٍ[4]. ففقدت بريطانيا خيرة ضباطها بسبب الاختراق المضاد، وتسببت بهستيرية ستالينية أدت لمقتل مئات الآلاف من الناس.

ومن أهم فوائد الاختراق المضاد هو كشفُ الجواسيسِ المزدوجين، كما يقول ضابط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأمريكية السابق بيردن: «**إن المرة الوحيدة التي ألقى فيها السوفييت القبض على جاسوس كَانَتْ عندما تعرَّض ذلك الجَاسُوس للخيانة من طرفنا، أو من طرف البريطانيين أو من الألمان. هَذِهِ حقيقةٌ إلى حد كبير. وهي حقيقة لنا نحن الأمريكيون أيضاً. فمكتب التحقيقات الفيدرالي لم يلقِ القبض على أيّ جاسوسٍ مطلقاً إلا إذا خانه أحدُ الأشخاص**»[5].

ولم يُكشَفْ جواسيسُ كوبا المزدوجين إلا بعد خيانةٍ قد تعرضوا لها، فبعدما انشق رئيس الاستخبارات الكوبية في تشيكوسلوفاكيا الرائد «فلورنتينو أسبياغا لومبارد»، الذي كشف بعد انشقاقه «**أن كل عميل كوبي جنّدته الوكالة على مدى السنوات العشرين الماضية، كَانَ**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص54-61-62)، صائد الجواسيس، (ص217).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص49).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص46).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص62).

[5] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص94).

مزدوجاً: يدعي الولاء للولايات المتحدة بينما يعملُ سراً لصالح هافانا». شكلت تلك صدمةً حَقِيْقِيَّةً يصعُبُ تصديقها «**لكن محللي وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة استنتجوا بكآبةٍ بعد مراجعةٍ طويلةٍ ومؤلمةٍ أن الرائدَ كَانَ يقولُ الحقيقةَ»**[1].

واستطاع الاتحاد السوفيتي أن يعرف ويحدد ضباط الاستخبارات البريطانية المسؤولين عن إدارة العملاء من داخل بريطانيا من خلال الجواسيس المزدوجين، يقول بيتر رايت: «**أما منطقة نشاط الشعبة "د" الأخرى فهي أوساط الجاليات المهاجرة. فقد قامت أقسام إدارة العملاء في هَذِهِ الشعبةِ بإنشاءِ شبكةٍ واسعةٍ جداً. ففي الواقع ومنذ بداية الخمسينيات كَانَتْ حلقاتُ المهاجرين هَذِهِ مخترقةً من قبل الاستخبارات السوفيتية أو مخابرات حلفائها. وكل ما فعلوه أو قدموه هو استنفاد جهدنا وتحديد ضباطنا المسؤولين عن إدارة العملاء»**[2].

وأحياناً لا يكون العميل المزدوج سبباً في إحداث نكاية بالقتل في الجهاز المراد اختراقه، بل مجرد تضليله، وكان أمراً شائعاً في الحرب الباردة بين الغرب والاتحاد السوفيتي، فقد استطاعَ السوفييتُ بثَّ منشقين مزعومين إلى الدول الغربية وإعطاء الدول الغربية معلومات من أجل تضليلهم، وكان ترددُ الغربِ أحياناً من إعطاء اللجوء لبعض المنشقين من الاتحاد السوفيتي «**يرجعُ إلى أن السوفييت من آنٍ لآخرٍ يقدمون منشقين مزيفين**»[3]، فقد رأى الضابط في الاستخبارات البريطانية «بيتر رايت» أن العميل المنشق «بينكوفسكي» لم يكن منشقاً حقيقياً بل كَانَ جزءاً من عَمَلِيَّةِ تضليلٍ إستراتيجيٍّ، قدم خلالها الاتحاد السوفيتي منشقين ومعلومات معهم من أجل غايات إسترَاتِجِيَّةٍ بعيدة المنال.

---

[1] إرث من الرماد، (ص558).

[2] صائد الجواسيس، (ص131).

[3] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص138).

ويرى «بيتر رايت» في تحليله عدة أمور قادته إلى هذا الاستنتاج، منها: سبق للمنشق «بينكوفسكي» أن عرض على وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في نهاية 1960 أن يعمل لصالحهم، وقد رفض الأمريكان هذا العرض، ثُمَّ اكتشف الأمريكان «**من خلال منشق آخر وهو نوسينكو بأن الغرفة التي جرت المقابلة مع بينكوفسكي كَانَتْ مرصودة سرياً بواسطة ميكروفونات وضعتها الاستخبارات السوفيتية. وهذا يعني بوضوح أنه لو كَانَ بينكوفسكي عميلًا أصلاً لعرف الروس بتجسسه للأمريكيين**»[1]، ولكن المخابرات السوفيتية لم تفعل له شيئاً!

ثُمَّ قام «بينكوفسكي» بتزويد الغرب بعد انشقاقه بآلاف الوثائق المتعلقة بالأنظمة العَسْكَرِيَّة السوفيتية الحساسة، ولكن ثَمَّةَ هنالك ثغرةٌ -حسب رايت- وهي «**أنه كَانَ يزود الغرب أحياناً بوثائق أصلية. وقد بدا لي أنه لا يُمْكِنُ تصديق هذا الأمر إذ لا يعقَلُ ألا يشعرَ الروس باختفاء هَذِهِ الوثائق من الملفات**»[2].

وأما السؤال لماذا أرسل الروس بينكوفسكي كعميلٍ تضليلٍ؟ يرى بيتر أن الجواب هو «**يكْمُنُ في السِّيَاسَة الكوبية وسياسة الحد من التسليح. كَانَ لدى الروس هدفان إستراتيجيان في مطلع الستينيات، الأولُ هو الحفاظُ على فيدل كاسترو في كوبا. أما الهدفُ الثاني فهو تعزيز وتطوير قدرات الصواريخ الباليستية السوفيتية العابرة للقارات دون إثارة الشكوك في الغرب**»[3].

[1] صائد الجواسيس، (ص218-219).

[2] صائد الجواسيس، (ص220).

[3] صائد الجواسيس، (ص221).

وبما أن الغرب لم يكن يعلم شيئاً عن الاتحاد السوفيتي بعد إلغاء طلعات طائرات الاستطلاع بعد إسقاط أحدها، فلم يكن لديهم مجالٌ لمعرفة ما يحصل إلا من خلال اعتراض الاتصالات السلكية بالإضافة إلى بينكوفسكي.

وكان جوهرُ المعلومات التي قدمها بينكوفسكي يكمُنُ في أن «**البرنامج السوفيتي لتطوير الصواريخ لم يكن قريباً أو متقدماً على البرنامج الغربي كما يعتقد الغربيون، وبأنه لم يكن لدى السوفيات قدرةٌ على إنتاج الصواريخ الباليستية عابرةِ القارات. وأن كل ما يستطيعون إنتاجه هو الصواريخ الباليستية متوسطة المدى**»[1].

ولما أراد الاتحاد السوفيتي تعميق هَذِهِ المسألة أرسل منشقيْنِ مزعوميْنِ آخريْنِ وهما «توب هات وفيدورا» وأكدا على معلومة «بينكوفسكي» السابقة وهي «**أن الصواريخ السوفيتية متأخرةٌ جداً عن الصواريخ الغربية**»[2].

دفعت هَذِهِ المعلومات إلى تحركات سِيَاسِيَّة أدت إلى «**خلق المناخ الذي أدى إلى مفاوضات الحد من التسلح: سالت1، وإلى عصر من الانفراج**» ثُمَّ يكمل بيتر قائلًا: «**وأعتقد أن هذا هو الغرض الحقيقي من وراء هَذِهِ المعلومات. فقد نجح الروس في كبح جماح الشكوك في الغرب لفترة تزيد عن العقد، وضللونا بما يتعلقُ بالوضع الحقيقي لتطور الصواريخ السوفيتية**»[3].

وبعدُ في السبعينيات تغير الوضع مع تحسن تكنولوجيا الاستطلاع بواسطة الأقمار الصناعية، والذي أعطى صوراً حقيقة لمدى الإنتاج العَسْكَرِيّ السوفيتي والذي كَانَ على خلافِ رواية المنشقين. وأدت هَذِهِ الاكتشافات إلى «**إجهاض محادثات سالت في نهاية السبعينيات**»[4].

[1] المصدر السابق.

[2] صائد الجواسيس، (ص222).

[3] المصدر السابق.

[4] صائد الجواسيس، (ص223).

فقد استغلَ الاتحادُ السوفيتي عصر الانفراج «**كغطاء لإنجاز مزيد من التوسع العَسْكَرِيّ الكبير. ولا بد أن مشاركة بينكوفسكي في هَذِهِ العَمَلِيَّة تبدو الآن واضحةً أكثر منه في أيّ وقت مضى**»[1].

والاختراق المضاد من أجل التشكيك وضرب المصداقية لا يحصر بين الدول الكبرى، بل هو موجود بين الجماعات المتقاتلة نفسها، ومنهجٌ متبع لدى جماعة الدولة (داعش) في خصومتها مع جبهة النصرة، فأثناء حربهم بالمنطقة الشرقية ادَّعى أحدُ الدواعشِ وهو أبو ذر العراقي انشقاقه وانضم إلى جبهة النصرة وشارك في سلسلةٍ مرئيةٍ تتكلمُ عن تجربته في جماعة الدولة وكيف انشق وما هو سبب انشقاقه[2]، ثُمَّ ما لبث أن خرج من جبهة النصرة ورجع إلى تنظيم الدولة وأعلن أنه سجَلَ تسجيلَهُ السابقَ بعد أن أُجبِرَ على ذلك من قبل جبهة النصرة[3]، وبذلك أعطى إيحاءً أن كل التسجيلات التي خرجت في السلسلة المرئية إنما هي تسجيلاتٌ كاذبةٌ أُجبِرَ أصحابها على قول هذا الكلام، وبذلك ضربت الدولة مصداقية شهادات المنشقين عنها، ثُمَّ حاولت جماعة الدولة تحصين نفسها من هذا الأسلوب الذي اتبعته وقالت أن هنالك إستِرَاتِجِيَّةً يتبعها الخصومُ من تنظيم القاعدة وهي أنهم يرسلون أُناساً من أجل أن يبقوا في تنظيم الدولة ثُمَّ يعلنوا انشقاقهم ويسجلوا شهادتهم[4]؛ فكل من يفعل ذلك فهو تابع لتنظيم القاعدة من أجل تشويه سمعة الدولة، حتى لا يُؤخذ كلامه بعين الاعتبار، وبذلك قامت بخطوة استباقية ضد أي منشقٍ.

وأحياناً يحصلُ الاختراقُ المضادُ بسبب عدم قبول التحذيرات، فمثلاً اكتُشفَ في لشبونة أثناء الحرب العالميَّة الثانية شخصٌ مشبوهٌ، يقول كيم فيليبي عنه أنه «**يعيش في البرتغال تحت اسم**

---

[1] المصدر السابق.

[2] إصدار: جماعة الدولة: حقائق من الداخل، الحلقة السادسة: أبو ذر العراقي.

[3] إصدار: الحقيقة في شهادات جبهة الجولاني، إصدارات عبوة لاصقة.

[4] يهود الجهاد، أبو ميسرة الشامي، العبوة اللاصقة، (ص5-6).

مستعار، وكنّا نعلم عن طريق الاتصالات اللاسلكية أن هذا الشخص يقدم معلوماتٍ إلى الاستخبارات الألمانية، فيما علمنا بعد فتحنا للحقيبة الدبلوماسية التشيكية أنه يعملُ أيضاً لمصلحة الكولونيل بان ممثلُ الاستخبارات التشيكية آنذاك في لشبونة. وقد أمضينا أشهراً عديدةً في محاولة إنذار بان دون أن يعلمَ المصدرَ الذي استقينا منه معلوماتنا، فقاومَ كل محاولاتنا بعناد»[1]. فبقي هذا الجَاسُوس المتعاون مع الألمان يزود أحد دول الحلفاء بمعلومات استخباراتية قد تشكل اختراقاً أو توجيهاً من قبل الأعداء لهذه الدول عبر المعلومات؛ لأن أحد مسؤولي الاستخبارات رفض النصيحة في التخلي عنه.

والخلاصة قد تقوم أجهزة الاستخبارات بتشغيل عميلٍ مزدوجٍ واختراق العدو من خلاله لتحقيق الأهداف التالية:

1. كشف الجواسيس الذين يعملون لصالح العدو.
2. معرفة خطط العدو التجسسية وأولوياتهم وأهدافهم وما هي المعلومات التي يسعون للحصول عليها دون غيرها.
3. إجهاض محاولات التمرد والتخريب التي يخطط العدو للقيام بها.
4. معرفة وسائل العدو التِّقَنِيَّة والفنية التي يستخدمها في التجسس.
5. التعرف على ضباط العدو الذين يديرون العملاء.
6. تسريب معلومات مضللة للعدو لتوجيهه نحو اتفاق سياسي أو لكسب الوقت.
7. تشتيت جهد العدو وتضييع طاقاته فيما لا طائل منه.
8. ضرب سمعة العدو الاستخبارية.

---

[1] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، (ص81-82).

المبحث الثاني: تلاعبُ العملاءِ

مع ارتفاع نسب الفقر والفاقة في مناطق الحروب والصراعات؛ قد يصبحُ الكذبُ سلعةً تجاريةً يكسبُ المراوغون من خلالها أموالاً طائلة. لذا، فقد لا يقع الاختراق بالضرورة بتوجيه من أي أجهزةٍ معاديةٍ، وإنما باجتهاد فردي من قِبل أحد المتسكعين الأذكياء، الذين يبحثون عن الرزق مقابل بيع بعض المعلومات المزوّرة لضباط الاستخبارات الهواة.

وعندما تكون هنالك مقايضة (المال مقابل المعلومة) قد يخاف الجَاسُوسُ أن ينضبَ مصدره وتجفَ معلوماته، فحينئذ سوف يصبح بلا دخل، فيقوم باختلاقِ معلومةٍ جديدةٍ، أو رُبمَا يمتلكُ معلومةً عاديةً ولكن لأنه يريد أن ينال أكبر قدر من المال يعمد على تحويرها والزيادة عليها وتضخيمها للدلالة على أهميتها، فأهميةُ المعلومة ترفعُ من قيمة المال.

وغالبًا تكون هَذِهِ المعلومة أحادية المصدر يصعب التثبت من صحتها؛ لأنه لو كَانَ بالإمكان التثبت من صحتها لانكشف كذبه وأن ما يأتي به من معلومات غير صحيح، «**ولكن عاجلاً أو آجلاً فإن جهازَ المخابرات سيكتشفُ الأمر رُبمَا عن طريق دليل دَاخِلِيّ أو عادة ما تكون عن طريق أخطاء وتعارضات وتناقضات في المعلومات أو حتى أخطاءٍ في الأسلوب نفسه**»[1].

يحكي الضابط في وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «هنري كرامبتون» جانباً من هذا فيقول: «**شغلّتُ متطوّعاً حذقاً ومخادعاً على مدى أشهرٍ عدةٍ، فزودني باستخبارات جيدةٍ طعهما بأجزاء مختلفة لم أتمكن من تمييزها. بقيت أدفع له مبالغ صغيرة من أموال الضرائب الأمريكية سعياً إلى كسب التصديق والسيطرة. طلبت من أحد المحللين مراجعة كل التقارير، ومن عامل على جهاز كشف الكذب اختبار العميل، وبالمراجعة الصارمة والنقدية للمحلل الذي أوصل العميل بجهاز كشف الكذب وأجرى معه محاولات متكررة على مدى نحو ساعتين. ناقش وعامل آلة كشف الكذب النتيجة التي توصل إليها: "هنالك مؤشر على الخداع"؛ واجهنا**

[1] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص201).

العميل فاعترف. استجوبناه على مدى ساعات بأسئلة فظة وقاسية. وانتهينا إلى أن المسألة خداع من أجل الكسب المادي لا أكثر. لقد هدرت وقتاً قيماً وعدة آلاف من الدولارات، وركبت المخاطر من أجل لا شيء إلا زيادة ثقافتي التجسسية»[1].

قد ينظر إلى المعلومات المغلوطة على أنها باب من أبواب الرزق، وقد يُستغل شغف بعض الدول للحصول على المعلومات، ومن هُنَا يدخل الكثير من النصابين خصوصاً الذين هاجروا من الدول الشيوعية وزعموا أن لديهم معلومات تفيد الجانب الغربي، يقول الضابط كيم فيليبي: «**من المؤكد أن الحرب كَانَتْ السبب في لفت أنظار كل أوروبا إلى باب الرزق المتمثل في الجَاسُوسِيَّة، وفي الأربعينيات استثمر بعض الجهلاء الملايين في إسطنبول للحصول على معلومات مفبركة داخل المدينة نفسها. ويتحمل الأمريكيون الوزر الأساسي في رفع أسعار المعلومات المزورة. لكن في سنة 1947 ازدادت شهية المخابرات البريطانية للحصول على المعلومات المزيفة على نحو كبير. وقد أمضينا وقتاً طويلاً في إيجاد وسائل لإخراج أصحاب هَذِهِ المعلومات من مخابئهم لنستطيع الحكم على صحة أخبارهم. ولم ننجح إلا نادراً، وأنا أؤكد أنه رغم احتياطاتنا الواسعة فإن الكثير من المهاجرين قد خدعونا»**[2].

---

[1] فن التجسس، (ص73-74).

[2] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيليبي، (ص130).

المبحث الثالث: التعاطفُ السلبيُّ معَ المجنَّدِ

كما مر معنا في فصل مراحل التَّجْنِيد، فإن للصداقة بين العميل والضابط أثرٌ كبير في الحصول على المجنَّدين ثُمَّ على المعلومات، لكن هَذِهِ العلاقة قد تشكلُ أحياناً خطورةً بالغةً على الضابط نفسه، وقد تكون وبالاً على الجهاز الخفي بأسره، في حال لم يستطع المشغِّل ضبطها فتنقلب عليه تأثُّراً وتعاطفاً مذموماً.

يقول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه متحدثاً عن أهم قواعد إنشاء العلاقات: «**أحبب حبيبك هوناً ما، علَّه يكون بغيضك يوماً ما. وأبغض بغيضك هوناً ما، علَّه يكون حبيبك يوماً ما**». لذلك ينبغي على المجنِّد من أجل تجاوز هَذِهِ العقبة أن يتحكَّم في مشاعره بحَيْثُ لا يسمح لها أبداً أن تأثر على قِيَمه وعمله. ولعل أهم ما يميزُ الضابطَ الجيد عن غيره: "كبح العواطف". وقد قال أحد العاملين السابقين: «**ليس أمراً عادياً أن تقيم علاقةً حميمةً مع الهدف. وإذا اضطررت إلى فعل ذلك، فهذا يعني أنك لست من يسيطر على مجريات الأمور**».[1]

أحياناً يكون التعاطف على حسب القيم، ويَجِبُ على المُجنِّد أن يكون مستقلًا، لأنه «**بحسب وكالة الاستخبارات المَرْكِزِيَّة، ستكون قد ارتكبت جريمةً إذا أحببت مصدرك، وإذا خسرت موضوعيتك، أصبحتَ الطرف الذي يَتِمُّ التلاعبُ به**»[2]. ونستطيع أن نضرب مثالاً جزئياً حول هذا، مثل تعاطف الموظفة في مكتب التحقيقات الفيدرالي «دانييلا غرين» التي «**بدأت العمل مع المكتب عام 2011، وحصلت بعد ذلك على أعلى ترخيص سري، وفي يناير 2014 تَمَّ تعيينها للعمل في ملف يخصّ إرهابياً ألمانياً لم يَتِمّ الكشف عن هويته في**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد.

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص115).

الوثائق، لكن شبكتنا توصلت إلى أن الأمر يتعلّق بأبي طلحة الألماني»[1] التي وقعت في غرامه وسافرت لسوريا وتزوجت منه! ولكن موضوعنا يتحدث عن التعاطف السلبي مع شخصٍ داخل دائرة الاستخبارات والتجنيد، وليس التعاطف مع مقاتل في دائرة الأعداء.

فقد تعاطف رجال الاستخبارات البريطانية الخَارِجيَّة (IM6) مع رجلهم «كيم فيليبي» بعد أن اتهم بالجاسوسية والعمالة، فقد حققوا معه وقد كَانَ من ضمن الموجودين ضباط من الاستخبارات البريطانية الدَّاخِليَّة (IM5) الذين لم يعجبهم وضع التحقيق، يقول بيتر رايت عن مشاهداته: «**دخل فليبي بطريقة وديةٍ في حياة ثلاثة من زملائه السابقين الذين كانوا يعرفونه بِشَكلٍ جيدٍ. لقد تعاملوا معه بلطف وألفة. تلعثمَ فليبي وهو يحتجُ مؤكداً براءته. ولكن سماع الأسئلة يقود لإدراك الكذبة الكبيرة. فكلما تلكأ فليبي في الإجابة قام أحد سائليه بإرشاده إلى جواب مناسب. "حسناً، أعتقد أن كذا وكذا يُمْكِنُ أن يكون تفسيراً معقولاً" فيوافق فليبي بلهفة وتستمر المقابلة**» مما حدا بأحد ضباط الاستخبارات البريطانية الدَّاخِلِيَّة أن يضرب على رجليه قائلًا: «**السفلة إنهم يبرئونه!**» ويكمل بيتر قائلًا: «**وأرسلَ كمنغ مذكرةً عاجلةً إلى غراهام ميشتل رئيس قسم التجسس المضاد في IM5 يقدم فيها تقويماً حاداً لتبرئة IM6. ولكنها ذهبت أدراج الرياح. فبعد عدة أيام أعلن ماكميلان في مجلس العموم براءة فليبي**»[2]، وما حصل في التحقيق مع كيم فيليبي أنه «**كلما ازداد تعاطف المستجوب مع العميل. ازداد احتمال أن يخترع بنفسه وبأمانة كبيرة مبررات ليفسر ما يبدو غير مناسب في تقريره**»[3].

---

[1] سي إن إن، 3 مايو 2017: هربت لتتزوجه وعادت لتواجه "أقل عقوبة".. هل كشفت موظفة FBI أسرار الداعشي أبوطلحة الألماني؟ (https://2u.pw/DMpSj)

[2] صائد الجواسيس، (ص53-54).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص219).

ثُمَّ اتضح لاحقاً بما لا يدع المجال للشك وباعتراف كيم فيليبي نفسه أنه جاسوس للاتحاد السوفيتي، ولكن قبل ذلك ومع عدم إدانة كيم فيليبي وتبرئته وإغلاق ملفه من قبل الصحافة، يقول فليبي أنه أمضى سبع سنوات بعدها «**في راحة بالٍ ناعمةٍ، وفي خدماتٍ أخرى قدمتُها للقضية السوفيتية**»[1]، فانظر ماذا جنى التعاطف السلبي!

وقد ذكرنا في مبحثٍ سابق إحدى القصص التي وردتنا من مصادر ميدانية في ريف درعا، قصة رجل كَانَ يعمل مع الجهاز الأمني في حركة ثورية في مراقبة امرأة أربعينية كَانَتْ تعمل مجنِّدةً لصالح عصابة الأسد، وتتمثل مهمتها في جمع المعلومات عن الثُّوَار وتجنيد المخبرين داخل المناطق المحررة. ورغم التوجيهات الصارمة من المشغِّل بعدم الاختلاط مع المرأة أو الانفراد بها، كَانَ عميلنا هذا يتمادى في الجلوس مع جاسوسة النظام ويكثر من مكالمتها، مما جعله بعد ذلك يقع في شباك غرامها، ويصبح أحد الرجال المخلصين لها في تجنيد الشباب لصالح ميلشيات النظام. وقد ضُبط العميل بعد ذلك وعرض على المحاكمة. فانظر كيف جعله الارتباط العاطفي مع من يراقبه يرتدُّ ليصبح عميلاً لدى الأعداء.

---

[1] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيليبي، (ص182).

المبحث الرابع: الإفراطُ في تكذيبِ العملاءِ

يعرفُ أحدُ الجواسيسِ على أنه من أكبر «**الكذابين في التاريخ**»[1]، ويعرف الآخر على أنه «**محتال محترف**»[2]، فمن الطبيعي وجود التوجس من الجواسيس عمومًا؛ ويشرح الصحفي ستيفان غراي علةَ التوجس الدائم من الجواسيس: «**يَجِبُ أن يكون الجواسيس غدّارين، ويَجِبُ أن يخونوا بلدهم ويكذبوا على محيطهم. وتأتي الحقائق من الجَاسُوس مغلَّفةً بالأكاذيب. لذا من الصعب التأكد من أن أشخاصاً كهؤلاء معتادون على الكذب وبارعون فيه لا يخادعون بشأن المعلومات التي يسلمونها**»[3].

بالأخص إن كَانَتْ المعلومة لا يُمْكِنُ التأكدُ من صحتها، أو ما يُمْكِنُ أن يسمى: «**استخباراتٍ من مصدرٍ واحد**»[4] لذلك «**قد يكون لدى الجَاسُوس العقلاني حافزٌ ليخترعَ أسراراً أو يبالغ بأسرار لا يُمْكِنُ التحقق من صحتها**»[5].

ويكون لهذا التكذيب أو عدم التصديق عدة أسباب، منها:

الانطباع الشخصي، فقد استطاع عميل الاستخبارات العَسْكَرِيَّة السوفيتية المزدوج والذي كَانَ عضواً في الحزب النازي وضابطاً بدوام جزئي في السفارة الألمانية في طوكيو «ريتشارد سورج» الحصول على موعد دخول الجيش النازي إلى أراضي الاتحاد السوفيتي، وأرسلها

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسيَّة الجُدُدُ، (ص74).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسيَّة الجُدُدُ، (ص57).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص80).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص84).

[5] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص81).

إلى الاتحاد السوفيتي، وقد رفض ستالين القبول بهذا التقرير لأن مصدره كَانَ «**إنساناً دنيئاً يقيم في بعض المصانع الصغيرة وبيوت الدعارة في اليابان**»[1].

وأحياناً تكون **الدقة الشديدة للمعلومات** سبباً لرفضها! وهذا حاصل في قصة مدير سابق لإحدى محطات وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الذي استطاع الحصول على كل خطط مصر وسوريا العَسْكَرِيَّة لحرب أكتوبر سنة 1973 والتي تذكر بالتفصيل ترتيب القتال وموضع كل وحدة، فأرسلها إلى مقر وكالة الاستخبارات في واشنطن «**ولكنهم لم يصدقوه ولم يصدقوا مصدره، ... وأن محللي وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة لم يستطيعوا تقبّل أن لديهم عميلًا بهذه الجودة يستطيع تزويدهم بأمورٍ كهذه**»، إلا بعد حصول الحرب والتأكد من صحة التسريب «**أصبح مدير المحطة بطلًا، مما عزز مصداقيته المستقبلية**»[2].

وهذا أمر حصل أيضًا مع مجموعة كامبريدج التي كَانَتْ في الاستخبارات البريطانية وتعمل لصالح السوفييت، فقد شُكِّكَ في تقاريرها لأنه «**كلما قدمَ الجَاسُوسُ معلوماتٍ أفضلَ، سيزدادُ احتمالُ عدمِ تصديقِهِ**»[3].

وأحياناً تجعل **أخطاء الاستخبارات الشنيعة** الجهة المقابلة تتردد في قبول أخبار العميل المزدوج، فكيم فيليبي رئيس قسم مكافحة الجواسيس في جهاز الاستخبارات السِّرِيَّة البريطاني والعميل للسوفييت، قد عُيِّنَ في هذا المنصب الحساس دون التدقيق في تاريخه ونشاطاته الشيوعية واليسارية وزواجه من امرأة شيوعية ألمانية تدعى "ليتزي فريدمان"، وقد شكك بِشَكلٍ واسع بفيليبي والمجموعة التي معه والتي كَانَتْ تسمى بـ«خماسي كامبريدج»، وفي عام 1943 أرسل جهاز الاستخبارات السوفيتي إلى رئيس محطته في لندن أن كل

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص78).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص79).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص76).

جواسيس كامبريدج الخمسة متعاونون مع البريطانيين: «**فلا وجود لأي تفسيرٍ آخر لكيفية تمكن "جهاز الاستخبارات السِّرِيَّة البريطاني" و"تنفيذية العمليات الخاصة" من تفويض عملٍ دقيقٍ كهذا في مجالات ذات مسؤوليةٍ لأفرادٍ كانوا منخرطين في نشاطات شيوعيةٍ ويساريةٍ في الماضي!**»[1].

زد إلى هذا السبب أن من أساليب الاستخبارات البريطانية اكتشاف جواسيس الدول الأخرى ثُمَّ اعتقالهم وجعلهم يرسلون معلومات مضللة إلى الدول التي كانوا يعملون إليها. فأثناء الحرب العالميَّة كَانَ «**كلُّ جاسوسٍ ألماني يهبطُ في بريطانيا إما أن يَتِمَّ أسره أو يعاد ليقدم معلومات مضللة للقيادة الألمانية**»[2] فقد شكك السوفييت أنه رُبَمَا ما يحصل لهم مع «مجموعة كامبريدج» هو ضمن هَذِهِ الإستراتيجيَّةِ! [3] فقد عُرِفَ السوفييت أنهم «**مشهورين بارتيابهم وطبيعتهم التآمرية وحذرهم الشديد**»[4]، ولكن هَذِهِ النظرة السوفيتية إلى «خماسي كامبريدج» تغيرت في وقتٍ لاحقٍ.

وبنفس هذا المسوغ خسرت بريطانيا معلوماتِ استخباراتٍ قيمةً لصالح الأمريكان، ففي نهاية عام 1943 بات يظهر أن دول المحور تسيرُ قُدماً نحو الهزيمة، الأمر الذي جعل أفواجاً من الضباط الألمان يقفون صفاً أمام أبواب البعثات الدبلوماسية الحليفة عارضةً التعاون وطالبةً اللجوء، وقد وفد أحد الألمان العاملين في وزارة الخَارِجيَّة الألمانية إلى البعثة الدبلوماسية البريطانية في سويسرا وأحضر معه حقيبة ملأى بالوثائق. وبعد أن سمع الملحق العَسْكَرِيّ ادعاءه قام برميه خارجاً إذ كَانَ «**من غير المعقول أن يستطيع شخصٌ ما المرور عبر مراكزِ التفتيش الألمانية مع حقيبة ملأى بالوثائق السِّرِيَّة**»، وبعد فشله مع البريطانيين حاول

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص73-76).

[2] صائد الجواسيس، (ص45-89).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص75).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص78).

التواصل بالأمريكيين الذين كَانَتْ قواعدهم أقلُ صرامةً من الإنجليز، فاعتبر سكرتير البعثة الأمريكية أن القضية لها علاقة بالجاسوسية، وقد طلب من الرجل مقابلة ألين دالاس الذي قرر دون أيّ تردد أن الوثائق أصلية «**وقد صُدم الدبلوماسي الأمريكي بالوثائق الأمريكية لدرجة أنه استمر تحت تأثير الصدمة عندما دبج تقريره إلى واشنطن: لو استطعتم فقط مشاهدة هَذِهِ الوثائق في حالتها الطازجة**»[1].

وأحياناً تتردد وكالة الاستخبارات في التعامل مع **التحذيرات الفجائية**، لأنها سوف تتعرض للسخرية إذا تبين أنها كَانَتْ تحذيرات مخطئة «**لذا تميل إلى التردد لدى تلقيها تحذيرات كهذه، رُبَّمَا حتى وقتٍ متأخرٍ جداً فيكون الأوانُ فيه قد فات**»[2].

والنموذج الفعلي على هذا الأمر مسألة «غزو الكويت»، يحكي عبد الله النفيسي: «**من يقرأ التقرير** [تقرير لجنة تقصي الحقائق عن أسباب غزو العراق لدولة الكويت] **ومقابلات اللجنة مع الأشخاص المعنيين والمعلومات المتجمعة لديها يدرك تمام الإدراك أن الغزو العراقي لدولة الكويت لم يكن مفاجئاً، بل سبقته إرهاصاتٌ ومقدماتٌ كثيرةٌ لم تحسن الكويت التعامل معها بجدية على مستوى القيادة والحكومة. فالسفير الكويتي في العراق وقتها خالد البحوة نقل منذ 1990/7/17 رسالةً مؤكدةً من سفيرة الولايات المتحدة لدى بغداد أبريل جلاسبي أن صدام قرر احتلال الكويت، وأما د. طارق رزقي سفير الكويت في باريس فقد أخبرته المخابرات الفرنسية بأن صدام قرر عملًا عسكرياً ضد الكويت، ولذلك جاء السفير إلى الكويت 1990/7/30 لإبلاغ المسؤولين بذلك. وأخبرني شخصياً سفير إيران لدى الكويت حسين صادقي بأنه نقل نفس المعنى لوزير الخَارِجِيَّة الكويتي آنذاك قبل الغزو بأسبوع استناداً إلى تقريرٍ للمخابرات الإيرانية في البصرة بأن صدام على وشك الهجوم على الكويت. على الرغم من تجمعات هذا الكم الخطير من المعلومات والتهديدات كَانَ رد فعل المسؤولين في**

---

[1] الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، (ص86-87).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص80).

الكويت: لا داعي للقلق!»[1] أو بِشَكلٍ أدقٍ أُستدعي السفير الإيراني في الكويت إلى مقابلة الرئيس الإيراني آنذاك «هاشمي رفسنجاني» وأُعطي رسالةً تحذيريةً لحكومة الكويت لقرب دخول جيش العراق إلى أراضيها، وبعدما ذهب السفير إلى الكويت وقابل المسؤولين كَانَ ردهم عليه «شكراً» وقال: «**ولم يأخذوها مأخذ الجد**»[2].

أحياناً كثرةُ الحواجز والوسطاءُ هي السبب «**حتى لو كَانَتْ الاتصالات جيدة، فإن المسافات الجغرافية والحواجز الثقافية ووفرة الوسطاء بين الجَاسُوس وصاحب القرار -أي الشخص الذي يستخدم المعلومات الاستخباراتية- تشكل دائماً دافعاً للشك وعدم اليقين**»[3].

وكثرة عمليات التضليل بين أجهزة الاستخبارات جعلتهم لا يأخذون بجدية أيّ ضربةِ حظ قويةٍ تحصل مفاجأة، وكما قيل: «**ومن الآثار غير المباشرة للتضليل أنه في حالة نجاح أيّ عَمَلِيَّة خداعٍ في تحقيق هدفها فإنها تؤدي إلى اضطراب وتضليل حكم العدو وتقييمه لمعلومات أخرى يحصل عليها، وهنا يدخل العدو الشك والريبة**»[4].

لذلك تجدهم يرفضون ما يُعتَبَرُ هديةً من الله، مثل ما حصل مع الوثائق النازية السِّرِيَّة حول غزو فرنسا والتي وقعت بين يدي الاستخبارات البلجيكية، ففي العاشر من يناير عام 1940 خلال العام الأول من الحرب العالميَّة الثانية حدث أن كَانَتْ طائرة ألمانية تحمل رسائل خاصة في رحلة بين موقعين في ألمانيا وقد ضلت هَذِهِ الطائرة طريقها بعد أن نفذ منها الوقود، وأرغمت على الهبوط اضطرارياً في مكان ما اتضح أنه بلجيكا، وقد كَانَتْ الطائرة تحمل الخطة الكاملة لغزو ألمانيا لفرنسا عبر بلجيكا وهي الخطة التي كَانَ هتلر قد أمر بالفعل بالبدء

---

[1] عبد الله النفيسي، من أيام العمر الماضي، مكتبة أفاق - الكويت، الطبعة الأولى: 2014 (ص162-173).

[2] قناة القبس: الصندوق الأسود مع عبد الله النفيسي، الحلقة: 28.

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص100).

[4] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص149).

في تنفيذها وعندما أدرك قائد الطائرة المكان الذي هبط فيه قام سريعاً بإشعال النيران وحاول حرق جميع الأوراق التي كَانَتْ على متنها إلا أن السلطات البلجيكية أدركته قبل أن يَتِمَّ عمله واستردت أوراقاً نصف محترقة وأوراقاً أخرى سليمة لتجمع معاً الخطة الألمانية. كل هذا مفهوم، ولكن الغريبَ هو ردةُ فعلٍ بعض كبَار المسؤولين في بريطانيا وفرنسا إذ «**شعروا أن المسألة كلها مجردُ خدعةٍ ألمانيةٍ وتساءلوا كيف يُمْكِنُ للألمان أن يكونوا بمثل هذا التساهل بحَيْثُ يسمحون لطائرة صغيرة بأن تحلق بالقرب من الحدود البلجيكية في مثل هذا الجو السيء وعلى متنها خطة غزو تامة ومفصلة**»[1].

ومثل ذلك ما حدث مع الألباني "سيسرو" الذي استطاع أن يكسرَ قفلَ خزانة السفير البريطاني في تركيا، واطلع على وثائق بريطانية سرية للغاية عن مجريات الحرب، وعرض في أحد الأيام بيع الوثائق للألمان فضلاً عن مواصلة إمدادهم بوثائقَ مماثلةٍ، وقد تَمَّ قبول عرضه مبدئيًا إلا أن الخبراء في برلين لم يكن بوسعهم أن يصدقوا تمامًا أن تسريب هَذِهِ الوثائق ليس خدعةً بريطانيةً![2] فالشاهد إن عَمَلِيَّة التضليل تؤدي ليس إلى رفض أخبار العميل بل حتى إلى رفض الوثائق السِّرِيَّة!

وأخيراً، "يصبح من الواضح في حالاتٍ عديدةٍ أن قصص الجَاسُوسِيَّة من واقع الحياة تميلُ إلى الانتهاء بخيبة أمل. إذ يكتشف الجَاسُوس انقلاباً كبيراً أو مؤامرةً رهيبةً، ولكنه عندما يعود إلى بلده ليخبر قصته، يكون كل ذلك من أجل لا شيء. لماذا تجهض جهود الجواسيس في أغلب الأحيان؟ لابد أن هذا يعكس عدة نقاط ضعف هامة في هَذِهِ المهنة.

أولاً: يكافِحُ الجواسيس لإثبات مصداقيتهم؛ لأن الاستخبارات البشرية تجني ثمارها بوسائل هشة. فللحصول على أسرار، يَجِبُ أن يكون الجواسيسُ غدارين، ويَجِبُ أن يخونوا بلدهم ويكذبوا على

[1] المصدر السابق.

[2] كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، (ص150).

محيطهم. وتأتي الحقائق من الجَاسُوس مغلفةً بالأكاذيب. لذا، من الصعب التأكد أن أشخاصاً كهؤلاء معتادين على الكذب وبارعين فيه لا يخادعون بشأن المعلومات التي يسلمونها. وهذا الشك تبرزه طريقة اعتماد الوكالات العصرية على عملائها الأجانب، بدلاً من استخدامها ضباطا من عندها.

ثانياً: هُنَاكَ مشكلةُ ما يمكننا تسميته صدمةَ الحقيقة. فإفشاء سرٍ مهمٍ شيء يتعدى المعتقدات الموجودة. وكلما كَانَتْ القصةُ أفضلَ، كَانَ تصديقها أصعب. الحكمة المملة والتقليدية والتحذيرات غير المفاجئة كلها أمورٌ تمر بأمان وبسرعة في التقارير إلى رؤساء الجمهورية ورؤساء الوزراء. لكن وكالة الاستخبارات التي تصدر تحذيراً مفاجأ تخاطرُ بتعرضها للسخرية والاستفسارات إذا تبين أنها كَانَتْ مخطئةً، ولذا تميل إلى التردد لدى تلقيها تحذيرات كهذه، رُبَمَا حتى وقت متأخر جداً يكون الأوان فيه قد فات.

ثالثاً، هُنَاكَ مشكلة الحوافز. لاستخدام لغة الاقتصاد، يُمْكِنُ اعتبارُ التجسس، مثلُ الصحافة والدبلوماسية، كجزءٍ من سوق البحث عن المعلومات. فمن الصعبِ المتاجرةُ بالمعلومات بفاعليةٍ؛ فلكي تصف المنتج الذي تبيعه بالكامل (مثلاً، لكي تقول إن الرئيس الروسي سيزور مينسيك يوم الاثنين) ستكون قد سلمت المنتجَ مسبقاً وانخفضت قيمته. والمتاجرة بالمعلومات الاستخباراتية السِّرِيَّة أصعبُ؛ لأنها عبارةٌ عن معلومات لا يُمْكِنُ التحققُ من صحتها في أغلب الأحيان. فالمعلومات التي تتحدث عن خطةٍ لتوجيه ضربة نووية قد يكون بالإمكان التحقق من صحتها. وقد يكون لدى وكالة التجسس العقلانية حافزٌ فاسدٌ لرفض المعلومات التي لا يمكنها التحقق من صحتها فوراً، وللمبالغة في تثمين الأنباء السارة التي يُمْكِنُ إثباتها.

تتضافرُ نقاطُ الضعف هَذِهِ -النقص في المصداقية والكسل الضمني ضد المعلومات الصادمة، والحوافز السيئة- لإعاقة الجواسيس عن إحداث فرق. وقد حاولت وكالات الاستخبارات مواجهة هَذِهِ المشاكل باعتمادها عقليَّةً مشككةً على سبيل المثال لاختيار مصداقية عملائها. لكن مثلما اكتشفت الـCIA والـKGB الروسية وبكلفة عالية خلال الحرب الباردة، بإمكان الشكوك

الصحية أن تتحول بسرعة إلى شك مرضي مشلٍّ يفسد الثقة بالأصدقاء المخلصين. بإمكان مرض كهذا أن يخفضَ من قيمة كل الثمار الثمينة للاستخبارات.

الملاحظة الأخرى هي أن التأثير الأكبر للاستخبارات البشرية يحصل عندما تكون معززةً أو من الممكن إثباتها. هَذِهِ مصطلحاتٌ تقنيةٌ من مصطلحاتِ التجسسِ. فالتعزيز يعني الحصولَ على المعلومات نفسها من مصادر أخرى مستقلةٍ. ومن دون دعمٍ احتياطيٍ كهذا، لن يتبقى لديه سوى "استخبارات من مصدرٍ واحدٍ". والاستخبارات الممكن إثباتها تعني المعلومات التي يُمْكِنُ التحقق من صحتها. مثلاً، التقرير الذي يرسله عميلٌ سريٌّ ويقول فيه إنه تَمَّ زرع قنبلة في فندق في "راو" يُمْكِنُ تعزيزه بتقرير عميلٍ آخرٍ أو مصدرٍ آخرٍ من الاستخبارات، كهاتف يَتِمّ التنصت عليه مثلاً. ومن الممكن إثباته إذا أعطى العميلُ معلوماتٍ محددةً أخرى تسمح بالعثور على القنبلة الفعلية.

والتعزيز والإثبات عاملا تدقيقٍ مزدوجٍ للمعلومات الاستخباراتية. وفي حين أن التدقيق المزدوج سيؤدي -مثلما ذكرنا- إلى تشويه ما يزود به الجَاسُوس (على حساب حقائقَ لا يُمْكِنُ تدقيقها لكنها مفيدة)، فقد برهن هذا التدقيق المزدوج أنه الوسيلة العملانية الوحيدة عادةً لجعل الاستخبارات البشرية مفيدةً. وقِلَةٌ من الجواسيس فقط كانوا رائعين، أو مقنعين، لدرجةِ أن معلوماتهم الاستخبارية كَانَتْ موثوقةً من دون أن يَتِمَّ تعزيزها بهذه الطريقة."[1]

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ (ص 101)

والخلاصة، هُنَاكَ العديد من الأسباب التي قد تجعل أجهزة الاستخبارات تبالغ في تكذيب العملاء، لعل أهمها:

1. أجواء الكذب والخيانة والمراوغة التي تحيط بعمل الجواسيس.
2. الدقة الكبيرة للمعلومات وجودتها.
3. الخوف من العتاب إذا تبين أن المعلومة كَانَتْ خاطئة.
4. استبعاد القيادة للاحتمالات الأكثر سوءاً.
5. الانطباع الشخصي المسبق عن العميل.

المبحث الخامس: الإفراطُ في تصديقِ العملاءِ

أحياناً يؤدي الإفراطُ في تصديق العملاء إلى نتائجَ كارثيةٍ، إما أنها ترتد على الدولة نفسها، أو تؤدي إلى كوارثَ كبرى مثل احتلال العراق.

فمثلًا العميلُ رافد أحمد علوان الجنابي المعروف في الأوساط الاستخباراتية بـ: «كورفبول»، فقد هرب من بلاده سنة 1999 بعد أن اتُّهِمَ بعمليةِ احتيالٍ تافهةٍ، ووصل إلى ألمانيا في أحد مخيمات طالبي اللجوء، وكان الخبر منتشراً بين النزلاء في المخيم أن زيارة مكتب الاستخبارات الألمانية خلف مركز اللاجئين سيسرعُ طلب اللجوء، فذهب إليهم وأخبرهم أنه درس الهندسة الكيميائية في جامعة بغداد للتكنولوجيا، ونُقِلَ خلال خدمته العَسْكَرِيَّة إلى برنامج صدام حسين لأبحاث التسلّح؛ هيئة التصنيع الحربي ثُمَّ عمل في مركز الهندسة الكيميائية والتصميم في بغداد على معداتٍ لمعالجة البذور والعوامل البيولوجية. فوجدت المخابرات الألمانية أن لعلوان خلفيةً مثيرةً للفضول خصوصاً مع ضغطِ أمريكا على العراق بسبب برنامج أسلحة الدمار الشامل ثُمَّ أُخضع علوان للتحقيق على يد الدكتور بيتر والذي أصبح الضابط المسؤول عنه.



ولد رافد أحمد علوان، وهو عراقي من قبيلة الجنابي، في العاصمة بغداد في العام 1967، غادر العراق لأسباب مجهولة في العام 1999، ويقول البعض إنه اتهم بعملية احتيال تافهة. سافر إلى الأردن ومصر والمغرب ثُمَّ فرنسا. ثُمَّ عبَر الحدود الألمانية في سيارته متوجّهاً نحو نورنبرغ في بافاريا. كَانَ يريد لجوءاً سياسياً في ألمانيا.

وقد تظافرت لدى علوان الظروف لتمريرِ روايته، منها:

أولاً: إن ما أخبر بِهِ هو بالضبط ما كَانَتْ تحتاجه المخابرات الألمانية[1] والمخابرات الغربية. مما جعلهم يتساهلون في تقييم المصدر ومصداقيته لأنه فقط أعطاهم ما يريدون «**فعندما سئل براين جونز وهو من كبار محللي الاستخبارات في الاستخبارات الدفاعية البريطانية عن سبب تغاضي جهاز الاستخبارات السِّرِيَّة عن قلقه بأن كورفبول كَانَ ملفقاً محتملًا، قال: "إن معظم ضباط الاستخبارات في بريطانيا والولايات المتحدة كانوا دائماً متضايقين من قصة مختبرات الأسلحة الجوالة. لكن ذلك تغيّر عندما ظهرت مصادر جديدة فجأة لتأييد القصة. كَانَ هنالك دائماً حذرٌ كبير بشأن كورفبول على جانبي الأطلسي إلى أن برزت الحاجة إلى بعض المستندات "الحاسمة" بمعنى أن الضغط لتقديم مستندات للعموم شجع رؤساء الاستخبارات على التخلي عن حذرهم**»[2].

لم تستطع المخابرات -كما تزعم- التأكدَ من سجله والسؤال عنه والتثبت من تاريخه وصحة أقواله عن ماضيه حتى لا تُعرفُ هوية المصدر السري الذي كَانَ يزودهم بالأخبار. وعندما تَمَّ استجواب العراقي «لطيف» المدير السابق لعلوان في عمله والذي انشق وسكن في سلطنة عمان من قبل اثنين من ضباط المخابرات كَانَ «**الاستجواب ناقصاً. فلكي يتجنبا الإفصاح عن هوية مصدرهما لم يتمكن الثنائي من طرح أي أسئلةٍ محددةٍ عن علوان. لذا فشلَ المستجوبان مثلًا في أن يعرفا من لطيف إن كَانَ علوان قد طُرِد من مركز الهندسة الكيميائية والتصميم في العام 1995 أم لا. ولو أنهما سألاه عن هَذِهِ النقطة لتوضيحها لكان بإمكانهما تنبيه المملكة المتحدة وألمانيا قبل الحرب إلى أن ادعاءات كورفبول (علوان) بمشاهدته**

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص219).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص228).

إنتاجاً حديثاً للأسلحة الجرثومية في العام 1998 كَانَتْ وهميةً. وهذا مثال عن أن السِّرِيَّة في حماية المصدر يُمْكِنُ أن تكون مكلفةً جداً أحياناً»[1].

ثانياً: استطاع علوان الحصول على كتب تعليمية ومستندات تمكِنُ من خلالها تأليف روايته للحدث[2] بالدمج ما بين شهادته ورؤيته للمعامل في العراق والأمور العلمية والتقنية التي استطاع الحصول عليها من الدكتور بيتر، فقد كَانَ يملكُ معرفةً تقنيةً حَقِيْقِيَّةً وذاكرةً جيدةً وكان يصِفُ الأماكن وصفاً دقيقاً[3] مما أعطى لكلامه شيء من المصداقية.

ثالثاً: سذاجة الدكتور بيتر الذي باشر التحقيق معه، فقد تلاعب به علوان بمهارة، يقولُ ستيفن غراي: **«وقال علوان: إن الدكتور بيتر لم يعامله إلا بلطف، ولكنه "لم يكن محترفاً" وعندما سألته إن كَانَ قد تلاعب بالدكتور بيتر؟ ابتسم لي العلوان ولم ينطق بكلمة»**[4].

وقد لاحظ طبيب تابع لوكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأمريكية يدعى بـ «لس» أن الدكتور بيتر كَانَ مقرباً جداً من كورفبول (علوان)، وحكى أنه **«كَانَ واضحاً لي أن الضابطَ المسؤولَ عنه معُجبٌ جداً به ويعتبر أنه لا يُخطئ، أعني أن القصة كَانَتْ صحيحةً مئةً في المئة»**[5].

هذا التعاطفُ والسذاجةُ جعلت من الدكتور بيتر مرقعاً للثغرات والأخطاء الواضحة الموجودة في رواية علوان **«يستطيع المجنّدُ أن يخترع منطقاً لإثبات صحة ما يقوله العميل، سواءً أكانت معلومات العميل منطقيةً حقاً أم لا. يستطيع المجنِّدُ أن يصبح أداةً للكذبة، فيساعد في تغطية كل تناقض في الأقوال. ويمكن أن يحصل كل هذا عن غير إدراكٍ. فكلما ازداد تعاطف**

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسيَّة الجُدُدُ، (ص226).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص219).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص221).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص220).

[5] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص223).

المستجوبِ مع العميل، ازداد احتمال أن يخترع بنفسه وبأمانةٍ كبيرةٍ، مبررات ليفسرَ ما يبدو غير مناسب في تقريره»[1].

والتطبيق العملي على هذا عندما شرح علوان شرحاً مفصلاً عن مستودع في جرف النداف -جنوبي بغداد- حَيْثُ كَانَتْ شاحنات متنقلة تأتي لكي يُعاد ملؤها. وقال «**إن الشاحنات كَانَتْ تحتوي على معدات لتخمير الجراثيم وتجفيفها. وكان المكان الذي وصفه كورفبول معروفاً للاستخبارات الغربية ومفتشي الأمم المتحدة. ولكنهم يعرفون أنه مبنى صغيرٌ وضيقٌ ومحاطٌ بجدران عالية، وكان عليه أن يشرح كيف تستطيع الشاحنات الدخول والخروج. وعند سؤاله عن هذا قال كورفبول إن الشاحنات تخرج عبر جدار ذي مفصلات في زاوية المستودع. كَانَتْ المشكلة هي أن الجدار ذا المفصلات لم يكن موجوداً. كما أن الشاحنات الكبيرة لا تستطيع حتى التحرك في الفناء. وتوضح ذلك من الصور الفوتوغرافية الملتقطة في العام 2001 بواسطة الأقمار الاصطناعية الأمريكية التي كشفت وجود جدار إضافي في الطريق. أبلغ كورفبول عن الصور، ولكنه لم يأبه لها وتشبث بروايته. ولعبت التبريرات دورها مرة أخرى. فقد استنتج الدكتور بيتر والمحللون الأمريكيون أن البنية التي تبثها الأقمار الاصطناعية لابد أن تكون مؤقتة أو جزءً من حيلة»**[2].

ولم يفق الدكتور بيتر على أنه خدع إلا بعدما أعلن العلوان أنه كذابٌ! «**فبعد التفتيش في كل زاوية من زوايا العراق وعدم العثور على أيّ شيء، وحتى بعد أن اعترفَ كورفبول (علوان) أنه كذابٌ، صدق الدكتور بيتر أخيراً أن رواية علوان كَانَتْ ملفقةً»**[3].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص221).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص224-225).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص227).

ولم يكن أحدٌ يرغب في أن يلفت نظر الدكتور بيتر إلى أن «**الرجل الذي كَانَ حقاً يمد كورفبول بكل أكاذيبه -وربما عن غير إدراك ومن دون خبث- كَانَ الدكتور بيتر نفسه**»[1].

ومع هذا ظل البعض يأبى الاعتراف بالهزيمة والخداع وبقي مصدقاً رواية علوان! «**إن العديد من الاستخبارات الألمانية ظلوا يصدقون قصة كورفبول حتى بعد انتهاء حرب العراق، قال غوتز: تكلمت مع جميع الأشخاص الضالعين في هذا الموضوع. إنهم يصدقون.. حتى بعد سنين من انتهاء الحرب، وحتى بعد أن بحثوا في كل أرجاء العراق ولم يعثروا على شيء**»[2].

وثم اعتمدت أمريكا على رواية أسلحة الدمار الشامل وغيرها من الأسباب لتبرير غزو العراق، ولكن بقية الأسباب سقطت وبقي سبب أسلحة الدمار الشامل، يقول الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش في مذكراته: «**بدأنا العمل على جدالٍ آخر، وهو تصريح بالحرب من قبل الكونغرس. كجزءٍ من المناظرة، طلب قادةٌ في الكابيتول هيل من مجتمع الاستخبارات تحضير تقييم استخباراتي وطني لتحليل برنامج صدام لأسلحة الدمار الشامل. جمعَتْ المخابرات الأمريكية التقييم الاستخباراتي الوطني باستخدام البيانات نفسها التي أطلعتني عليها في الأشهر الثمانية عشر الماضية. توصَّلَ التقريرُ إلى أن بغداد تملك أسلحة كيميائية وبيولوجية. لقد كَانَ للمخابرات تأثيرها على أعضاء الكونغرس. فوفقاً للسيناتور جون كيري حين أقوم بالتصويت لأمنح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السلطة لاستخدام القوة إذا لزم الأمر لنزع الأسلحة من صدام حسين، فالسبب الوحيد الذي يدعوني لذلك هو اعتقادي بأن وجود ترسانةٍ فتاكة من أسلحة الدمار الشامل بين يديه لا يمثل تهديداً فحسب بل تهديداً جسيماً**»[3].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص228).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص218).

[3] مذكرات جورج دبليو بوش: قرارات مصيرية، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 2012، (ص319).

وبعد أن حصد الأغلبية داخل أمريكا لم يضرب اعتباراً بقرارات مجلس الأمن ولا الأمم المتحدة، وغزا العراق بناءً على هَذِهِ التقاريرِ التي كَانَ كورفبول أحد أهم مصادرها المعتمدة والموثقة، ثُمَّ بعد حصول الغزو وما جرَّ على العراق من قتل وتهجير وتدمير، خرج علوان أو كورفبول قائلًا: «**تسنت لي الفرصة لأِلفّق شيئاً لإسقاط نظام الحكم. أنا وأولادي نفوررن بهذا لأننا كنا السبب بإعطاء العراق هامشَ الديمقراطية**»[1]. وقد صرح بالشيء نفسه للـــBBC. وعندما صارحه المراسل الصحفي: "**الحقيقة هي أننا ذهبنا للعراق بناءً على كذبةٍ، وتلك الكذبة كَانَتْ من نسج خيالك !!"، أجاب كورفبول بابتسامةٍ متكلفةٍ: "نعم"**[2]

فالإفراط في تصديق العميل ساهم في جرِّ دولٍ إلى حربٍ استنزفتهم ودمرت معها حياة الكثيرين. وأحياناً الإفراط في تصديق العميل قد يؤدي بالجهاز السري نفسه أن تُشلَّ قدراته أو تفقِدَ الثقة بين المنتسبين إليه فلا يعود هنالك ثقة بين أفراده، مثل قصة المنشق السوفيتي «غوليتسين» الذي احتُضن من قبل أجهزة الاستخبارات الغربية وتمت المبالغة من بعضها والاحتفاء به وتصديق ما يقوله مثل ما حصل مع رئيس وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة الأمريكية «انغلتون» الذي صدقه ووصل بتصديقه إلى مرحلةٍ خطرةٍ على الجهاز نفسه «**فقد ابتلع انغلتون السنارة، وسمح لغوليتسين بالاطلاع بحريةٍ على ملفات وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة، حَيْثُ بدأ بتسمية الخونة عشوائياً على ما يبدو، وغالباً ما كَانَ يعجز عن تبرير قراراته على أيّ أساس صلب. وكانت النتائجُ مأساويةً، وأدت إلى المزيد من الإفراط في الأحكام الخاطئة. ووقع عددٌ كبيرٌ من ضباط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة في دائرة الشك، وكان أبرزهم وايف مورفي رئيس قسم الشؤون السوفيتية، وتدمرت حياتهم العَمَلِيَّة. وفي النهاية ساء الوضع كثيراً مع تزايد عدد الضباط المشبوهين بسبب استنتاجات غوليتسين لدرجة أن وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة قررت أن العلاج الشافي لكل هَذِهِ الشكوك يكون بحل قسم**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص214).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، ص 215

الشؤون السوفيتية والبدء بطاقمٍ جديدٍ من الضباط»[1]**.** وكان من آثار تلك الحملة التطهيرية إلى حد أنه «**شُلَّتْ عملياتُ CIA الأمريكية ضد روسيا على مدى عقد من الزمن حتى السبعينيات**»[2].

---

[1] صائد الجواسيس، (ص329).

[2] إرث الرماد، (ص319).

المبحث السادس: انكشافُ المجنَّدِ

يحتاج تجنيد الرجل المناسب وقتا طويلاً من البحث والانتظار، ثُمَّ يتطلب تأهيلُه واختبارُه العديد من السنوات حتى يَثْبُت وفاءه وفاعليّته، ومن أجل أن يصل إلى رتبة تنظيمية جيدة في الجهاز المعادي فإنه قد يقضي الكثير من الأعوام محاولاً ذلك.. فهل يستحقُ الأمرُ كلَّ هذا؟

تبقى الإجابة على هذا السؤال رهن مقدار الحاجة السِّيَاسِيَّة والأمنِيَّة لهذا النوع من الاختراق.

لكن، الخسارةَ كل الخسارةِ أن تُنفَقَ الأموالُ والأوقاتُ على رجلٍ كهذا ليصل إلى هَذِهِ الدرجة الرفيعة، ثُمَّ يُحرَقُ كرتُه، ويُكشَفُ عملُه، بسبب سوء تصرّفِ مشغليه مع المعلومات التي يرفعها. فقد تكون التصريحات السِّيَاسِيَّة أو المداهمة المباشرة دون توفير أدلةٍ جانبيةٍ سبباً في كشف العميل ثُمَّ تصفيته من قبل الجهة التي كَانَ يعمَلُ على اختراقها، أو على الأقل ستودي به يقيناً نحو التعطل والتقاعد المبكر. كحال سكاباتيتشي والذي كَانَ اسمه الرمزي «ستيكانيف»، الذي أدى دوراً في التجسس لصالح البريطانيين في حربهم مع الجيش الجمهوري الإيرلندي، فقد كُشِفَ أولًا بين دوائر الشرطة فبعد تصادم عدة وحدات من الاستخبارات البريطانية في الحرب مع الجيش الجمهوري الإيرلندي، تَمَّ الاتفاق على تسليم صدارة القيادة لشرطة أولستر الملكية، وقد كَانَ «ستيكانيف» مجنداً وتابعاً من قبل وحدة أبحاث القوة «فْرُو».

ولكن «قواعد صدارة الشرطة فرضت على فْرُو إبلاغ شرطة أولستر الملكية عنه، وحتى السماح لكبار ضباط شرطة أولستر الملكية بمعرفة هويته. وكان من المفترض أن يبقى السر مع رئيس الفرع الخاص لشرطة أولستر الملكية فقط، ولكنه بالطبع تسرب إلى الرتب

الأدنى»[1]، وبعد انتهاء الحرب كشفت بعض التقارير الصحفية عن هويته علناً[2]، بل أحياناً كشفت الصحافة عن جواسيس لا يزالون في الخدمة، وهذا تجدهُ جليًا في قصة الجَاسُوس الفرنسي عاصم المعروف برمز (F1) والمعني باختراق خليةٍ جهاديةٍ في برشلونة، عندما ذهب إليهم ووافق على العمل معهم، تورَّط معهم؛ إذ كَانَ من المقرر أن يقوموا بعملية في الصباح التالي وقد اختير معهم، فما كَانَ له إلا أن يتصل بمشغليّه من ضباط الاستخبارات الفرنسية ويخبرهم بهذا الخبر العاجل، وعلى إثر ذلك اقتحم حرس الحدود الإسباني المكان واعتقل الجميع بعد سويعات من الإنذار.

وبعد أسبوعين من القبض على الخلية احتلّ خبرُ وجودُ جاسوسٍ فرنسي في خلية إرهابية في برشلونة واجهة الأخبار في إسبانيا، فبفضل وكالة أخبار ذكرت أن جهاز الاستخبارات الفرنسية حذَّرَ بِشَكلٍ عاجلٍ من وجود "مؤامرة إرهابية" في برشلونة، وأرسل عميلًا إلى المدينة، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً أصبح عاصم مكشوفاً، فقد كَانَ معروفًا باسمه الحقيقي بين أفراد الخلية، ثُمَّ إنه اعتُقل معهم وأصبح من الواجب امتثاله للمحاكمة. قد أثارت هَذِهِ القضية نزاعًا بين إسبانيا وفرنسا على طرق التعامل فيها، حَيْثُ أدت إلى انكشاف هذا الجَاسُوس وبالتالي إنهاء حياته التشغيلية[3].

وكذلك **مكافأةُ الجواسيسِ علناً في بيئةٍ غيرِ مستقرةٍ** قد تكون سبباً في كشفه، كما صنعت بريطانيا في تكريهما لعملائها البلجيكيين الذين تعاونوا معها في الحرب العالميَّة الأولى ونقلهم لتحركات الجنود والمؤن الألمان وساعدوا في وضع تصور لترتيب القتال الألماني، فقد

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص117).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص103).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص244-245).

«ارتكبت بريطانيا خطأً منح ميداليات أو غيرها من أوسمة الشرف لما يزيد عن سبعمئة عميل بليجيكي، مما عرضهم كلهم للخطر عندما غزا الألمان مرة أخرى في العام 1945»[1].

والتصرف العاجل والسريع يؤدي أيضًا لانكشاف الجواسيس، مثل ما حصل مع الجَاسُوس القبرصي «أنطونياديس» الذي جُنِّدَ لصالح بريطانيا داخل قبرص، فبينما كَانَ في مهمة مع جنودٍ بريطانيين، تعرضوا لكمين فجائي من قبل منظمة «إيوكا» القبرصية المناوئة للاحتلال البريطاني لقبرص، وقُتِلَ أحد الجنود في هذا الكمين، وأُصيبَ آخر وهو صديق العميل «أنطونياديس» واسمه «سايفري»، فقام «أنطونياديس» فوراً بسحبه بمساعدة رجل آخر إلى مكان آمن، فاتضح أمام الجميع أن «أنطونياديس» الذي كَانَ يعمل مع «إيوكا» لم يكن في الحقيقة إلا عميلًا للإنجليز ضد «إيوكا» وهكذا «**أصبح أنطونياديس الذي كَانَ حينها يعمل مع البريطانيين علانيةً أحد أهداف إيوكا الرَّئِيسِيَّة**»[2].

فلو لم يصطحبه الإنجليز معهم في الدورية لما اكتشِفَ أمره.

أما العميل البريطاني «كُروك» الذي أُرسل إلى كولومبيا وأفغانستان وغيرها في مهام استخباراتية، فقد انتهى به المطاف كمفاوضٍ مستقلٍ بين الفصائل الفلسطينية وإسرائيل من أجل الهدنة وإيقاف إطلاق النار، وبعد اجتياح إسرائيل لقطاع غزة في يونيو 2002، عثرت إسرائيل على محضرين قد احتفظت فيهما حركة فتح وصادرتهما إسرائيل وفيهما تفاصيل اجتماعين قد عقدهما «كروك» مع الشيخ «أحمد ياسين» أحد كبار قادة حركة حماس «**ووفقاً للمحضرين، بدأ كروك اجتماعه مع حماس بتأكيد "إننا جميعاً نمرُّ حالياً في فترةٍ صعبةٍ، وليس فقط في فلسطين بل في المنطقة كلها والمشكلة الرَّئِيسِيَّة هي الاحتلال الإسرائيلي" تسببت هَذِهِ الجملة بالتشكيك بحياديةِ كرُوك في المحادثات**».

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص52).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص151).

فما كَانَ من إسرائيل إلا أن تنتقمَ من هذا الذي ظهر عليه الانحياز إلى أعدائها عليها: «**كَانَ من المحتوم أن يكشَفَ شخصٌ ما في مرحلة من المراحل خلفية كُوك الاستخباراتية. ليس واضحاً من سرَّبَ المعلومة، ولكن في أغسطس 2002 في نبذة عنه في الصحيفة الإسرائيلية معاريف، وُصف كُوك لأول مرة في حياته المهنية كموظف في جهاز الاستخبارات السِّرِيَّة؛ وهو حدث نادر بالنسبة إلى ضابط لا يزال في الخدمة أو حتى متقاعد. وبدأت الصحفُ الإسرائيليةُ تتسلى بالموضوع. واقتُبس كلام ضابط استخبارات إسرائيلي قال عنه: لا تدعْ مظهره يخدعك. فأنت لا تريد أن تلتقيه في زقاق مظلم في منتصف الليل. اسأل المجاهدين في أفغانستان أو تجار المخدرات في كولومبيا**»[1].

وهنا فائدة مهمة: الوقوف مع طرف ضد طرف قد يجعل الطرف الآخر يفضح أسرارك التي يعرفها.

أحياناً يكون الخطأ في التصريحات الرسمية، كما حصل مع المجَنَّد الذي عمل مع الاستخبارات الغربية ضد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب وقام ببعض الخدمات داخل التنظيم لصالح الوكالات الغربية والتي ساهمت في تنفيذ سلسلة ضربات من طائرات بدون طيار، ففي 7 مايو 2012 « **أعلَمَ جون برينن رئيس قسم مكافحة الإرهاب في عهد أوباما ومدير وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة لاحقاً عدة خبراء في التلفزيون بأن المؤامرة لم تشكل أي تهديدٍ كبيرٍ قط بفضل وجود سيطرة دَاخِلِيَّة، وفُسِّرَ هذا بِشَكلٍ صحيح على أنه يشير إلى وجود عميل، ثُمَّ صرَّح ريتشارد كلارك وهو مسؤول سابق في البيت الأبيض: "إن الحكومة الأمريكية تقول إن العَمَلِيَّة لم تشكل أي خطرٍ قط لأن لديها معلومات دَاخِلِيَّة أو سيطرة دَاخِلِيَّة وهذا يلمِّحُ**

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص337-338).

إلى وجود شخصٍ في الداخل لم يكن ليسمح بحصول ذلك"، كل هذا أدى إلى انكشاف العميل، والأرجح أنه تقاعد بسرعة ويعيش الآن تحت الحماية»[1].

والخلاصة، هُنَاكَ العديد من الأسباب التي تساهم في كشف العملاء لعل أهمها:

1. التصريحات الإعلامية غير المنضبطة.
2. التراتبية الإدارية المخلة بالسرية.
3. اتخاذ قرارات سريعة انطلاقاً من المعلومات التي قدمها المصدر.

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص377).

المبحث السابع: السماحُ بالجرائمِ

تحصل أحياناً أو في الكثير من الأحيان جرائم أو ترتكب أعمال إجرامية من قبل المجنَّد بموافقة أو تغاضي الجهاز المسؤول عنه، وقد يحصل قتل أو تعذيب أو اختطاف أو غيرها من الأمور من قبل المجند لاعتبارات متعددةٍ، فإن كَانَ مُختَرِقاً لجماعة إرهابية سيكون فعل تلك الأمور مطمئناً للقيادة وقد يجعله يتقدم في السلم التنظيمي، إذ لو امتنع عن تنفيذها لشكت الجماعة فيه وفي صدق انتسابه وقد يُتهمُ بأنه جاسوس.

وتزعم بعض مؤسسات الاستخبارات الغربية أنها لم تجند من يرتكب جرائم أثناء عمله في اختراق صفوف العدو، فتجد ضابط وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة «هنري كرامبتون» مثلًا يقول: «**لم نجند أو ندعم أو نشجع أيّ عمل على قتل أناس أبرياء، حتى ولو أدى مثل هذا العمل إلى التعجيل في وصول هذا العميل وتأثيره في داخل المجموعة الإرهابية. فذلك خاطئ تماماً**»[1].

ولكن تجد أن هذا الزعم غير صحيح بالمطلق، فتقع حالات ترتكب فيها جرائم، ولا أدلُ على ذلك مما قد حصل في الحرب البريطانية مع الجيش الجمهوري الإيرلندي، فكما تقدم أن «ستيكانيف» وهو جاسوسٌ بريطاني في صفوف الجيش الجمهوري قد توغل حتى أصبح الرجل الثاني في جناح مكافحة التجسس في الجيش الجمهوري، وكانت هَذِهِ الوحدةُ معروفةً بفرقة: جمع الجوز، وكانت «**مشهورةً بإطلاق النار على الرُّكَبِ، وتنفيذُ عقوباتٍ أخرى بحق الخونة**»[2].

ووفقاً لعميل جهاز فْرُو الاستخباراتي المشارك في الحرب البريطانية ضد الجيش الجمهوري الإيرلندي «بيتر كيلي»، فإنه يقول: «**كَانَ البريطانيون مضطرين إلى السماح لستيكانيف**

---

[1] فن التجسس، (ص162).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص116).

بالمشاركة؛ ليس فقط في إطلاق النار على الركبة وتعذيب خونة الجيش الجمهوري الإيرلندي المزعومين فحسب، بل في قتل العديد منهم أيضًا»[1].

ثُمَّ تورط «ستيكانيف» في عمليات أخرى مثل الاختطاف، فقام باختطاف أحد المشبوهين، وهرب هذا المختطف واتهم «ستيكانيف» أو بهويته الحقيقة «سكاباتيتشي» في أحد أقسام الشرطة بأنه هو من اختطفه، ويقول ستيفن غراي استدراكٍ على هَذِهِ الحادثة: «**توضح التهم التي وجهت ضد ستيكانيف، والتي أسقطت في نهاية المطاف، أصعب جزء من عَمَلِيَّة تشغيل العملاء أمثاله، وأعني كيفية منعه من أن يكون متواطئاً في الجرائم**»[2].

وأما «مارتن ماكغارتلاند» الذي كَانَ مجنداً من قبل شرطة أوليستر الملكية من أجل اختراق الجيش الجمهوري الإيرلندي فإنه «**أُجبِرَ على التواطؤ في جريمة قتل الجندي طوني هاريسون من فوج المظليين البريطانيين في شرق بلفاست، إذ لم يكن من الممكن إيقاف جرائم القتل دائماً**»[3].

وأحياناً تكون الجناية في المعرفة، وذلك بحصول استهدافٍ لشخصيات أو أماكنَ معينةٍ دون الإخبار عنها، فمثلًا العميل التابع لجهاز فْرُو والمسمى بـ«براين نيلسون» اتُّهِمَ أنه قد عرفَ أن أحدهم سوف يُستهدَفُ ولم يبلغ «**ففي العام 1989 قُتل فينوكين في منزله أمام زوجته وأولاده الثلاثة الذين اختبؤوا تحت المائدة في غرفة الطعام. ولم يمر وقت طويل حتى ازداد الشك بأن نيلسون كَانَ يعرف عن مخطط قتله، وأنه ساعد في تنفيذه أيضاً**»[4]. أدى موت فونكيك إلى انطلاق سلسلة من التحقيقات الرسمية، ومما خلص إليه القاضي بيتر كوري

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص118).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص118).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص122).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص126).

الذي راجع قضية فينوكين إنها كَانَتْ دلالة «**على أن الجهاز الأمني والفرع الخاص لشرطة أولستر الملكية اعتبرا أن أمن العميل أهم من الحاجة إلى تحذير شخص مستهدف كَانَتْ حياته في خطر**»[1]. ويقصد أنه لو بلَّغ نيلسون لشُك فيه مما جعله يقدم سلامته على سلامة المستهدف.

وقد اتُّهم «ستيكانيف» بمثل هذا وهو معرفته بحصول كمين أو هجوم دون الإبلاغ مما جعله متواطئاً بِشَكلٍ أو بآخر، فقد كَانَتْ لديه «**معرفة مسبقة بوجود خطة لنصب كمينٍ لضابطين كبيرين في شرطة أولستر الملكية وقتلهما على الحدود ولم يفعل شيئاً لإحباط ذلك**»[2].

وبما أن القانون المكتوب على الورق ينص على عدم جواز المشاركة في القتل أو ارتكابه، فهل ارتكاب الجرائم ما دون القتل مسموح به؟ «**بالطبع. حتى إن رجال الشرطة والاستخبارات في أولستر كانوا يستخدمون مصطلحاً للجرائم التي سمحوا بها: مجانيات/ freebies**»[3].

ولكن هذا ليس دقيقًا، فقد تذهب الاستخبارات بعيداً في بعض الحالات كحال فرقة «ميامي شوباند» التي استُهدفت في الحرب الإيرلندية البريطانية وقتل ثلاثة من أفرادها رغم عدم انخراطها في السِّيَاسِيَّة، وبعد أن سعى الناجون في الفرقة لكشف الحقيقة والبحث والتنقيب والسؤال اتضح لهم بعد سنوات أن من استهدفهم كَانَتْ فرق تابعة للاستخبارات البريطانية من أجل إيصال رسالة سِيَاسِيَّة لإيرلندا أن تغلق الحدود مع إيرلندا الشمالية! [4]

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص127).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص119).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص120).

[4] وثائقي: دماء على طريق دبلن: قصة فرقة ميامي، إنتاج نتفلكس.

وكذلك المجنَّدُ «أنطونياديس» الذي جندته بريطانيا في قبرص واستقر لاحقاً في بريطانيا فقد باشر عمله باختراق عصابات المخدرات في بريطانيا، وكان عميلًا محمياً من قبل مؤسسة الجمارك وقد كسب ثقة المهربين والمدمنين، وكان لابد من السماح بمرور بعض شحنات المخدرات والتغاضي عنها من أجل إنجاح تغلغل هذا العميل داخل الصفوف، ولكنه تمادى في وقتٍ لاحقٍ فأصبح «**يتاجر بالمخدرات نفسها، بالإضافة إلى عدة أشياء أخرى. فتماماً مثلما قد يميل الجَاسُوس بين الإرهابيين إلى المشاركة في العمليات لكي يحافظ على مصداقيته ويصمد في صفوفهم، قد يريد الجَاسُوس بين المجرمين إبقاءَ يده في الجريمة**».

وتصدر أنطونياديس قائمةَ أكبرِ عشرة متاجرين في بريطانيا، وقد كَانَ محمياً من قبل مؤسسة الجمارك البريطانية؛ وهذا ما جعله بمأمنٍ عن بقية الوحدات، «**ففي التسعينيات أنشأت الشرطة والجمارك نظام كمبيوتر مشتركاً موضوعاً لدى وكالة الاستخبارات الوطنية لمكافحة الإجرام. وعندما يصبح أحد الأشخاص هدفاً للتحقيق لدى إحدى الوحدات، توضع "علامة" على اسمه في ذلك النظام لمنع بقية الوحدات من مطاردة الهدف نفسه وإفساد التحقيق**»[1]. فكانت هَذِهِ الطريقة لحمايته.

ثُمَّ لما توسعت تجارته إلى الخارج، صدرت مذكرة إنتربول من قبل اليونان تتهمه بالاتجار بالمخدرات، ولما وطأت قدماه ألمانيا تَمَّ اعتقاله بناءً على هَذِهِ المذكرة. هُنَا رمت بريطانيا بكل ثقلها من أجل تخليصه، وبناءً عليه تحركت وزارة الخَارِجِيَّة وأرسلت برقية إلى السفارة البريطانية في ألمانيا تبلغهم بضرورة إخراج «أنطونياديس» فوراً، لأنه مخبر حيوي لدائرة الجمارك وأن عدم الإفراج عنه «**سيمنعُ مواصلةَ عَمَلِيَّةٍ حاليةٍ لمكافحةِ المخدرات... وإن ذلك**

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص157).

سيجعلُ عَمَلِيَّة تجنيد المخبرين صعبةً جداً وسيؤذي جهودنا الجماعية في نهاية المطاف بمكافحة المخدرات»[1].

فعلق مفتش المباحث السابق جون كوليتر قائلًا: «**وصلتني معلومات مفادها أن كبار ضباط الجمارك سافروا إلى ألمانيا لضمان إطلاق سراحه. شعرتُ بالصدمة. لا يمكنني تصديق ما يجري. لقد كَانَ أحد أكبرِ عشرة تجارِ مخدراتٍ في المملكة المتحدة، وكان مشتبهاً فيه بالكثير من جرائم القتل**»[2]. وقد كَانَ كوليتر نفسه مقتنعاً «**بأن بعض المخبرين لم يكونوا يتلقون الحماية فحسب، بل يُسمَح لهم بارتكاب جرائم أيضًا، ومن بينها جرائم القتل**»[3]، ونجح الضغط على ألمانيا وتم إطلاق سراح «أنطونياديس».

عموماً هنالك تشريع عام بحماية المخبر إن ارتكب جريمة وحصل على موافقة من قبل الجهة الأمنِيَّة التي يعمل بها، وإن فعلها دون موافقة فإن القاضي قد يتساعد معه ويصدر حكماً مخففاً «**فالقوانين البريطانية تنص على أنه إذا أراد المُخبرون تجنب المحاكمة فعليهم الحصول على موافقة حاسمة قبل ارتكابهم الجريمة التي عليهم ارتكابها ليحافظوا على تغطيتهم. وإذا اعتُقل مخبر ووجهت إليه تهمة مخالفة القانون ولم يكن قد حصل على موافقة سابقة لنشاطاته، فإن المساعدة التي قدمها المخبر للسلطات يُمْكِنُ أخذها بعين الاعتبار لتخفيف الحكم بعد إدانته فقط: يستطيع القاضي عندها استخدام هَذِهِ الخلفية سراً لإصدارِ حكمٍ مخففٍ**»[4].

واستغلال الحصانة أو الحماية من أجل تنفيذ عمليات القتل ليست حكراً على «أنطونياديس»، فكذلك فعلها قبله رجل العصابات في أمريكا «جايمس وايتي» فقد تبين أنه مخبر لمكتب

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص160-161).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص161).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص156).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص162).

التحقيقات الفيدرالي، «**واستغل وضعه المحمي بتمرير معلومات عن العصابات المنافسة للإفلات من عواقب إحدى عشر جريمة قتل على الأقل**»[1].

فالجهةُ الأمنِيَّةُ عندما تجند المجرمين فمن الطبيعي أن تحصل الجرائم في عملهم السري، مما يجلب الحرج على الجهة التي يعملون بها إن اكتُشِفَ أنهم يعملون لصالحها، فقد كَانَتْ «**الشرطة في معظم البلدان تحتاج أن تدفع للمجرمين النشطين ليكونوا مصادر لها ولديها السلطة القانونية لتفعل ذلك... وكان ذلك جزءاً من محاولاتها الخفية للإطاحة بالرئيس الكوبي فيدل كاسترو، حَيْثُ اتصلت وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة بعدة أعضاء من المافيا الأمريكية. وانكشاف هَذِهِ المسألة ضايق الوكالة لسنوات**»[2].

ولأنها لا تمانع من انضمام المجرمين لها، فقد ضمنت المخابرات الفرنسية لعاصم رغم أنه كَانَ «**متهماً بالاحتيال لسنوات عديدة، بأن يبيع الأشخاص هويات مزيفة لمساعدتهم على دخول البلدان الأوروبية، كما يغشهم بأخذ المال منهم لقاء وعودٍ كاذبةٍ بتهريبهم إلى أوروبا. ويعتقد شركاؤه السابقون أنه أصبح جاسوساً للاستخبارات الفرنسية كوسيلةٍ للتهرب من الاتهامات الجنائية في وطنه**»[3].

والخلاصة هي كما قال الرئيس السابق لمكتب الاتصالات الحكومية في بريطانيا السير دايفد أوماندا: «**يشتمل كل العمل الاستخباراتي على إدارة الخطر الأخلاقي، مثلًا سيكون من الصعب إيجاد مخبرين داخلَ عصابةٍ إرهابيةٍ ليسوا مذنبين بجرائم جنائية أو أيديهم غير ملطخة بالدماء. لذا هُنَاكَ دائماً خطر الاتهام بالتواطؤ بأعمال شريرةٍ**»[4].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص156).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص142-143).

[3] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص255).

[4] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، (ص365).

تبقى كيفية ضبط حدود الهامش الذي يَتِمّ إعطاؤه للمجنَّد من أجل التغطية على اختراقه، مسألةً حسّاسةً وشائكةً، خاصةً أن العدو قد يكون أحياناً جماعةً مفسدةً أو تنظيماً متطرفاً، لا يُمْكِنُ للعميل فيه أن يكتسب ثقة قادته إلا عبر القيام ببعض الأعمال الممنوعةِ شرعاً وقانوناً، سواء كَانَتْ مفسدة تلك الأعمال تعود على نفسه، كالزنا والربا وشرب الخمر وتعاطي المخدرات، أو كَانَتْ تعود مفسدتها على غيره، كالمشاركة في القتل أو الخطف أو التخريب. ومن صلب هَذِهِ المسألة يخرج سؤال آخر تجب الإجابة عنه: متى يُمْكِنُ تشغيل أولئك المتورطين في جرائمَ سابقةٍ؟ وإلى أيّ حدٍّ؟ "وهل يُمْكِنُ أو يَجِبُ إزهاقُ أرواحٍ بريئةٍ من أجل إنقاذ أرواح أخرى؟ هل من المبرر التواطؤ في جريمة أقل شأنا بهدف منع جريمة أكبر؟

يوافق الجميع على أن هُنَاكَ خطّاً يَجِبُ رسمه، ولكنهم اختلفوا بشأن مكان رسمه ومن يَجِبُ عليه فعل ذلك. يلمح كابريولي إلى أن القواعد يَجِبُ أن تكون مرنة: "فالحالة نفسها تفرضُ كيفية توليك لها. الواقعُ على الأرض أكثرُ من مجردِ نظريةٍ. إذ يُمْكِنُ وضع نظريات ومبادئ، ولكنك عندما تتعامل مع الواقع فهو الذي يفرض عليك تصرفاتك". ومع ذلك، كَانَتْ المبادئُ مهمةً. "يَجِبُ أن تكون لديك مبادئ لكي تقول حسناً، حان الوقت لكي نتوقف"

تنصّ القوانين البريطانية على أنه إذا أراد المخبرون تجنب المحاكمة، فعليهم الحصولُ على موافقةٍ حاسمةٍ قبل ارتكابهم الجريمة التي عليهم ارتكابها ليحافظوا على تغطيتهم. ومن دون موافقة كهذه، لن تتوفر لهم أيُّ حمايةٍ من المحاكمة. فلا وجود لترخيصٍ عامٍ لارتكابِ الجرائمِ.

في الولايات المتحدة، يستخدم مكتب التحقيقات الفيدرالي نظاماً مشابهاً ولكنه أكثرُ شفافيةً، يعطي المخبرين أساساً لارتكاب جرائم طفيفة بعد موافقة وزارة العدل. لكن النقطة الرئيسة في البلدين كَانَتْ أن الموافقة تسبق ارتكاب الجرائم. فتشغيل الجواسيس أشبه بدخول منطقة ضبابية، وبالأخص عند التعاطي مع العالم الإجرامي. لذا، يَجِبُ القيام ببعض التسويات، والتفكير ملّياً بالمصالح. لكن القرار بالموافقة على جريمة ما بمنع أخرى لا يَجِبُ

أن يصدرَ من الضباط أو حتى من المسؤولين في الوكالة الذين يشغلون العميل، بل يَجِبُ على موظفٍ رسميٍّ منتخبٍ أو سياسي أن يتقدم بطلبٍ كهذا، وأن يوقعَهُ شخصٌ مستقلٌ، والأفضلُ أن يكون قاضياً، ويَجِبُ أن يتأكد أولاً بأن لديه كل الأدلة، ويتحدث مع الوكالات الأخرى عند الضرورة ليتحقق من نظافة العميل."[1]

وبالنظر في كتب الخبراء والعلماء من المسلمين أو الغربيين، لا نجد خطّاً واضحاً يتفق عليه الجميع، فالمسألة بينهم بين شدٍّ وجذبٍ، بين مُقلٍّ ومستكثر. إلا أن الكل مجمع على ضرورة التمهل وعدم العجلة في هذا الباب، وأن الأعمال من هذا النوع لا ينبغي الخوض فيها إلا بعد موافقة شرعية قانونية من قِبل القضاة، مع موافقة سِيَاسِيَّة من قبل القيادات الراشدة التي تقدرُ عواقب الأمور، وتحسن قياس المفاسد والمصالح. مع ضرورة البحث عن حلول بديلة كتجنيد أولئك الأشخاص المقربين من الهدف (سائقه، صديقه، جاره...الخ) عوضاً عن تجنيد المجرم نفسه.

ولكن تستطيع الحركات الثَّورِيَّة توريط الجهات المجندة عندما تطلب من الشخص المشبوه داخل صفوفها أن يقوم بعمليةِ إعدام موثقه وتنشرها في إصداراتها الرسمية، فحتى لو تبين أن هذا الشخص المشبوه = جاسوسًا، فإن من الصعب على الدول احتضانه بعد انشقاقه وهو متورطٌ بِشَكلٍ موثقٍ وعلني في ارتكاب جرائم حربٍ.

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ – الفصل الرابع: "ثاندر بولت"

ثامناً: تجاوزُ الحدودِ الأخلاقيَّةِ

تَجاوبُ الناس وحبُّهم للعمل مع أجهزة الاستخبارات منوطٌ برُقِيّ أخلاق عناصرها والتزامهم بالقيم الأخلاقية السامية. وإن وجودَ القضيةِ النبيلةِ مهمٌّ جداً لنجاح الحِرفة، كما أنه الفارق الوحيد بين الخيانة والتجسس المشروع.

ورغم التباس الأمور كثيراً في الآونة الأخيرة وتشابكها، فإن الجَاسُوس الذي يخدم دينه وأرضه وشعبه ويدافع عن قِيَمه وقضيته لا يُعَدُّ خائناً في منظورنا، والذي لا يبتغي بعمله نُصرةَ حميةٍ ولا قبليَّةٍ ولا نظمٍ طاغوتيَّةٍ، ولا ينتهك حرمات الأبرياء، ولا يقصد بحرفته استغلال الفقراء والمساكين والضعفاء، يُعَدُّ في عرفنا وشرعنا جندياًّ نبيلاً مجاهداً في سبيل الله. إنه بطلنا المقدام الذي نعتمد عليه وقت الأزمات والمحن لتوجيه الضربات الموجعة ضدَّ الأعداء.

وفي هذا الصدد، وقعت العديد من أجهزة الاستخبارات في تاريخنا المعاصر في أزمات أخلاقية عظيمة، أوقعها بعد ذلك في تناقضات أخلاقية حتى مع قيمها التي تعلنها، وذلك نتيجة استغلال مشاعر البسطاء والمشردين وانتهاك حقوق الإنسان.

وإن كَانَ قد سُمح -في كثير من الأحيان- أو تَمَّ التغاضي -كما سبق وتحدثنا- عن جرائم قتل واختطاف وتهريب مخدرات، فمن باب أولى أن يُسمَحَ للمجند أن يقوم بانتهاك الحدود الأخلاقية أثناء عمله. لذلك تجد مثلًا أن فرقة المظاهرة الخاصة في شرطة لندن (SDS) قد وجدت أنه من المقبول أن يقيم عملاؤها علاقاتٍ حميمةً مع الناشطات البيئيات من أجل التجسس عليهن بل حتى وإن أنجبوا منهن أطفالًا، وقد كشفت صحيفة الغارديان في تحقيق أجرته «**أنه من أصل تسعة رجال شرطة سريين؛ يعتقد أن ثمانية منهم أقاموا علاقة حميمة مع النساء اللواتي كانوا يتجسسون عليهن**»[1].

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص399-400).

فهذه ليست علاقات حب وإنما علاقات تمت مخادعة الفتيات فيها من أجل التجسس عليهن ثُمَّ هجرهن لاحقاً. لكن عندما رفعت عشر نساء دعاوى قضائية على أولئك الضباط الذين قاموا باستغلالهن، زاعماتٍ أنهن تعرضن للخداع، توصل القاضي أنَّ ما يسمى "التجسس الجنسي" لم يكن أمراً غير اعتيادي. وقال قاضٍ في المحكمة العليا: إن أمثلة تبادرت إلى ذهنه عن ذلك الأمر الاعتيادي من عالم الخرافات!! (يقصد بذلك قصة جيمس بوند الخرافية).

يقول ستيفن غر أي مؤلفِ كتاب أسياد الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ: "تُبعِد السِّرِيَّة الذاتية للتجسس أولئك الضالعين فيه عن قواعد المجتمع، فيفتقرون إلى الوسائل الاعتيادية للانضباط الذاتي في الحياة العامة، وبالأخص حكم العامة عليهم.

من أجل وسائلهم وهويات مصادرهم، يبقى قادة شبكات التجسس في عُزلةٍ داخل نادٍ خاصٍ نوعاً ما، وفي بيئة منعزلة يُمْكِنُ أن تودي بهم إلى سلوكٍ ضالٍ إذا لم يَتِمَّ توفير عناية خاصة بهم. وبإمكان الافتراضات الأساسية ضمن هذا النادي أن تبقى من دون تشكيك، مثلما هو حال صدقية تقارير عملائهم. ويبدوا أنه إذا بقيت نشاطاتهم سرية، فإن الأشخاص العاديين والمحترمين عادةً سيفعلون أشياء غير منطقية وغير لائقة. أو على حد التعبير الفج لضابط في الاستخبارات البريطانية: "**وكالات الاستخبارات التي تمارس نشاطاتها من دون تدقيق خَارِجِيّ صارم ستسيئ التصرف في نهاية المطاف بكل تأكيدٍ**".

تجلى مثالٌ عن هذا السلوك الضال في الـCIA بعد هجمات 11 سبتمبر. فربما حصلوا على موافقة من الرئيس وعكسوا بالفعل المزاج الانتقامي للرأي العام، لكنهم في تأييدهم التعذيب المنهجي واعتمادهم أماكن احتجاز سرية، ابتعدوا كثيراً عن قيم مجتمعهم، أو حتى عن القانون.

هذا ما جعل ستيفن يُعَقِّبُ بعد ذلك «**عندما كُشفت عمليات الترحيل المذهلة التي قامت بها الـ CIA، وسجونها السِّرِيَّة، وتعذيبها القاسي خاصةً للسجناء العرب بِشَكلٍ رئيس، أي مواطنٍ عربي سيرغب حقاً في أن يخون أسرار بلده لصالح مؤسسة كهذه؟ ومثلما أشار السير ريتشارد ديرلوف، الرئيس السابق لوكالة التجسس البريطانية، في خطاب له ألقاه في يوليو**

2006، إن أحد الأسباب التي جعلت الأجهزة الاستخبارية تجذب عملاء لها من بلدان أخرى، هو "أن الغرب كَانَ في نهاية الحرب الباردة يمثل صورة الأخلاقيات العالية بِشَكلٍ لا لبس فيه". وتابع قائلا: "لسنا بهذه الصورة في الوقت الحاضر.»[1]

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، فصل "الجَاسُوس الجيد"

تاسعا: إهمالُ التفكيرِ الإستراتيجيِّ

ليس بالإمكان أبداً تدمير الطرف الآخر بالوسائل الحربية فقط، بل إن النصر الحقيقي يحدث بالتعرف على العدو واستئصال دوافعه التي تمكّنه من مواصلة القتال والمقاومة. لذا، فالنظرة البعيدة والقدرة التحليلية تعدُّ من أهم عوامل قوة أجهزة الاستخبارات، وهو ما يمكّنُها من وضع الأسس السليمة لمواجهة العدو وتدميره في أقصر مدةٍ زمنيةٍ ممكنةٍ، ويعصمها من الوقوع في استنزاف طويلٍ قد يضرُّ باقتصاد البلد واستقراره.

إن التهاءَ المجنّدين بتجنيد منفذّي الأهداف التكتيكية دون أولئك الذين يوفّرون أهدافاً إستِرَاتِجِيَّةً بعيدةَ المدى، قد يوقع أجهزة الاستخبارات في الجمود، ويدخلها في حلقة مفرغة من الاستنزاف. خاصة أن قتال أصحاب الأيدولوجيات لا يكون بالحرب وحده بقدر ما يكون بالفكر أيضاً، وفضّ الناس عن المقاتلين الدينين المتطرفين لا يكون إلا بتقديم نموذج ديني -حقيقي وليس مزيف- يلتف الجمهور حوله، ويُمكن التفاهم معه.

انتقدَ كثيرٌ من المفكرين الغربيين أسلوب تعامل السي آي أي مع القضية الجهادية، واعتبر تركيزها على الاغتيالات المكثفة بالطائرة دون طيار وتحقيقها الهمجي مع السجناء جزءاً من المشكلة لا طريقةً للحل. بل عدّها الكثيرُ سبباً في ظهور القلاقل في الشرق الأوسط وتوسع الفكر الثَّورِيّ بين المسلمين.

الاهتمام بالتكتيك وإهمالُ الإستِرَاتيجيَّةِ يتمثلُ في الحصول على مصلحة آنية مقابل فوات مصلحة أكبر في المستقبل، ومن صور هذا الخطأ ما حصل في ألمانيا عندما بعثت مخابرات ألمانيا الشرقية الزوجين الجاسوسين "آل غيوم" سنة 1956 للتغلغل في قيادة ألمانيا الغربية. انضم الاثنان إلى الحزب الديمقراطي الاجتماعي الذي كَانَ فيه مستشار ألمانيا الغربية فيما بعد برانت، وأصبحت كريستل سكرتيرةً في مركزه الرئيس المحلي.

وفي العام 1969 بعد نجاح غيّوم في إدارة الحملة الانتخابية لوزير محلي، وبعد انتخاب ويلي برانت كأول مستشار للحزب الديمقراطي الاجتماعي في ألمانيا الغربية، سأل غيوم هذا الأخير عما إذا كَانَ هنالك منصبٌ له في دار المستشارية. وبعدها ترقى ليصبح أكثر معاونٍ يثق به برانت، وواحداً من القلة الذين يرافقون هذا الأخير وعائلته في الإجازات، وبحلول مايو 1973 بدأ قسم مكافحة التجسس في ألمانيا الغربية يشك في أن آل غيوم جواسيس لاستخبارات ألمانية الشرقية، وفي مارس 1974 تَمَّ اعتقال الزوجان للاشتباه بهما بتهمة التجسس.

الفضيحة السِّيَاسِيَّة التي نتجت عن هذا الاكتشاف هددت بسقوط الحكومة الائتلافية للحزب الديمقراطي الاجتماعي. فكاتم سر المستشار اتضح أنه جاسوس؛ استقال برانت لينقذ الحكومة، ولكن ليس نفسه.

كيف أثرت هَذِهِ الاستقالة على مصلحة ألمانيا الشرقية على المستوى البعيد؟ «**كَانَ برانت مهندس سياسة التقارب بين الشرق والغرب التي كَانَتْ مصلحة ألمانيا الشرقية**». بمعنى لو لم يدمر هؤلاء الجواسيس مستقبل هذا الرجل لكان هذا في مصلحة بلادهم، وقد أقر لاحقاً رئيس استخبارات ألمانيا الشرقية ماركوس وولف إن العَمَلِيَّة: «**ساعدت عن غير قصد بتدمير مستقبل أكثر رجل دولة ثاقب النظر في ألمانيا حالياً**»[1].

يرى الخبير ستيفن غراي أن «**العائق أمام العمليات الناجحة هو أن العديد منها ذات هدف قصير الأجل، وذات مدى تكتيكي، ومصمّمة دائماً لتخفيف الأخطار. تستطيع أجهزة الاستخبارات التدخل لعرقلة مؤامرة أو خطة، ولكنها نادراً ما يكون لديها الوقت الكافي لتطوير فهم شامل للهدف.**»[2] وفي محاربتهم للقاعدة وبعض الحركات المجاهدة الأخرى،

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص88-89).

[2] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُد، (ص396).

أصبحت الدول الغربية عبارة عن مكون واحد في بوليس سري عالمي مكرّس للقبض على الأعداء أو التخلص منهم، لكن رغم نجاحهم في إيقاف هجوم محتمل تلو الآخر، إلا أنهم لا يفعلون شيئا يذكر لمنع تكرر تلك الهجمات، أو لوضع حد لحرب الاستنزاف هَذِهِ.

ما تحتاج إليه الأجهزة الاستخبارية فعلاً هو معرفة رؤى القوى الأخرى، ونوايا الأشخاص والجماعات الفعالين والمؤثرين، سواء أكانوا داخل الحكومات أو خارجها. ففي النهاية، يكذِبُ السياسيون وكبار قادة الأعمال إلى ما لا نهاية بشأن نواياهم. وقد لا يكون مطلوباً من الجَاسُوس أن يكشف ذلك، ولكن معرفته للنوايا الحقيقية يُعَدُّ أمراً في غاية الأهمية لاتخاذ القرار فيما بعد، وتحديدا إذاً كَانَ ذلك القائد كتوماً جداً، وكذلك قوياً وخطيراً.

قد يزود الجواسيس مشغليهم برؤى تكتيكيةٍ فقط (على عكس الرؤى الإستراتيجية) أحياناً، بمعنى أنها ستكون قيّمةً فقط في سياق معركة قصيرة الأجل. مثلاً، يستطيع الجَاسُوس إبلاغ مشغله بالمكان الذي ينوي العدو إرسال مدرّعاته إليه، أو قد يكشف مكان معسكر تدريب له، أو مؤامرةَ تفجيرٍ محددةٍ في مدينة ما، أو خطة لضرب عملةِ البلاد. قد تكون معلوماتٌ كهذه مفيدةً، وقد تنقذ أرواحاً كثيرة، أو قد تحمي أرزاق الملايين عندما تتعلق المسألة بكشف أسرار اقتصادية.

«لكن كثيراً ما تَتِمُّ المبالغةُ بالطابع التكتيكي للأمور. فبعد تفحصٍ دقيقٍ على مدار الساعة من قبل وسائل الإعلام، أصيب القادة السياسيون للقرن الحادي والعشرين بنوعٍ من جنون العظمة، حَيْثُ أغوتهم الاتصالات الفَعَّالَة، والقدرة على استعراض قوتهم على مسافات بعيدةٍ -من خلال الصواريخ أو الطائرات بدون طيار أو القوات الخاصة مثلًا- وأصبح بإمكانهم المغالاة في تقدير قدرتهم في التأثير على مجريات الأحداث في أماكنَ بعيدةٍ. وبشكلٍ مشابهٍ بالنظرِ إلى منطقةٍ جغرافيةٍ واسعةٍ من خلال قشة شرب، يستطيع الرئيس الأمريكي

متابعة الأحداث في مجمع أسامة بن لادن في باكستان من حَيْثُ يجلس في غرفته، لكن ذلك يَتِمّ على حساب تجاهل كل شيء آخر يجري على نطاق أوسع.»[1]

لذا، إن أكبر وأهم سر يستحقُ جهودَ الجَاسُوس، قد لا يكون الخطة أو التفاصيل المحددة، بل هو نظرةٌ أوسعَ تعبر عن فهم العدو ودوافعه. ومثلما لخص أحد رجال الاستخبارات البريطانية الأكثرُ خبرة المسألة: "**الفهم الذي يغلف النية هو كل شيء**". ويروي الذين تعاملوا مع أشهر جاسوس لبريطانيا ضد الروس، أوليغ غورديِيفسكي، أن أكبر قيمةٍ له كَانَتْ في مساعدة مارغريت تاتشر على فهم النوايا المسالمة لأخِرِ قائدٍ سوفياتي ميخائيل غورباتشوف. وكانت خيانة غورديِيفسكي-لو اكتشفت- ستؤدي إلى إعدامه بكل تأكيد، لكن نشاطاته ساعدت قائد بلده في نهاية المطاف".[2]

بذلت وكالات الاستخبارات البشرية في العراق وأفغانستان جهوداً كبيرة جداً أحياناً لمحاولة تجنيد عملاءَ أوفياءَ يتقاضون رواتبهم بالكامل، في حين أنه كَانَ من الأفضل رُبَمَا بذل تلك الجهود للحصول على مصدر معلومات استخباراتية ذي مستوى أعلى يستطيع التزويد برؤى أكثر شمولية؛ ولو كَانَ غيرَ راغبٍ في أن يجتازَ الخط ويخون قضيته.

قال مسؤول استخباراتي عن أفغانستان: "**لم تكن مهمتنا فهمَ العدو، بل التغلبَ عليه**". وقد كَانَ محقا في ذلك. لكن على حد تعبير دبلوماسي آخر على قدم المساواة من حَيْثُ أهمية المنصب، رُبَمَا أعطى السياسيون قادة شبكات التجسس المهمة الخطأ. ففي حربٍ تخاضُ بين السكان، ومن دون "أشخاص أخيار" واضحين، يصبح اكتشاف العدو وفهمه أمراً مهماً بِشَكلٍ مماثلٍ. وأضاف الدبلوماسي

---

[1] أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ – الفصل الثاني عشر: "الجَاسُوس الجيد"

[2] نفس المصدر.

قائلا: "وماذا لو لم يكن بإمكاننا الفوز؟ ماذا لو لم يكن بإمكاننا أن نهزم العدو؟ عندها سيصبح من المهم جداً امتلاكُ فهمٍ حقيقي له، وامتلاكُ اتصالات في قلب قيادته".[1]

[1] نفس المصدر.

الفصل الخامس: التَّجْنِيدُ الاِسْتِخْبَارِي في الحربِ الثَّورِيَّةِ

"إن حرب العصابات، بالمعنى الواسع الذي نطلقه عليها، هي حربٌ ثوريةٌ، تجندُ سكاناً مدنيين أو على الأقل جزءاً من السكان، ضد القوى العَسْكَرِيَّة للسلطة الحكومية، القائمةُ شرعياً أو المغتصبةُ" (روبرت تابر/حرب المستضعفين)

قمنا في الأبواب السابقة بتعريف التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ بِشَكلٍ عام، ودوافعه والمخاطر التي قد تترتب عنه. ورغم ربطنا لمعظم المفاهيم في الأبواب السابقة بالحرب الثَّورِيَّة، ورغم تطرقنا فيها إلى نماذجَ واقعيةٍ من التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في الواقع الثَّورِيّ، إلا أننا لم نخصص باباً يتحدث عن تطور هذا التَّجْنِيد مع انطلاق الحرب وحتى انتهائها، إذ فضلنا أولاً أن نوضح للقارئ جميع المعلومات والأدبيات اللازمة للإحاطة بعمليةِ التَّجْنِيدِ الاِسْتِخْبَارِيّ بِشَكلٍ عامٍ، دون أن نربط فيما بينها ضمنَ التَّجْنِيد في الحرب الثَّورِيَّة، وهو ما دفعنا إلى كتابة هذا الفصل، الذي سنحاولُ خلاله جمعَ كل الأدبيات السابقة وتنظيمَها في تسلسلٍ مترابطٍ؛ لنوضح عن طريقه كيف تستخدمُ الحروبُ الثَّورِيَّةُ مفاهيمَ التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ منذ انطلاق الثَّورَة المسلحة وحتى انتهائها.

الحرب الثَّورِيَّة:[1] **هي صراعٌ مسلحٌ بين طرفٍ نظاميٍّ وآخرَ غير نظامي**، بحَيْثُ يهدِفُ كل طرفٍ للسيطرةِ على السكان والموارد. وغالباً ما تناضلُ معظم المجموعاتِ الثَّورِيَّة لتحقيقِ بعض الأهداف العامة من أجل تقويضِ شرعيةِ الحكومةِ المَحَلِيَّة أو الاستِعمَارِيَّة، ولدعمِ مكانتِها الخاصة عند السكان. فيسعى الثُّوَّارُ للتالي:

---

[1] نريد أن ننبه القارئ أنه رغم الخلافِ الحاصل بين الأكاديميين حول الفرق بين معاني: الثَّورَة المسلحة والحرب الثَّورِيَّة وحرب العصابات والتمرد، إلا أننا لا نفرقُ بينها في هذا البحث، وهذه المصطلحات عندنا في هذا الكتاب على معنى واحد.

1. إضعافِ قدرة الحكومة المَحَلِيَّة أو الاستِعمَارِيَّة وإزاحتِها عبر تقديمِ خدماتٍ وحكومةٍ بديلةٍ للسكان، أو قد تكتفي بإظهارها مظهر العاجز.

2. الحصول على الدعمِ الشعبي من خلال تسويقِ رسالةٍ سِيَاسِيَّة تنطلق من مطالب الناس الحياتية.

3. إسقاطِ شرعية الحكومة المَحَلِيَّة أو الاستِعمَارِيَّة من خلال التركيزِ على فسادها وظلمِها ونقاطِ الضعف فيها للحدِّ من الدعم الدولي الموجه لها، ومحاولةِ الحصول إن أمكن على اعترافٍ دولي أو مساعدة دولية للثوار.

فالثورة المسلحةُ -مبدئياً- هي تنافسٌ سياسيٌ على الشرعية، ولكن لا يظهر للمراقبين إلا من خلال الجانبِ العنيف من الصراعِ لأن الطرقَ السلمية قد تَمَّ استنفادُها دون أن تعودَ بأي حلولٍ حَقِيْقِيَّةٍ. وتتسم الحربُ الثَّورِيَّة بـ:

1. نشوبِ الصراع بين دولةٍ وجيشٍ نظامي ومجموعاتٍ شعبيةٍ غير نظامية.
2. قلةِ المعارك الجبهويةِ في المراحل الأولى وكثرةِ العمليات النوعية المستمرة التي تعتمدُ بِشَكلٍ كبيرٍ على خفة الحركة، كما تميزُ بتكتيكاتِ حربِ العصابات التي تشمل الإغاراتِ والكمائن والاغتيالات...إلخ.
3. الاعتمادِ على الإستراتيجيات طويلةِ الأجل التي تدومُ لأكثر من عقد من الزمان، والتي تشكل كلَّ الجوانب الحياتية (الاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والأمنيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ).
4. يكون الفارقُ في الحرب الثَّورِيَّة بين المدنيين والثوارِ ضبابياً، ممَّا يتسبَّب غالباً في زيادة حجم الخسائرِ بين المدنيين بسببِ السياسات العنيفةِ التي تمارسُها الحكومة المَحَلِيَّة أو الاستِعمَارِيَّة."[1]

[1] الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين، موسوعة أنواع الحروب.

ولأن الحرب الثَّورِيَّة تتسم بالتغير الدائم وعدم الاستقرار، فالتجنيد الاِسْتِخْبَارِيّ فيها لا يستقر على نمطٍ واحدٍ دائمٍ، رغمَ التزامه بمعظم المبادئ والعوامل الإستِرَاتيجيَّة التي سبق ذكرها في الفصول السابقة. لذلك، ولمزيد من الإيضاح والتفصيل لمفهوم التَّجْنِيد من المنظور الثَّورِيّ، سنقوم بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين أساسيين:

- **المبحث الأول: تحديدُ المراحلِ التي تمرُ بها الحربُ الثَّورِيَّة عادةً.**
- **المبحث الثاني: تطور التَّجْنِيدِ الاِسْتِخْبَارِيّ في هَذِهِ المراحلِ.**

المبحث الأول: مراحلُ الحربِ الثَّورِيَّةِ[1]

يتفقُ أغلبُ من كتبَ في هذا العلم أنَّ الحرب الثَّورِيَّة ليست دائماً على طابعٍ واحدٍ، وقد قسمَها ماو إلى ثلاثةِ مراحلَ زمنيةٍ متباينةٍ، لكلِّ واحدةٍ منها ما يميزُها من التكتيكات والإستراتيجيات؛ ففي **المرحلة الأولى "الدفاع الإستراتيجي"**، عندما تكون قواتُ العدو تمتعُ بتفوقٍ كبير في الأعداد والقوة العَسْكَرِيَّة، يَجِبُ على الثُّوَار التّركيزُ على بناء رؤيتِهم وأجهزتهم السِّيَاسِيَّة، وتأمين الدَّعم من القوى الخَارِجِيَّة، وترتيبُ هيكليتهم القيادية، وتدريبُ مجموعة من المجندين سيمثلون فيما بعد القاعدةَ الصلبة للانطلاق.

وفي **المرحلة الثانية، التي أطلق عليها ماو "التعادل (التوازن) الإستراتيجي"**، يَجِبُ أن ينتقلَ الثُّوَارُ إلى إستِرَاتِيجِيَّة حربِ العصابات، مع التَّركيز على هجمات الكرِّ والفر. وكما كتب ماو: "سوف نتخذ في هَذِهِ المرحلةِ حرب العصابات كشكلٍ رَئِيسِيّ للقتال، ونكمّلها بالحرب المتحركة... وهذه المرحلة سوفَ تحدَّد مدَّتها تبعاً لما يُمْكِنُ أنْ يحدث من تغيُّرات في نِسَبِ القوى بين العدو وبيننا، وفي الوضع العالمي." أما في **المرحلة الثالثة "الحسمُ الإستراتيجي"**، فينبغي على الثُّوَار التركيزُ على العمليات الهجوميةِ والتقليدية مع زيادةِ قوتهِم العَسْكَرِيَّة.[2]

ولكن بالعودة إلى العديد من المراجع العلمية حول هذا الصدد، يُمْكِنُ القولُ أن الحرب الثَّورِيَّة تتضمن أكثر من ثلاثِ مراحلَ: فهناك **المرحلةُ الأولى التحضيرية**، وهي التي ينتظر فيها الثُّوَار تحققَ النضوج الثَّورِيّ،[3] ويستثمرونَها لفضح الحكومة الفاسدة أو الدكتاتورية وإعداد

---

[1] انظر مركز الخطابي، كتاب الخطابي ملهم الثورات المسلحة، طبعة أولى، ص 142.

[2] ماوتسي تونغ: ست مقالات عَسْكَرِيَّة، من مقالته حول الحرب طويلة الأمد.

[3] يتحقق النضج الثَّورِيّ عندما تصل الشعوب إلى مرحلة تقتنع فيها بضرورة تغيير السلطة القائمة، لما ترسخ في أذهان الناس من صورة سلبية عنها، بسبب قمعها للحريات، وفسادها الأخلاقي، ونهبها لثروات الشعب. عادة ما تكون الشعوب أول عهدها تحسن الظن بالحكومات المَحَلِّيَّة أو الاستعمَارِيَّة، خاصة إن كَانَتْ هَذِهِ الحكومات تستخدمُ دعايةً كبيرةً لإخفاءِ حقيقةِ سياستها الدكتاتوريةِ، أو كَانَتْ تقدم للشعب إصلاحات

قاعدة الانطلاق، أما **الثانية فهي مرحلةُ الانفجارِ الثَّورِيّ** والمعارضة السلمية، وفيها يحدث أمر ما يؤثّر في الجماهيرِ -قد يكون جريمةً تمارسُها الحكومةُ أو القوات الأجنبية- فينطلقُ الثُّوَارُ في نشاطهم السلمي، ويُنظِّمون خلالها العديد من المسيرات والمظاهرات والإضرابات الحاشدة التي تنادي الحكومة بضرورةِ التغيير الجذري.



الشكل (7): نموذجٌ عن المراحلِ الزمنيةِ التي تمرُ بها الثَّورَةُ المسلحةُ[1]

ومع رفضِ الحكومة لكل هَذِهِ المطالب أو بعضها، ينتقل الثُّوَار مع الكتل الشعبيةِ التي تتأثر بهم إلى **المرحلة الثالثة، وهي "الصدام السري المسلح"**، وفيها يبدأُ الثُّوَارُ بتنفيذِ عمليات الإغارة

اقتصادية ضخمة. وهذا ما قد يجعل انتقال الشعب من مرحلة الاقتناع بشرعية الحكومة إلى مرحلة الاقتناع بضرورة إسقاطها أمراً صعباً للغاية ومستهلكاً للوقت، ويحتاجُ جهداً دعائياً كبيراً من قبل المؤسسات الثَّورِيَّة، الإعلامية والسِّيَاسِيَّة.

[1] من المهم أن نذكر القارئ أن تطبيق هَذِهِ المراحل في الثورات المسلحة لا يُعَدُّ أمراً حتمياً، فقد تتوفر بعض العوامل والظروف، التي تعجل بسقوط الحكومة قبل المرحلة النظامية أحياناً ، كما حدث مع كاسترو في كوبا. وقد تتوفر أيضاً بعض الظروف الأخرى التي تجعل الثُّوَار يتوقفون في المرحلة الثانية أو الثالثة، ويقبلون بحل وسطٍ كما حدث في إيرلندا وقبرص.

والكمائنِ والاغتيالات ضدَّ المراكز والحواجز والأرتال الحكومية في المناطق النائية والمدن الكبرى، ويبدؤون بتخريبِ البنية التحتية التي تعتمدُ عليها القوات الحكومية.

ثُمَّ مع الوقت تجدُ القوات الحكومية أو الاستِعمَارِيَّة نفسَها مجبرة على الانسحاب من المناطق النائية والريفية، لتقوم بتأمينِ المراكز والمدن والطرق الرَّئِيسِيَّة. ومع انسحابِها من تلك المناطق، ومع ظهورِ المناطق المحررة، تبدأ **المرحلةُ الرابعة، وهي "مرحلة الصدام المسلح الجبهوي"**، أو ما يسميه ماو مرحلةَ التوازن الإستراتيجي.

الجدير بالذكر أن تسميتنا لهذه المرحلة بمرحلة الصدام الجبهوي، لا يعني أن الثُّوَّار ينتقلون فيها إلى شن هجوماتٍ نظاميةٍ كالتي تقوم بها الجيوش. في الحقيقة حتى في هَذِهِ المرحلة يحافظ الثُّوَّار على استخدام الهجوماتِ والدفاعات النوعية كما سيتضح معنا في المبحث الثاني.

وبعد زمنٍ طويلٍ على هَذِهِ الحال، تصلُ الحكومة إلى مرحلةٍ متقدمة من الضعف ولم يكن قد بقيَ معها غيرُ بعضِ المدن الرَّئِيسِيَّة، التي تكون أحياناً قد دخلت مسبقاً في حصارٍ من قبل الثُّوَّار. هُنَا يقرِّر الثُّوَّار الدخولَ **في المرحلة الخامسة، وهي "مرحلةُ الحسم النظامي"**، أو ما يسميها ماو "الحسم الإستراتيجي"، وفيها يشكلُ الثُّوَّار جيوشَهم وأسلحتَهم كما تفعلُ الجيوشُ النظامية، ويبدؤون بشنِّ معاركِ اجتياحٍ شاملٍ ضدَّ المراكز التي بقيت بيدِ الحكومة، محررين واحدةًد تلو الأخرى وصولاً إلى العاصمة. وفي هَذِهِ المرحلة يقول عبد الحارث ناسوتيون[1]- المفكِّر والجنرال الإندونيسي المرموق - إنَّ "النَّصر النِّهائي يَجِبُ أنْ يتحقق على يد جيشٍ نظاميٍ

[1] عبد الحارث ناسوتيون هو قائدٌ عسكري إندونيسي، ولد عام 1919م، ودرس في الأكاديمية العَسْكَرِيَّة الملكية الهولندية وأصبح ضابطاً في جيش الهند الشرقية الهولندية عام 1941م، واشترك في الثَّورَة المسلحة ضد قوات الاستعمار الهولندية. تولّى رئاسة أركان الجيش الإندونيسي بعد نيل إندونيسيا الاستقلال عام 1949م. توفي عام 2000م.

في حرب تقليدية، لأنَّ مثل هذا الجيش فقط هو الذي يستطيعُ إخضاعَ العدو وشنَّ الهجوم عليه".[1]

[1] Abdul Haris Nasution, Fundamentals of Guerrilla Warfare (New York: Praeger, 1965), p. 17.

المبحث الثاني: تطورُ التَّجْنِيدِ الاِسْتِخْبَارِيِّ في الحربِ الثَّورِيَّةِ

يُمْكِنُ القولُ إن الحالة النهائية التي سيكون عليها التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في الحرب الثَّورِيَّة هي الحالة التي تكون فيها حكومة العدو قد سقطت وقامت بدلاً عنها حكومة الثُّوَار، وهنا من الطبيعي أن يكون قد أصبح للثوار أجهزةٌ استخباريةٌ وأمنيةٌ كالتي توجد الآن في الدول، وبالتالي فإن التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ فيها سيكون منضبطاً بنفس القواعد والقوانيين والمناهج المعتمدة في الدول الممكنة.

1. **التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في المرحلة الأولى "التحضير لقاعدة الانطلاق":**

تكون المجموعات الثَّورِيَّة في هَذِهِ المرحلة لم تنطلق بعد في العمليات العَسْكَرِيَّة، بل يقتصر جهدها على تجهيز كوادرها وتدريبهم وإقامة العلاقات اللازمة للحصول على الدعم وممارسة الأعمال الدعائية والسِّيَاسِيَّة لتسويق المشروع الثَّورِيّ وصناعة النضوج الثَّورِيّ في صفوف الطبقات الشعبية. وبالتالي في هَذِهِ المرحلة؛ **لا تعملُ الجماعةُ الثَّورِيَّةُ على تجنيد الأفراد بقدر ما تعملُ على حشد الشعب دعائياً باستخدام نفس دوافع تجنيد الأفراد.**

بعبارة أخرى يتعين على الحركة الثَّورِيَّة في مرحلة التحضير هَذِهِ أن يؤلبوا الشعب ضد الحكومة باستخدام **دافع القومية** مثلاً، وذلك لحشد السكان خاصة عندما تكون السلطة القائمة احتلالاً أجنبياً، أو تكون الحكومة واضحة التبعية لجهات خارجية، كما في الحالة الأفغانية مثلاً في عهد الاحتلال الأمريكي. ويمكن استخدام هذا الدفاع أيضاً عندما تكون الطائفة الحاكمة تمثل عرقية مختلفة عن تلك التي تنتمي إليها المعارضة، كما في حالة الصراع الكردي التركي في سوريا.

تعدُّ **المعتقدات الدينية** أيضاً من الدوافع الأساسية التي يَتِمُّ حشدُ السكان من خلالها لمصادمة الأنظمة الدكتاتورية، حَيْثُ أن الحكام في العالم الإسلَامِيّ الآن مخالفون لأصول الشريعة وفروعها، فمن جهة الدستور في الدول القائمة الآن في العالم الإسلَامِيّ فإنه يُحِلُّ الحرامَ ويُحَرِّمُ

الحلالَ ويعزز العصبيات الجاهلية المتمثلة في الوطنيات ويصدُّ عن سبيل الله، ومن جهة ممارسات الحكام فإنهم منحلون أخلاقياً وفاسدون وفاسقون بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فلا هم أقاموا الإسلام في الدولة ولا في أنفسهم.

إضافةً إلى ذلك، تشهَدُ شعوبنا المسلمة في هَذِهِ الحقبة الزمنية أبشعَ أنواع الاضطهاد، حَيْثُ تعاني بسبب السِّيَاسَة القمعية للحكام من الخطف والإخفاء القسري والتعذيب الجسدي والنفسي واغتصاب الأعراض وإهانة الكرامة والتمييز العنصري والقتل الممنهج والتجويع والتهجير...إلخ وكل هَذِهِ الإجراءاتِ الظالمةِ تولّدُ لدى السكان والشعوب **رغبةً في الثأر والانتقام** وليس على الحركة الثَّورِيَّة إلا تميتها واستثمارها.

2. التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في المرحلة الثانية "الحراك السلمي":

تخلو هَذِهِ المرحلة أيضاً من أي عملياتٍ عَسْكَرِيَّةٍ، فالنشاط الثَّورِيّ فيها سياسي وإعلامي بامتياز، والعمليات الثَّورِيَّة فيها لا تخرج عن الطابع السلمي، حَيْثُ تشمل التكتيكات المستخدمة في هَذِهِ المرحلة مجموعةً واسعةً من النشاطات "اللاعنفية" مثل: المظاهرات والاعتصامات والاضطرابات والشعارات والبيانات الشعبية والمؤتمرات...إلخ. لكن لا يعني هذا أن الثُّوَار لا يحتاجون إلى التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في هَذِهِ المرحلة، بل هم أحوجُ فيها إلى تنظيم عَمَلِيَّة التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ ومراقبتها.

تنطلق الحركة الثَّورِيَّة في هَذِهِ المرحلةِ من نفس دوافع التَّجْنِيد التي تَمَّ ذكرها سابقاً، ولكنها الآن تبدأ في استهداف الأفراد بهدف تجنيدهم في الحراك السلمي الذي بدأ بتعطيل النظام وإسقاط الحكومة. لذلك فقد يَتِمُّ دراسة الأهداف وتحديد ميولاتهم بِشَكلٍ مسبقٍ بهدف تجنيدهم، ولا نتحدثُ هُنَا عن تجنيد جميع عناصر الحراك السلمي، وإنما فقط تجنيدُ اللجان التي ستشرف على هذا الحراك وستكون مسؤولة عنه في كل منطقة بعينها. لذا ففي هَذِهِ المرحلة لا بد من تطبيقَ مراحلِ التَّجْنِيد التي سبق ذكرها بقدر المستطاع، بداية بجمع المعلومات عن

الهدف، مروراً بإقامة العلاقة معه، وصولاً إلى تدريبه وتأهيله في فنون الأمن الشخصي وأساليب الحراك السلمي.

لكتنا لا بد من التحذير هُنَا من بعض مخاطر التَّجْنِيد، التي يُعَدُّ أهمها اختراق صف الثُّوَار من قبل الحكومة، وذلك من أجل حرف مسار الثَّورَة نحو التنازل عن التغيير الجذري أو نحو التسلح والعنف في الوقت غير المناسب.

> **"يُعتَبَرُ الانضباط السلمي (عدم استخدام العنف) أمراً بغاية الأهمية، حَيْثُ سترتد ممارسات النظام الحاكم الوحشية ضد الأشخاص الذين يمارسون النضال السلمي عليه، وستؤدي إلى تنازع في صفوفه، وإلى حصول المقاومين على دعم كبير من الناس عامة، والذين هم عادة مؤيدون للنظام، وإلى حصول المقاومين على دعم من أطراف أخرى."[1]**
>
> **(جين شارب)**

3. التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ في المراحل المسلحة:

مع استمرار القمع والاضطهاد من قبل الحكومة، وفشل الاحتجاجات في تفكيك النظام القديم وإسقاطه، تصبح القناعة الرائجة بين أفراد الشعب أن العمل السلمي لن يوصلهم إلى تحقيق مطالبهم الثَّورِيَّة. وهنا يَجِبُ إلا ينقلب هذا الشعور إلى يأس وإحباطٍ يقودُ النَاسَ نحو إيقاف الثَّورَة، بل على العكس تماماً، يَجِبُ على النخب الثَّورِيَّة أن تقود هذا الشعب إلى مرحلةٍ جديدةٍ من الحراك الثَّورِيّ، وهو الحراك المسلح، فما لم يؤخذ بالسلام يؤخذ بالعنف، والحقوق التي لا تسترد بالاحتجاج يَجِبُ أن تنتزع انتزاعاً بالسلاح.

---

[1] جين شارب، من الدكتاتورية إلى الديمقراطية إطار تصوري للتحرر، ترجمة خالد دار عمر، ص 31

هُنَا ينتقل الثُّوَار إلى مرحلةٍ متطورةٍ من التَّجْنِيد الاِسْتِخْبَارِيّ، حَيْثُ يُنْشَأُ جهازٌ مختصٌ لتجنيد الأفراد في الحرب، ويكون الهدف من تجنيدهم بِشَكلٍ أَسَاسِيّ هو تنفيذ الأعمال العَسْكَرِيَّة التي تكون على شكل اغتيالات أو تخريب أو كمائن أو إغارات...إلخ.

وفي هَذِهِ المرحلة يصبح للثوار جهازٌ أمنيٌّ منظمٌ يعتمدُ إجراءاتٍ دقيقةً للتَّجْنِيد، تبدأ من دراسة وافية عن المنتسبين، ثُمَّ برامج تدريب قاسية حول فنون العمل الأمني وتكتيكات الحرب، ثُمَّ رقابة صارمة أثناء العمل بهدف منع الاختراقات وتلافي المخاطر. ومع ظهور المناطق المحررة يصبحُ من صلاحياتِ هذا الجهاز التَّجْنِيدُ داخل مناطق العدو والتجنيد في مناطق إدارة الثُّوَار، ثُمَّ مع سقوط النظام القديم سيصبح هذا الجهاز شبيهاً جداً بأجهزة الاستخبارات في الدول القائمة الآن.

الخاتمة:



الشكل (): التَّجْنِيدُ الاِسْتِخْبَارِيُّ: دوافعُه ومراحلُه والمخاطرُ المترتبةُ عليهِ.

كَانَ هذا عرضاً سريعاً لجملة من الأهداف والدوافع والمراحل والمخاطر التي تتعلق بالتجنيد، وقد ترى أن بعضها متداخلٌ تداخلاً لا انفكاك منه، فقد لا يكون هنالك دافعٌ واحدٌ جعلَ الشخصَ يصبحُ عميلًا، بل عدة دوافع ولكن لابد أن أحدهم هو الطاغي والمؤثر على غيره.

وزد إلى ذلك أن هنالك دوافعُ لم نذكرها، مثل أن أحدهم أصبح جاسوساً لأنه يحب المخاطرة والمغامرة، ولا شك أن أسباب ودوافع التَّجْنِيد منجمٌ سيكولوجيٌّ كبير للباحثين في هذا المجال.

فدراسةُ تشكلِ الظواهر سيكولوجياً أفضلُ من الاكتفاء بذكر الدوافع، فمثلًا دافع المال قد يكون مفهوماً للجاسوس الفقير، ولكن كيف يُمْكِنُ أن يكون الجَاسُوس في الأصل غنياً ومع ذلك يتجسس رغبةً في الحصول على المال، كيف نفكك هَذِهِ العلاقة بين أصل الدافع ونفسية الجَاسُوسِ؟!

وكما يظهر في حال المقارنة بين الدول الشيوعية الشرقية وبين الدول الديمقراطية الغربية من حَيْثُ آثار عمليات التجسس، فصون حرية الفرد الشخصية ألقى ذلك بظِلاله على المخابرات الغربية في التعاطي مع بعض قضايا التجسس، حَيْثُ أصبحت المخابراتُ مقيدةً نفسها بمجموعة من الحدود لابد من الوصول إليها حتى يَتِمّ القبض على الجَاسُوس، أيّ أنه لابد من تخمُّرِ عَمَلِيَّة التجسسِ وتجميع أدواتها ثُمَّ القبض على المتهم، فقط في تلك الحالة حتى تَتِمّ الإدانة، وقد يحصل شيء من الاختلال في هَذِهِ الجوانب مما يجعل الجَاسُوسَ غيرَ مذنبٍ بحكم القضاء.

وهذا بخلاف الدول الشرقية التي لا حرمة مصانة لحرية الفرد فيها، فقد يُعتقَلُ على التهمة ومجرد الاشتباه، وقد يُعَذَّبُ أيضاً لذات السبب، وهذا ما قلص مقدار المرونة التي يتمتع بها الجواسيس في الاتحاد السوفيتي، مما جعل الأخير يتقدم بخطوة على الغرب المكبل بتقاليده.

وأما عن الطرح الإسلَامِيّ حول نوازل الاستخبارات والعمل الأمني، فهناك كتاب بعنوان (**التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية**) لمحمد راكان الدغمي، وقد قدم طرحاً مفيداً،

إلا أننا وددنا أن يُتَوسَعَ في هذا الباب حتى يشمل الكلام مثلًا عما ذُكر أعلاه حول التعامل مع المشتبه، بين تكبل الغرب وانفلات الشرق، وأيهما الوسيلة الأصح شرعاً. **أو حتى في ذكر ما يسمحُ للجاسوس أن يقوم به شرعاً، أي بذكرِ الحدود المسموحة له والتي يَجِبُ ألا يتخطاها في العمل التجسسي.**

فضلاً عن مشكلةٍ طرحها البعض حول اختراقات الجماعات الإسلَامِيَّة المنافسة (!!) كما يقول أبو بكر ناجي مثلًا: «**بالنسبة لاختراق الجماعات الإسلَامِيَّة الأخرى بل والترقي في سلمها القيادي من خلال أفراد موثوق في تمكنهم من مدافعة الشبهات العلمية والشهوات، ينتج عن ذلك فوائدُ كثيرةٌ مختلفةٌ، وهناك حالات سابقة ناجحة، وهناك إشكالية حرمة التجسس على المسلمين فكيف يُمْكِنُ جمع المعلومات عنهم؟**»[1].

وبما أن الحركَةَ الإسلَامِيَّةَ حركَةٌ غير بَرَغْماتيَّة؛ بل لها قيم ومعايير لا يُمْكِنُ أن تحيد عنها في سلوكياتها، فهنالك مصلحة أسمى وأعلى وهو الحفاظ على الإسلام من الإتيان بأفعال تذهبه من صاحبه وهو لا يعلم، فالكلام حول هَذِهِ المسائل شرعاً سوف يضبط البوصلة، ويمنع البعض من الانجراف إلى ما لا نهاية له.

هذا والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[1] إدارة التوحش، أبو بكر ناجي، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، (ص53).

المراجع

الكتب والدراسات:

1. ستيفان غراي، أَسْيَادُ الجَاسُوسِيَّة الجُدُدُ، ترجمة: مركز التعريب والبرجمة، دار العربية للعلوم - ناشرون، الطبعة الأولى: 2016.
2. بيتر رايت، صائد الجواسيس، ترجمة: عماد القسوس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1988.
3. ألين دالاس، كُنْتُ رئيساً للسي آي أي، دار الشروق، الطبعة الأولى: 1990.
4. فن التجسس، هنري كرامبتون، ترجمة: أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 2014.
5. تيم واينر، إرث من الرماد: تاريخ وكالة الاستخبارات المَرْكَزِيَّة، ترجمة: أنطوان باسيل، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: 2011.
6. الموسوعة الأمنِيَّة، مركز "أبي زبيدة" لخدمات المجاهدين قسم البحوث والإعلام .
7. فريد الفالوجي، أمينة المفتي؛ أوراق منسية: مذكرات أخطر جاسوسية عربية للموساد، دار الكتّاب العربي، الطبعة الأولى: 2008.
8. أحمد مولانا، العقلية الأمنِيَّة في التعامل مع التيارات الإسلامية، دراسة تحليلية الأمن المصري نموذجا، إصدارات الجبهة السلفية في مصر، الطبعة الأولى: 2012.
9. سيف العدل، موسوعة الأمن والاستخبارات.
10. سامي الحاج، غوانتنامو قصتي، دار العربية للعلوم، الطبعة الأولى: 2017.
11. صن تسو، فن الحرب، إعداد أحمد ناصيف، دار الكتّاب العربي.
12. الحرب الصامتة: مذكرات كيم فيلبي، ترجمة: عبد الله كحيل، شركة المطبوعات الشرقية - دار المروج، 1986.
13. انظر سفر الحوالي، أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، دار طيبة الخضراء، 2009.

14.إضاءات على أمن صقور التنظيمات، عبد الله صقر، تنظيم فتح الإسلام الطليعة المقاتلة في بلاد الشام، 1435 هـ.

15.أبو مصعب السوري، شرح كتاب حرب المستضعفين لروبرت تابر، مؤسسة التحايا.

16.صلاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار القلم، الطبعة الثامنة:2002.

17.عبد الفتاح أبو الفضل، كُنْتُ نائباً لرئيس المخابرات، دار الشروق، الطبعة الأولى: 2001.

18.عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى: 2014.

19.فرسان تحت راية النبي، أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، الطبعة الثانية:2010.

20.صدام حسين من الزنزانة الأمريكية: هذا ما حدث، خليل الدليمي، شركة المنبر للطباعة المحدودة، الطبعة الأولى: 2009.

21.يوسف بن صالح العييري، الميزان لحركة طالبان، سنة 1422.

22.تركي الدخيل، كُنْتُ في أفغانستان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى: 2008.

23.حماس من الداخل: قصة غير المروية عن المقاومين والشهداء والجواسيس، زكي شهاب، دار العربية للعلوم - ناشرون، الطبعة الأولى: 2016.

24.أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، دار مصر المحروسة، الطبعة الأولى: 2002.

25.مذبحة القلعة وغياهب غوانتنامو: أسرار شاهد عيان، وليد محمد الحاج، دار القمري، الطبعة الثالثة: 2009.

26.مساجد الضرار: كيف نحصنُ الصف الإسلَامِيّ من المنافقين، محمد سرور زين العابدين، دار الأرقم - مكتبة دار اليقين، الطبعة الثانية: 2004.

27.عمر عبد الحكيم، الثَّورَة الإسلَامِيَّة الجهادية في سوريا، 1987.

28.العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، عبد العزيز الطريفي، دار المنهاج، الطبعة الثانية: 2012.

29.القاعدة وأخواتها: قصة الجهاديين العرب، كميل الطويل، دار الساقي، الطبعة الأولى: 2007.

30. عبد الله البرغوثي، المقصلة وجواسيس الشاباك الصهيوني، الطبعة الأولى 2013 بيروت.
31.عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية.. في البذور والجذور والثمر.. سيرة غير ذاتية غير موضوعية، دار الشروق، الطبعة الثامنة: 2017.
32.القصة الكاملة لعملية خوست، أبو الحسن الوائلي، مركز الفجر للإعلام، محرم 1433 هـ.
33.الإفادة في جمع رسائل ومقالات الشيخ أبي قتادة.
34.مجموع رسائل وتوجيهات الشيخ أسامة بن لادن، نخبة الإعلام الجهادي.
35.عبد الله النفيسي، من أيام العمر الماضي، مكتبة أفاق - الكويت، الطبعة الأولى: 2014.
36.مذكرات جورج دبليو بوش: قرارات مصيرية، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 2012.
37.الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين، موسوعة أنواع الحروب.
38.مركز الخطابي، كتاب الخطابي ملهم الثورات المسلحة، طبعة أولى، 2020.
39.جين شارب، من الدكتاتورية إلى الديمقراطية إطار تصوري للتحرر، ترجمة خالد دار عمر.

المقالات:

1. ساسة بوست، "حرب الأسرار" نبذة عن التاريخ القديم لجاسوسية، نشر في 25 /2020/5.
2. جون غالاغر، العالم السري الجَاسُوسِيَّة عبر التاريخ، موقع الميادين، 2019/5/22.
3. موقع إسلام ويب، ما منظور الدين نحو القضية الوطنية، فتوى رقم 308587. تاريخ النشر: الثلاثاء 16 ذو الحجة 1436 هـ - 29-9-2015 م
4. أوراق من مذكراتي، الحلقة الرابعة، إبراهيم القوصي - أبو خبيب السوداني، مجلة المسرى، العدد 28، ص5، تاريخ: 2 صفر 1438 هـ - 2 نوفمبر 2016 م.
5. بي بي سي العربية، جيف بيزوس: خبيران أمميان يطالبان بتحقيق في "علاقة" بن سلمان باختراق هاتف رئيس أمازون، 23 يناير/ كانون الثاني 2020.
6. الجزيرة نت، ميادين، جيف بيزوس والابتزاز.. لا أحد سيصورك بل ستصور نفسك!، 23 فبراير 2019، (https://2u.pw/4MDh8).
7. يهود الجهاد، أبو ميسرة الشامي، العبوة اللاصقة، 2016.
8. سي إن إن، 3 مايو 2017: هربت لتتزوجه وعادت لتواجه "أقل عقوبة".. هل كشفت موظفة FBI أسرار الداعشي أبوطلحة الألماني؟ (https://2u.pw/DMpSj)

المراجع المرئية والصوتية:

1. عبد الله العدم، سلسلة: صناعة الإرهاب، الحلقة الأولى: تعريف الأمن وأهميته ومشروعيته في الإسلام، مركز الفجر للإعلام، 13 شعبان 1431 هـ - 24 يوليو 2010 م.
2. أسامة بن لادن، بشريات، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي.
3. سلسلة ولكن كونوا ربّانيين، الحلقة الثالثة: لأبي محمد المقدسي مؤسسة التوحيد للإنتاج الإعلامي.
4. وثائقي: الجواسيس المزدوجون، الحلقة الثالثة: جورج بليك، الجزيرة الوثائقية.
5. المقدمة التمهيدية لهدم الجَاسُوسِيَّة، مؤسسة الملاحم، ذو الحجة 1439 هجري، الموافق لـ أغسطس 2018 م.
6. هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثاني، مؤسسة الملاحم، الجمعة 19 جمادى الأولى 1440 هجري، الموافق لـ 25 يناير 2019 م.
7. هدم الجَاسُوسِيَّة، الجزء الثالث، مؤسسة الملاحم، الجمعة 19 صفر 1441 هجري، الموافق لـ أكتوبر 2019 م.
8. لقاء مع الشهيد أبي دجانة الخراساني، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، صفر 1431 هـ
9. حصاد الجواسيس، الجزء الرابع، مؤسسة الملاحم، أغسطس 2016 م.
10. قناة الجزيرة، برنامج شاهد على العصر، لقاء مع عبد الفتاح مورور، الجزء الثالث عشر، تاريخ 21 يونيو 2015.
11. جانب من اعترافات مسؤول الأمن القومي بحضرموت الوادي والصحراء، مؤسسة الملاحم، محرم 1436 هجري، الموافق لشهر نوفمبر 2014 م.
12. أفلا يتوبون إلى الله، مؤسسة الملاحم، جمادى الآخر 1441 هجري، الموافق لـ فبراير 2020م.
13. قناة الفيحاء، برنامج فضاء الحرية، لقاء مع الأسير عبد الله بن عزام القحطاني، سنة 2011.
14. فزت ورب الكعبة، الجزء الثاني، مؤسسة الملاحم، 26 شوال 1431 هجري، الموافق لـ 10 أبريل 2010م.

15.اتصال مع خالد بن مبارك الهيم بتاريخ، 9 سبتمبر 2018 وقد نشره هذا الأخير في حسابه على تويتر بنفس اليوم.
16.ابن الشيخ.. القبرُ ولا الحَور، أبو يحيى الليبي، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، رجب 1430 هـ.
17.أحفاد محمد بن سلمة رضي الله عنه، مؤسسة الملاحم، رمضان 1430 هـ.
18.جماعة الدولة: حقائق من الداخل، الحلقة السادسة: أبو ذر العراقي.
19.الحقيقة في شهادات جبهة الجولاني، إصدارات عبوة لاصقة.
20.قناة القبس: الصندوق الأسود مع عبد الله النفيسي، الحلقة: 28.
21.وثائقي: دماء على طريق دبلن: قصة فرقة ميامي، إنتاج نتفلكس.
22. وثائقي: أسرار الموساد، نتفلكس.
23. قناة العربية، برنامج سؤال مباشر، لقاء مع عبد اللطيف آل شيخ، 13 نوفمبر 2020. (https://2u.pw/CywKA)



عن مركز الخطابي

هو مركزُ دراساتٍ وأبحاثٍ مختصٌّ في علومِ وفنونِ الحروبِ الثَّورِيَّة، تَمَّ إنشاؤهُ في إدلب- سوريا سنة 2019. يسعى مركز الخطابي إلى إيجادِ مراجعَ شاملةٍ تتناولُ مبادئ وإستراتيجياتِ وتكتيكاتِ الحروبِ الثَّورِيَّة، لتلبيةِ حاجةِ الثُّوَارِ التَّدرِيبِيَّةِ والبحثيَّة، كما يَهدِفُ إلى توفيرِ مصادرَ علميَّةٍ وافيةٍ عن الفنونِ السِّيَاسِيَّةِ والعَسْكَرِيَّةِ والاجتماعيَّةِ التي يحتاجُهَا الثُّوَارُ في العالمِ العربِيِّ والإسلاميِّ، وذلكَ من خلالِ التحليلِ الدقيقِ والتقييمِ العلميِّ لتاريخِ أهمِّ الثَّورَاتِ السابقةِ، وتقديمِ التوجيهاتِ والتحليلاتِ الدقيقةِ التي تحتاجُهَا النُّخَبُ الثَّورِيَّةُ حولَ أهمِّ النوازلِ المعاصرةِ، والأرشفةِ الشاملةِ عن أحداثِ الثَّورَةِ السوريَّةِ على المستوى العَسْكَرِيِّ والسياسيِّ والاجتماعيِّ.

ومنذُ نشأتِهِ، قدَّمَ الخطَّابِيُّ لمتابعيهِ أكثَرَ من أربعِ عشرة مادةً علميَّةً، أهمُّهَا:

1. كتابُ الخطَّابي، مُلهِم الثورات المسلَّحة، ثورة الريف الثالثة (1921 – 1926م): السياق التاريخي والأبعاد السِّيَاسِيَّة والعَسْكَرِيَّة والاجتماعية.
2. كتابُ انتفاضةِ الصحراءِ، السياقُ التاريخيُّ للثورة الليبية (1911-1932)، وأبعادِها السِّيَاسِيةِ والاجتماعيَّةِ والعَسْكَرِيَّةِ.
3. بحثُ لمحةٍ عن المسارِ السياسيِّ لآلِ سعودٍ في الدولة الثالثة.

4. بحثُ "أستانا"، مسارُ القضاءِ على الثَّورَة السورية.
5. كتابُ الاحتلالِ بين النظريَّةِ والتطبيقِ، عواملُ قوةِ عملياتِ مكافحةِ التمردِ الأمريكيَّةِ، وجدوى هَذِهِ العواملِ في أفغانستان بين 2001 و2020.
6. بحثُ انتفاضةِ الصحراءِ، الثَّورَةُ الليبيَّةُ 1911 - 1931 وأبعادُها السِّيَاسِيَّةُ والاجتماعيَّةُ والعَسْكَرِيَّةُ.
7. ترجمةُ كتابِ نشوبُ الثَّورَةِ المسلحةِ، دروسٌ من الفيت كونغ وصولاً إلى الدولةِ الإسلاميَّةِ، تأليف سيث جونز.
8. ترجمةُ كتابِ تكتيكاتُ طالبان جنوبَ أفغانستان بين 2005 و2008، تأليف كارتر مالكاسيان وجيري ميبرلي.
9. ترجمةُ كتابِ الجانبِ الآخرِ من الجبلِ، تكتيكاتُ المجاهدين في الحربِ الأفغانيَّةِ السوفييتيَّةِ، تأليفُ أحمد جلالي ولستر غراو.
10. ترجمةُ كتابِ مكافحةُ الانقلابِ، لجين شارب وبروس جينكيز.
11. ترجمةُ كتابٍ من الدولةِ العميقةِ إلى تنظيمِ الدولةِ الإسلاميَّةِ، الثَّورَةُ العربيَّةُ المضادةُ وموروثها الجهادي، لجان بيير فيليو.

يُشَرِّفُنَا اطِّلاعُكَ على أرشيفِ المركزِ أو التواصلِ معَنَا على المواقع الرسميَّةِ التاليَّةِ:

- الويب: (https://alkhattabirw.com/)
- الفايسبوك: (http://fb.me/alkhattabirw)
- التويتر: (https://twitter.com/alkhattabirw)
- التلغرام: (https://t.me/alkhattabirw)

هـذا الكتـاب هـو الأول مـن نوعـه في المكتبـة العربيـة مـن حيـث تناولـه لموضـوع التجنيـد الاسـتخباري بأسـلوب علمـي. فهـو ينطلـق مـن عشـرات المراجـع الشـاملة التـي وثَّقـت عمـل الجواسـيس وضبـاط الاسـتخبارات، واسـتخرج منهـا مئـات الفوائـد حـول دوافـع تجنيـد الجواسـيس ومراحـل تدريبهـم والمخاطـر المحيطـة بهـذه العمليـة، مـع مُراعاتـه خاصِيَّـة العمـل الاسـتخباراتي في الجبهـات الثوريـة في العالم الإسلامي.



